تفسير النور

من سورة القصص إلى سورة يس

تأليف
الشيخ محسن قراءتي

المجلد السابع

دار المؤرخ العربي
بيروت

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

تفسير النور

تفسير النور

من سورة القصص إلى سورة يس

تأليف

الشيخ محسن قراءتي

ترجمة

السيد علي الموسوي

مراجعة الترجمة

محمد حسن زراقط

المجلد السابع

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المؤرخ العربي
بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص.ب: ١٢٤ / ٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com

سُورَةُ القَصَصِ

السورة: ٢٨ الجزء: ٢٠

عدد الآيات: ٨٨

ملامح سورة القصص

تحتوي هذه السورة على ثمانية وثمانين آية، نزلت في مكة قبل الهجرة. وقد سمّيت بهذا الاسم (القصص)، لورود هذه الكلمة في الآية الخامسة والعشرين من آياتها، وهي تعني تاريخ الماضين.

تتحدث الآيات من الثالثة حتى السادسة والأربعين عن قصة موسى وفرعون، كما تتعرض أواخر هذه الآيات لقصة قارون، وتشير في الختام إلى عاقبة الصابرين المحسنين ومصير الفاسدين المذنبين.

وقصة موسى وإن وردت في أربعة وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم، ولكن ما تمتاز به هذه السورة أنها تعرّضت لكافة مراحل حياة موسى من الولادة، إلى الطفولة، فالشباب، وإلى مسألة زواجه ونبوّته ودعوته إلى عبادة الله الواحد[١].

---

(١) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٤٠٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢
نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾

التعاليم

١ ـ القرآن الكريم، معجزة رسول الله ﷺ يتألف من الحروف الأبجدية المعروفة، فإن كنتم تدعون أنّه كلام بشر فأتوا بمثله، ﴿طسٓمٓ، تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾.

٢ ـ القرآن كتاب واضح، بيّن وقابل للفهم، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٣ ـ بيان سيرة الأمم السالفة دليل على أن السنن الإلْهيّة في التاريخ تسير طبقاً لقواعد وقوانين. فلو لم يكن التاريخ يجري طبق قواعد وقوانين، فإننا لن نتمكن من أن ننهل منه في عالمنا اليوم، ﴿نَتْلُوا۟... مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ ـ لا بدّ عند سردنا للتاريخ من أن نقف عند الأحداث المهمة التي تحمل الدروس والعبر، (تطلق كلمة نبأ على الخبر المهم).

٥ ـ في مواجهة الأنبياء للطواغيت والظالمين عبرة للمؤمنين، ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٦ ـ قصص القرآن ليست خرافة ولا من نسج الخيال، ﴿نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٧ ـ يهدف القرآن من خلال سرد القصص إلى هداية المؤمنين، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٨ ـ أول شرط للهداية امتلاك القابلية، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ
وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾

إشارات

☐ كلمة «شيع» جمع «شيعة»، وهي في الأصل بمعنى التابع والتبعية، ولكنها تطلق

أيضاً على المجموعة من الناس لأن العادة في المجموعات أن يكون بعضهم تابعاً لبعضها الآخر.

□ لعلّ كلمة «نساء» تشمل البنات أيضاً، لأنها جعلت مقابل الأبناء.

□ كلمة فرعون ليست علماً لشخص، بل هي تسمية تطلق على ملك مصر، كما تطلق تسمية كسرى على ملك إيران، وقيصر على ملك الروم[1].

التعاليم

١ ـ لا بد من التعرف إلى الظروف والبيئة المحيطة بالمجتمعات عند بعثة الأنبياء، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾.

٢ ـ لا أهميّة للأشخاص عندما نريد التعرف إلى نظام ما، بل المهم هو عمل هؤلاء، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (إطلاق اسم فرعون عليه بسبب ظلمه واستكباره).

٣ ـ التكبر والعلوّ يوفران أرضية الفساد والمعصية، ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ... يَسْتَضْعِفُ... يُذَبِّحُ...﴾.

٤ ـ بث الفرقة أفضل وسيلة يلجأ إليها المستكبرون للتسلط على الناس، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. (لن يتمكن المستكبرون والطواغيت من فعل شيء أمام وحدة الناس وتآلفهم).

٥ ـ التفرقة مقدمة للوقوع في الذلّ. فبداية يتفرّق الناس شيعاً وجماعات، ثم بعد ذلك يتحقق الاستضعاف فيهم، ﴿شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ﴾.

٦ ـ كل جناية تصدر من العاملين في جهاز السلطة تقع على عاتق الحاكم، ففي الآيات كافة نسبت جنايات أتباع فرعون إلى فرعون نفسه، ﴿جَعَلَ، يَسْتَضْعِفُ، يُذَبِّحُ﴾.

٧ ـ تعرض الله ﷻ في كلامه لمسألة التفرقة قبل أن يتعرض لموضوع القتل. ولعل

(١) علي أكبر دهخدا، لغت نامه دهخدا (معجم دهخدا اللغوي)، مادة: «فرعون».

ذلك لأن التفرقة هي العامل الذي يوفر أسباب القتل أو لأنها أكثر ضرراً من القتل، ﴿شِيَعًا... يُذَبِّحُ﴾.

٨ ـ أهل السياسة والذين يصدرون الأوامر هم أيضاً مرتكبو الجناية والجريمة، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ... يَسْتَضْعِفُ، يُذَبِّحُ، يَسْتَحْيِ﴾.

٩ ـ مسببو الفرقة هم من المفسدين، ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. نعم كل مجتمع يحكمه إنسان متكبر، يبث الفرقة بين أفراده، يواجه شعبه بالتهديد، وتنحصر منافعه بالطبقة المرفّهة، هو مجتمع فرعوني وطاغوتي.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾

إشارات:

□ كلمة «منّة» هنا هي بمعنى النعمة الكبرى ذات القيمة العالية، وليس المراد المنة باللسان بذكر النعمة لأجل إلحاق المهانة بالآخرين والتي هي من مساوئ الأخلاق.

□ لا شك في أن الإرادة الإلٰهيّة إذا تعلقت بإيجاد أمر، فإن ذلك سوف يتحقق حتماً وجزماً، ولن يحول بين الإرادة الإلٰهيّة وبين تحققها أي شيء. ولذا ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

□ مع أن النعم كافة، هي من عند الله ﷻ، والعباد مرتهنون له في كل نعمة يهبها؛ ولكنه ﷻ خصّ بعض النعم بالامتنان على العباد بها، وهذا ما يشير إلى أهميّة هذه النعم، من ذلك:

أ ـ نعمة الإسلام: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[2].

(١) سورة يس: الآية ٨٢.
(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

ب ـ نعمة النبوّة: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾[١].

ج ـ نعمة الهداية: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾[٢].

د ـ نعمة حاكمية المؤمنين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

- ورد في الكثير من الروايات أن المهدي (عجل الله فرجه) ودولته هما في آخر الزمان المصداق الأتم لهذه الآية[٣].

- أكّد القرآن الكريم، وبعبارات مختلفة، على مسألة حاكمية المستضعفين على الأرض من ذلك:

أ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤].

ب ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟... ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٥].

ج ـ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٦].

د ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾[٧].

هـ ـ ﴿...لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾[٨].

- المراد من «المستضعفين» في هذه الآية، وبملاحظة كون الفعل «استضعفوا» مبنياً للمجهول، من لم يكن من المستضعفين بفعل نفسه، بل بسبب استكبار المستكبرين عليه.

التعاليم

١ ـ دولة المستضعفين العالميّة والدفاع عن المظلومين في التاريخ، من الأمور التي تعلّقت بها الإرادة الإلٰهيّة، ﴿نُرِيدُ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.
(٣) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.
(٤) سورة النور: الآية ٥٥.
(٥) سورة يونس: الآيتان ١٣ و١٤.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.
(٧) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.
(٨) سورة إبراهيم: الآيتان ١٣ و١٤.

٢ ـ حكومة الطاغوت والاستبداد تدفع إلى استضعاف الطاقات والقوى، ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾.

٣ ـ المستقبل هو للمستضعفين، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً...﴾.

٤ ـ الإمامة كالبعثة نعمة إلٰهيّة خاصة منّ الله ﷻ بها على عباده، ولذا قال تعالى في ما يتعلّق ببعثة الأنبياء: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾[1]. وفي هذه الآية يقول: ﴿نَّمُنَّ... وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن ينال اليأس من المستضعفين؛ لأن الله ﷻ يمكّن لهم، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾.

٢ ـ عقوبة الطواغيت وإن كانت في عالم الآخرة، إلا أنّهم لن يكونوا بمأمنٍ من العذاب الإلٰهيّ في الدنيا، ﴿وَنُرِىَ... مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

٣ ـ سوف ينال الكافرون الذل من الله ﷻ على أيدي المؤمنين، ﴿وَنُرِىَ... مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

٤ ـ مهما امتلك العدو من قدرات فإنه يعيش الخوف من المؤمنين، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾

إشارات

□ أُنبئ فرعون بأن طفلاً سيولد في هذا العام، ولو كتب له أن يعيش فإنه على

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

يديه سيكون زوال ملكه. فأمر بقتل كل طفل يولد لحظة ولادته؛ وعندما ولد موسى ألهم الله ﷻ أمّه بأن ترضعه ثم تضعه في صندوق وتلقيه في اليم.

- ورد في هذه الآية خطاباً لأم موسى أمران ونهيان وبشارتان: أما الأمران: ﴿أَرْضِعِيهِ، فَأَلْقِيهِ﴾، أما النهيان: ﴿وَلَا تَخَافِي... وَلَا تَحْزَنِي﴾، أما البشارتان: ﴿رَادُّوهُ... وَجَاعِلُوهُ﴾.
- كلمة خوف تطلق في موارد احتمال الخطر، وأما كلمة حزن فتطلق في الموارد التي يكون الخطر فيها محتوماً[1].
- المراد من اليم في هذه الآية نهر النيل العظيم في مصر، وأطلق عليه اليم لكونه كبيراً، وقد بنى فرعون قصره إلى جانب ذلك النهر.
- إذا أراد الله ﷻ جعل من العدو مأمناً وملجأً، ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾.

التعاليم:

١ ـ الله ﷻ هو الهادي والمعين في حالات القلق والاضطراب وعند انسداد الطرق، ﴿أَوْحَيْنَا﴾.

٢ ـ قد تتلقى المرأة الإلهام من الله ﷻ، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾.

٣ ـ لا تنافي بين نزول المدد الغيبي وبين الاستعانة بالأسباب المادّية. فإرضاع موسى ووضعه في الصندوق لا يتنافى مع التوكل، ﴿أَرْضِعِيهِ﴾.

٤ ـ لا ينبغي حرمان الطفل من حليب أمّه في أي ظرف كان، ﴿أَرْضِعِيهِ﴾.

٥ ـ في الأوامر الإلٰهيّة أسرار مخبوءة لا يظهر في النظرة الأولى أي وجه عقلاني لها، ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

٦ ـ لا ينبغي الخوف من شيء ولا القلق من أمر عند امتثال الأوامر الإلٰهيّة، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾، (فأم موسى كانت تخاف من أمرين: أحدهما، أن يُقتل ولدها، والآخر فراقها له، والله ﷻ أبدلها ذلك بأحسن ما يمكن كما سوف يأتي في الآيات القادمة).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

٧ ـ ما يبذل في سبيل الله ﷻ يعود إلى الإنسان بأفضل وجه، ﴿فَأَلْقِيهِ... رَادُّوهُ... وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. (أمّ موسى امتثلت للأمر الإلٰهيّ بإلقاء ولدها في اليم، فأرجعه الله ﷻ إليها وأعطاه مقام النبوّة).

٨ ـ يعطي الله ﷻ علم الغيب لمن يشاء من عباده، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٩ ـ صار فرعون وسيلة لنجاة موسى من اليم، وغرق هو في ذلك اليم نفسه على يد موسى، ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. (الله ﷻ ينقذ الطفل الذي لا حول له ولا قوّة من اليم، ويغرق صاحب القدرة والإمكانات).

١٠ ـ لا أثر لإرادة الإنسان في مواجهة الإرادة الإلٰهيّة، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، فقد ظن فرعون أن هديةً وصلته؛ ولكن الله ﷻ أراد أن يتربى عدوّه في حجره.

١١ ـ خطط فرعون ووزيره وجنده ونفذوا ما خططوا له، ولكن التدبير الإلٰهيّ أفشل كل مخطّطاتهم، ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

١٢ ـ المخطِّط، والمستشار، والآمر، والمباشِر كلهم شركاء في الجريمة، ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

إشارات:

□ كان لأكثر من امرأة دور في حياة موسى: أم موسى، أخت موسى، زوجة فرعون وزوجة موسى، وقد بيّنت هذه الآية دور زوجة فرعون في منع فرعون من قتل موسى.

التعاليم:

١ ـ للمرأة دور مؤثّر في الحياة الاجتماعية، ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾، (تمكّنت

زوجة فرعون من أن تغير رأي فرعون ولم يمنعها من ذلك سطوة فرعون وسلطانه وجبروته).

٢ ـ لا بد من الإسراع في تقديم الاقتراحات الصحيحة لأجل المنع من تقديم الآخرين للاقتراحات المنحرفة. قبل أن يتخذ فرعون قراراً في شأن الطفل اقترحت زوجته طريقاً صحيحاً لمعالجة المسألة، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٣ ـ لا بد من استخدام لغة العاطفة والتأثير عندما نقوم بتقديم أي اقتراح، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾.

٤ ـ القلوب جميعها بيد الله ﷻ. فهو الذي يليّنها حتى لو كانت من أقساها كقلب فرعون، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾.

٥ ـ عند مواجهة المنكر لا بد من سلوك طريق العاطفة أولاً، ثم اللّجوء إلى الأمر والنهي، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٦ ـ لا ينبغي أن نغفل النهي عن المنكر باللسان؛ لأنه مؤثّر للغاية، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ (فقد تمكّنت زوجة فرعون بقولها: لا تقتلوه، أن تمنع من قتل موسى، كما منع أحد إخوة يوسف من قتل يوسف بقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾.

٧ ـ لا يملك الطواغيت أدنى العواطف الإنسانية، ولذا كانوا بحاجة إلى أن يذكّروا بها، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

٨ ـ لا بدّ من بيان فوائد الأمر والنهي لكي يتقبّل ذلك الناس بسهولة، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾.

٩ ـ في النظام الطاغوتي يكون الملاك في وضع القوانين أو رفعها هو الهوى والمصالح الشخصيّة للطواغيت، (فقانون القتل العام للأطفال الذكور اعتمد على المصالح الشخصيّة لفرعون، وعلى أساس هذه المصالح الشخصيّة قام فرعون بإلغاء هذا القانون في هذا الطفل الذي وجد في اليم أي موسى)، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾.

١٠ ـ بعض الناس يظهرون أنهم من ذوي الشأن والعظمة، ولكنهم في باطنهم أسرى الحاجات الخاصة الكامنة في نفوسهم، (فرعون كان يدّعي: أنا ربّكم

الأعلى، ثم تجده يرضى بأن من الممكن أن يكون في هذا الولد الذي التقطه من الماء منفعة له)، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾.

١١ ـ لم يكن لفرعون أولاد. ولذا رضي بالإبقاء على الولد الذي أخرجه من الماء فاعترف بذلك بضعفه وعجزه، ﴿نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

١٢ ـ قد تحصل المودة بين شخصين بطريقة غيبية لا يعلمها الطرفان، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- ذكر في تفسير الميزان عند شرحه لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾: (وبملاحظة السياق وظاهر الآيات السابقة واللاحقة، المراد بفراغ فؤاد أم موسى فراغه وخلوه من الخوف والحزن، وكان لازم ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشوشة وأوهام متضاربة يضطرب بها القلب فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها أن تخفيه من أمر ولدها).
- بعد أن وضعت أم موسى وليدها في صندوق وألقته في الماء طلبت من أخته أن تتبع أثره بشكل خفي لترى ما سيحدث بوليدها. وقد قامت أخت موسى بتتبع الصندوق دون أن تلفت نظر أحد إلى ذلك إلى أن أخرج الصندوق من الماء في بيت فرعون، وعلمت أنهم يبحثون عن مرضعة له؛ ولم يقبل الطفل الارتضاع من أي من النساء اللواتي أتين، وهنا تدخّلت أخته لتقترح لهم مرضعة وهي أم موسى، وبهذا تمكنّت من أن تختتم مهمّتها.

التعاليم

١ ـ إفشاء الأسرار من علامات الوهن وضعف الإيمان، ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

٢ ـ طمأنينة القلب بيد الله ﷻ، ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

٣ ـ السكينة وطمأنينة القلب من علامات الإيمان، ﴿رَّبَطْنَا... لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤ ـ الإيمان هو الذي له أهميّته عند الله ﷻ، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مع أن أمّ موسى امرأة.

٥ ـ ينبغي أن تتقن النساء والبنات حسن تدبير المسائل الاجتماعية، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾.

٦ ـ لا بدّ من أن نوكل بعض القضايا الحساسة والعاطفية إلى الآخرين، ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾، فأمّ موسى كانت في حالة عاطفية لا تسمح لها بمتابعة أمر ابنها إذ يُخشى من انكشاف أمره لو تابعت أمره بنفسها.

٧ ـ التوكل على الله ﷻ لا يعني اتخاذ موقف اللامبالاة. فمع أن أم موسى كانت امرأة مؤمنة إلا أنها أرسلت ابنتها لكي تقص أثر أخيها، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾.

٨ ـ عنصرا المتابعة والمراقبة ضروريان جداً عند التعامل مع الأنظمة الطاغوتية والمستبدة، ﴿قُصِّيهِ﴾.

٩ ـ التظاهر بالسلوك الاعتيادي أمر ضروري لحفظ الأسرار، ﴿عَن جُنُبٍ﴾. (فقد أخذت أخت موسى تراقب الصندوق من مكان بعيد، لكي يظهر هذا التصرف منها أمراً عادياً ولا يلتفت العدو إلى ذلك).

١٠ ـ يؤدّي المؤمن وظيفته ومهامه ولا يسمح للعدوّ أن يشعر بذلك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

□ «المراضع» جمع «مرضع» أي المرأة التي ترضع الوليد.

التعاليم

١ ـ إذا لم يرد الله أمراً فإنّ الجهاز الفرعوني بكل ما يملك من إمكانات يعجز عنه حتى لو كان تأمين الطعام لطفل صغير، ﴿حَرَّمْنَا﴾.

٢ ـ أبسط الأعمال كارتضاع الطفل من الثدي لا يمكن أن يتحقق إلّا أن تقضي الإرادة الإلٰهيّة به، وإلا فلن يتحقق، ﴿حَرَّمْنَا﴾.

٣ ـ الإرضاع وإيكال أمر الطفل إلى مرضعة من المسائل الموغلة قدماً في التاريخ، ﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾.

٤ ـ عندما يصطدم الإنسان المتكبّر بمشكلة يعجز عن حلّها يلجأ إلى القبول بأي مقترح لعلاج مشكلته حتى لو كان من غير ذوي الاختصاص، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.

٥ ـ لا بد من التظاهر بالحياد والتحلي بالهدوء عند تقديم مقترح يتعلّق بأمر يثير الحساسية والريبة، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.

٦ ـ لا بد من امتلاك الحيلة في مواجهة العدو، (لم تأت أخت موسى على ذكر اسم الأم فلم تقل: على أمّه، بل ذكرت ذلك على أساس أنه بيت مجهول)، ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾.

٧ ـ لا تنحصر حاجة الطفل بالطعام والغذاء، بل يحتاج إلى العطف والمحبّة أيضاً؛ لذا فإن أخت موسى قالت لهم يكفلونه أي يهتمون به من كافة الجوانب، ولا يحصرون اهتمامهم بالإطعام، ﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾.

٨ ـ لا بد من تقديم أي مقترح نريد أن نصل إليه بنحو يجعل المخاطب يرى فيه مصلحة وفائدة له، ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾.

٩ ـ الكفالة المطلوبة والتي لها أهميتها هي التي تنطلق من السعي للخير والتي تقترن بالمحبة، ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

□ قد تعيق الألقاب الإنسان عن القيام بعمل ما، فأم موسى قبلت إرضاع ولدها كمرضعة لا كأم له؛ لأن عنوان الأم سوف يكون سبباً لقتل الولد وإلحاق الأذى بالأم.

التعاليم

١ ـ لا خلف في الوعد الإلٰهيّ. فقد وعد الله ﷻ في الآية السابعة بإرجاع الولد إلى أم موسى، ونقرأ في هذه الآية تحقق الوعد الإلٰهيّ برجوع الولد إليها، ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ... فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾.

٢ ـ الطفل الوليد قرة عين الأم، ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.

٣ ـ لا يهتم أهل الحق بالعناوين بل الذي يهمهم هو الوصول إلى الأهداف، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ فقد عاد الوليد إلى حجر أمه وإن كانت مستأجرة على أنها مرضعة؛ ولا يهم العنوان بل عودة وليدها إليها.

٤ ـ نظراً للارتباط العميق بين الأم وولدها فإنّ لها دوراً أساساً في حياته، ﴿إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾. (ولم تأت الآيات على ذكر والد موسى).

٥ ـ عاقبة المصاعب الوصول إلى المطلوب والوصال خاتمة الفراق، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ (بعد فترة من القلق والغم أعاد الله ﷻ إلى أم موسى وليدها)، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

٦ ـ الإرادة الإلٰهيّة إذا تحققت جعلت من شخص واحد قرة عين لعدوين متخاصمين (أسرة فرعون وأسرة موسى)، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ... تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.

٧ ـ الفرح والسرور والحزن والغم حالات لها تأثيرها على بصر الإنسان، ﴿تَقَرَّ

عَيْنُهَا﴾، كما نقرأ في الآية ٨٤ من سورة يوسف أن بعد يوسف عن أبيه وفراقه له أصابه بالعمى، ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾.

٨ ـ للإيمان بالله ﷻ مراحل ودرجات. فأمّ موسى امرأة مؤمنة، ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولكن لا بد للمؤمن من أن يصل إلى مرحلة اليقين والعلم العميق، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٩ ـ فلسفة بعض الحوادث وسبب وقوعها إنما هو لنيل حقانية الوعد الإلٰهيّ وإدراكه، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

١٠ ـ لا يتعدى إدارك أكثر الناس ظواهر الأشياء ولا يدركون عمق التدبير الإلٰهيّ، ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

- كلمة «أشد» من «الشدّة»، وهي تعني امتلاك القوة والقدرة، واستوى من الاستواء بمعنى كمال الخلقة المعتدلة.
- تكرر تركيب «حكماً وعلماً» في مواطن ثلاث في القرآن الكريم وفي جميعها تقدم الحكم على العلم، و«الحكم» هو بمعنى الفهم الصحيح والقدرة على الحكم الصحيح، و«العلم» هو بمعنى اكتساب المعرفة والمعلومات.

التعاليم

١ ـ أوّل شرط لتحمل المسؤولية هو البلوغ الجسمي، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾.

٢ ـ لا يتحقق البلوغ الحقيقي بالنمو الجسدي والقدرة الجنسية؛ بل يتحقق بكمال الفكر والعقل أيضاً، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾.

٣ ـ لا خلف في الوعد الإلٰهيّ، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ... وَلَمَّا بَلَغَ... ءَاتَيْنَٰهُ﴾.

٤ ـ لا بد لنزول الألطاف الإلٰهيّة من توافر الظروف الملائمة لذلك، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ... ءَاتَيْنَٰهُ﴾.

٥ ـ الحكمة تتقدم على العلم، ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

٦ ـ اللطف بالمحسنين سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾.

٧ ـ جزاء المحسنين لا ينحصر بالآخرة، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، (فامتلاك موسى للعلم والحكمة كان جزاءً إلهياً على إحسانه).

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

□ يظهر أن موسى كان قبل نبوّته يعيش خارج المدينة، ولعل ذلك يرجع إلى حركته الثورية التي كان يقوم بها أو نظراً إلى كونه يقيم في قصر فرعون وكان محله خارج المدينة.

□ **سؤال**: إذا كان أنبياء الله ﷻ معصومين، فبماذا نبرر فعل موسى وضربه الرجل بنحو أدى إلى قتله؟

الجواب: إن كلمة هذا في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لا يرجع إلى فعل موسى بل إلى الخصومة والنزاع الذي كان دائراً بين المتخاصمين، والإشارة لا ترجع إلى فعل موسى، أي إن إيجاد الخصومة والاختلاف هو من فعل الشيطان.

□ لم يكن قصد موسى القتل، وإنّما كان غرضه الدّفاع عن مؤمن؛ ولذا لم يرد لوم من الله ﷻ على فعله ذاك، وذكر في موضع آخر: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[1].

(١) سورة طه: الآية ٤٠.

التعاليم

١ ـ العاملون على إصلاح المجتمع قد يلجأون أحياناً إلى الحضور بين الناس دون أن يعرفهم أحد فيعتمدون على أن يكون ذلك بشكل خفي، ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

٢ ـ لقد كان لموسى حتى قبل النبوة شيعة وأنصار، ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾.

٣ ـ على الرغم من أنّ موسى تربى في بيت فرعون، ولكن المستضعفين من الناس كانوا يرون فيه ناصراً لهم وزعيماً؛ لأنه كان يشاركهم في تفكيرهم ورؤاهم، ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ﴾.

٤ ـ من أولويات أولياء الله ﷻ حماية المظلومين والدفاع عنهم، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾.

٥ ـ يتحلّى الأنبياء بصفة الغيرة، الحمية، نصرة المظلوم ومحاربة الظلم، ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ... فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾.

٦ ـ قد يلجأ رجال الله إلى الاصطدام ومواجهة العدو، وردعه عن ظلمه وتعدّيه على الحقوق، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ **سؤال**: ما معنى أن يقول نبي من الأنبياء ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾؟

الجواب: المراد من الظلم هنا تحمل الآثار الاجتماعيّة المترتبة على القتل غير العمدي، لا الذنب الذي يتنافى مع مقام العصمة؛ لأن الله ﷻ ذكر أن موسى كان من المخلصين: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾[1]. ومن يصل إلى هذه الدرجة لا يمكن أن يرتكب الذنوب؛ لأنّ الله ﷻ ذكر أنّ الشيطان لا سلطان له عليه، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2].

(١) سورة مريم: الآية ٥١.
(٢) سورة ص: الآيتان ٨٢ ـ ٨٣.

التعاليم

١ ـ ذِكْر الله في الدعاء ينبغي أن يكون بصفة (رب)، ﴿قَالَ رَبِّ﴾.

٢ ـ لا ينبغي تجاهل آثار المعصية الطبيعية والوضعيّة وإن كان صدورها عن غير عمد، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾؛ (فموسى عليه السلام كان في فعله قاصداً نجاة مؤمن؛ ولكن القتل صدر منه خطأ ولا يعد هذا بعد ذلك ذنباً، ولكن جعله يعاني المتاعب والمصاعب).

٣ ـ الصالحون يعمدون إلى الاستغفار مباشرة حتى لبعض ما يصدر منهم عن غير عمد، ويسعون لتجنّب تبعات ذلك العمل، ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾. (فموسى عليه السلام طلب من الله عز وجل عند استغفاره عما صدر منه أشياء عدّة ومنها محو الآثار الاجتماعيّة لفعله، وبث الطمأنينة في نفسه عما ينتظره في المستقبل من انتقام فرعون منه).

٤ ـ دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ لعلّ المراد من قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾، ما ناله من الغفران والعفو الإلٰهيّ.

التعاليم

١ ـ القوة البدنية هي من النعم الإلٰهيّة، ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ (فموسى عليه السلام كان يمتلك من القوة ما قتل بها كافراً بوكزة من يده).

٢ ـ شكر النعم الإلٰهيّة يكون بالابتعاد بها عن إلحاق الظلم بالآخرين، ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

٣ ـ معونة الظالمين نوع من أنواع الظلم، ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (ورد في بعض الروايات أنّ الرضا بفعل المعاصي هو من المعاصي).

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس كل خوف بمذموم، بل الخوف من العجز عن تحقيق الأهداف المطلوبة أو من وصول العدو إلى هدفه هو خوف ممدوح، ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

٢ ـ لا بد من ترقب نتائج ما يقوم به الإنسان من عمل وما يتّخذه من قرار، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾.

٣ ـ على الرغم من أن موسى كان يعيش في قصر فرعون؛ ولكنه كان ينسج علاقات مع الناس، وكان الناس يعرفون أنه يؤديّ دوراً في الإصلاح بينهم، ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾.

٤ ـ عندما تجب التقية في مورد ما، وتقضي الضرورة كتمان بعض الأهداف لأجل الوصول إلى المصالح المبتغاة، فَلا بدَّ من الهدوء والبعد عن إثارة الأجواء، بل إنّ ذلك يعد من الذنوب، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

٥ ـ لا بد من لوم الأتباع الذين لا يبالون برعاية المطلوب، ولا ينبغي تجاهل ذلك منهم لمجرد أنهم من نفس الحزب أو من نفس الفئة، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

❑ كلمة «بطش» هي بمعنى الغضب المقترن بالعنف واستخدام القوة.

التعاليم

١ ـ توجيه النقد للصديق عند ارتكابه للمخالفة لا يكون سبباً للتخلي عنه وعدم

الدفاع عن حقوقه، (على الرغم من أن موسى في الآية السابقة خاطب أحد أتباعه بقوله: إنك لغويّ مبين، ولكنه قام بنصرته والدفاع عنه)، ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾.

٢ ـ لا تفي الموعظة وحدها في جميع الحالات، بل لا بد من الاعتماد على القوة والبطش أحياناً، ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾. («الوقار» لا يعني اللامبالاة والانزواء، فموسى كان في كل يوم يمشي بين الناس).

٣ ـ ينظر الإنسان في المجتمع الذي يحكمه المستكبرون إلى فرعون، الذي يقتل طفلاً بريئاً عمداً، على أنه إله! ويصف موسى الذي قتل كافراً دون قصد لذلك بأنّه جبار، ﴿تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

□ المراد من مفردة «رجل» في هذه الآية هو «مؤمن آل فرعون»، وقد أطلق على سورة غافر تسمية سورة «المؤمن» باسم هذا الرجل. والذي كان عوناً لموسى في كتمانه لإيمانه وممارسته للتقية.

التعاليم

١ ـ لقد كان لموسى أنصار في قصر فرعون وضمن حاشيته وأعوانه، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾.

٢ ـ لا يجوز مد يد العون للظالم بأي نحو كان؛ ولكن تولي الوظائف في دولة الظلم لأجل معونة أهل الإيمان أمرٌ حسنٌ، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾. (فتعاونُ علي بن يقطين مع بني العباس على الرغم من كونهم من الظالمين كان من هذا الباب).

٣ ـ لا يقيم الطواغيت بين الناس وداخل المدن وذلك حفظاً لأمنهم وضماناً لراحة بالهم، ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾.

٤ ـ لا بد من بذل كل جهد ممكن لأجل حفظ روح قادة المجتمع ونخبه، ﴿يَسْعَىٰ﴾.

٥ ـ وصول الخبر في وقته والإسراع في إنجاز العمل قد يؤدّي أحياناً إلى تحديد مصير أمة، ﴿يَسْعَىٰ﴾. (فلو أن هذا الرجل لم يتمكن من إخبار موسى عليه السلام بتآمر القوم عليه ولم يخرج موسى من المدينة لوقع في يد فرعون ولأدى ذلك إلى قتله).

٦ ـ إن شخصاً ثورياً كموسى عليه السلام يهز جبهة الكفر ويجعلها تعاني الاضطراب والقلاقل، ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ﴾.

٧ ـ أعوان الطواغيت شركاء في جرائمهم، ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾.

٨ ـ يجب فضح المؤامرات والخطط التي تحاك للشر، ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾.

٩ ـ على من يتصدى للإصلاح الاجتماعي أن يوطّن نفسه على الهجرة على الدوام، ﴿فَخَرَجَ﴾.

١٠ ـ ينبغي الاهتمام بالنصيحة التي تنبع من القلب وتقبلها من الآخرين، ﴿فَٱخْرُجْ... فَخَرَجَ﴾.

١١ ـ الشجاعة لا تعني إلقاء النفس في يد العدو، ﴿فَخَرَجَ﴾.

١٢ ـ حياة الأنبياء تمتاز في الغالب بالمصاعب والمشاق، ﴿فَخَرَجَ﴾.

١٣ ـ علينا السعي والعمل الجاد وأما نتائج ذلك فهي بيد الله عز وجل، ﴿فَخَرَجَ... قَالَ رَبِّ نَجِّنِى﴾.

١٤ ـ لا بد من ضم السعي والجد إلى الدعاء، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا... قَالَ رَبِّ نَجِّنِى﴾.

١٥ ـ يستمد أولياء الله عز وجل العون منه في كل حال، ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[١]، ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٢] و﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٣].

---

(١) سورة القصص: الآية ١٦.
(٢) سورة القصص: الآية ١٧.
(٣) سورة القصص: الآية ٢٤.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

❑ «مدين»: اسم مدينة في جنوب الشام وشمال الحجاز، قريبة من تبوك وكانت في ذلك الزمان خارج سلطة فرعون.

التعاليم

١ ـ لا بد في أي عمل تغييري من اعتماد التحرك، والهجرة، واعتماد تكتيك مختلف، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾.

٢ ـ لا بد لنا من العمل أولاً ثم الدعاء والشعور بالأمل، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي﴾.

٣ ـ الأمل محمود في كافّة الأحوال، ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾.

٤ ـ المشاقّ والصعاب سنة إلٰهيّة في تربية الإنسان، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾.

٥ ـ نبدأ كل عمل بطلب العون من الله ﷻ، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ... قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾.

٦ ـ في الأماكن التي تخضع لحكم الطاغوت حيث تتوافر دواعي المعصية والانحراف لا بد من اللّجوء إلى الله ﷻ بطلب الهداية منه، ﴿يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

❑ «تذودان» من «ذود» بمعنى المنع والحيلولة.

❑ تكررت كلمة «وجد» في الآية مرتين الأمر الذي يدل على أنه نظر نظرتين

مستقلتين، ولو أن الرجال والنساء كانوا معاً لاكتفى بنظرة واحدة لتكوين الصورة التي تحكي عنها الآيات.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي استغلال ضعف النساء وحيائهن. فلولا القانون وحماته لتجاهل الكثير من الرجال حقوق النساء، ﴿أُمَّةً... يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾.

٢ ـ وجود الحريم (الحد الفاصل) بين الرجال والنساء في غاية الأهميّة، وابنتا شعيب كانتا ممن يراعي ذلك، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾.

٣ ـ تقوم بنات أنبياء الله بالرعي؛ ولكنهن لا يلجأن إلى الاستجداء وما فيه المذلة، ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.

٤ ـ رعي الماشية كان مهنة للكثير من أنبياء الله ﷺ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فلو أنّ أباهما لم يكن شيخاً كبيراً لكان تولى الرعي بنفسه.

٥ ـ لا ينبغي لمشاكلنا الخاصة أن تشكل مانعاً من حماية الآخرين، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ (فموسى كان مهدداً بالخطر على حياته، وكان هارباً من سطوة فرعون يبحث عمن يعينه ويحميه).

٦ ـ الدفاع عن النساء قيمة من القيم الإنسانية، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.

٧ ـ لا مانع من أن يكلّم الرجل المرأة إذا كان ذلك ضمن حدود الأدب، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.

٨ ـ ينبغي الاختصار مهما أمكن عند الحديث مع المرأة الأجنبية، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.

٩ ـ لا ينبغي التعامل بلامبالاة إزاء ما يجري من أحداث، ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾.

١٠ ـ لا مانع من عمل المرأة خارج بيتها شرط:

أ ـ أن لا تكون في مكان العمل وحدها، ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾.

ب ـ أن لا تختلط بالرجال، ﴿مِن دُونِهِمُ... لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾.

ج ـ أن لا يكون في البيت رجل قادر على العمل، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١١ ـ إذا كنّا في موطن شبهة علينا أن ندفع الشبهة عن أنفسنا، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٢ ـ عندما يعجز ربّ الأسرة ومعيلها عن العمل فإن وظيفة الأولاد كافة حتى البنات القيام بما كان عليه من مسؤولية، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

١٣ ـ لا تضع شرطاً لمدّ يد العون للآخرين، بل عليك الإسراع بذلك، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾؛ فإن موسى اكتفى بما أخبرته به المرأتان من حالهما ليقدم على عونهما وقضاء حاجتهما دون أن يدخل في سؤال وجواب معهما.

١٤ ـ علينا أن نخدم الآخرين بإخلاص ونطلب حاجاتنا من الله ﷻ، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ... رَبِّ إِنِّي﴾. (فقد قام موسى بسقي غنم الفتاتين، ولكنه لرفع حاجة الجوع فيه لجأ إلى ﷻ ولم يطلب منهما العون في ذلك).

١٥ ـ نلجأ في طلب كل شيء إلى الله ﷻ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

١٦ ـ لا ينبغي أن نحدد المصداق في طلب الحاجة من الله ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (فموسى على الرغم من جوعه ولكنه لم يطلب من الله ﷻ نوعاً محدداً من الطعام).

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥)﴾

التعاليم

١ ـ لا بد من الإسراع في مجازاة من أحسن إلينا، ﴿فَجَآءَتْهُ﴾.

٢ ـ خروج المرأة من بيتها لا بدّ من أن يكون على أساس الحياء والعفّة، ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، (والحياء من أفضل خصال المرأة في التوصيف القرآني).

٣ ـ يجب أن تكون الدعوة من الرجل للرجل ومن المرأة للمرأة، ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾.

٤ ـ لا تكن ضيفاً لم تُوجَّه الدعوة إليه، ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾.

٥ ـ من يخرج هارباً من ظلم طاغوت فإن بيت نبي الله يكون ملجأه ومأواه، ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾.

٦ ـ إيواء ابن السبيل من أبرز خصال الأنبياء، ﴿يَدْعُوكَ﴾.

٧ ـ ينبغي النظر بعين التقدير إلى ما يقدمه الآخرون من خدمات، ﴿لِيَجْزِيَكَ﴾.

٨ ـ لا تنافي بين قصد القربة وبين تقدير الآخرين للعمل، ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾ (فموسى عليه السلام سقى لهما طلباً لرضا الله عز وجل، ولكن شعيباً عليه السلام قدّر له ما قام به وجزاه على عمله).

٩ ـ ينبغي أن نطلع أهل الخبرة على ما يجري من أحداث وتحليلها والاستنتاج منها، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾.

١٠ ـ عاقبة أهل الإيمان الاستقامة والنجاة، ﴿نَجَوْتَ﴾.

١١ ـ دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿نَجَوْتَ﴾؛ ففي الأمس كان دعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]، واليوم يسمع قول شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

١٢ ـ لقاء أولياء الله سبب للطمأنينة والإحساس بالأمن والأمان، ﴿نَجَوْتَ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾

إشارات:

□ عن الإمام الرضا عليه السلام: «لما قالت: ﴿اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، **قال أبوها: كيف علمت ذلك؟ قالت: لما أتيته برسالتك فأقبل معي**

---

(١) سورة القصص: الآية ٢١.

قال: كوني خلفي ودليني على الطريق، فكنت خلفه أرشده كراهة أن يرى مني شيئا»[1].

التعاليم

١ ـ للبنات في الأسرة حق تقديم المقترحات ولا يفترقون بذلك عن غيرهم، ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾.

٢ ـ العلاقة الحسنة بين الأبوين والأولاد ومنح الأولاد حرّية التعبير هو من القيم المهمة، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾.

٣ ـ لكل فرد من الأسرة حق الرأي؛ ولكن الرأي النهائي هو لربّ الأسرة، ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾.

٤ ـ تسعى المرأة العفيفة للحد من خروجها من المنزل، ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾؛ (لا بد من الاعتماد على الرجل في المهام الصعبة التي تؤدى خارج المنزل).

٥ ـ العمل ليس عيباً؛ لذا كان أولياء الله من العمال، ﴿ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾.

٦ ـ لا بد من اختيار الأفضل عند تعدد الاختيارات، ﴿خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾.

٧ ـ لا بد عند استئجار فرد ما لعمل ما أو استخدامه، أن يكون حائزاً على عنصرين هما: القدرة (التخصص) والأمانة (التدين)، ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

٨ ـ لا بد من السعي لمعرفة الإمكانات والقدرات التي يمتلكها الفرد ومدى أمانته دون أن يشعر بذلك، ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾، (يتستر غالب الأفراد على واقعهم من خلال التملّق والرياء والتصنع؛ ولكن موسى تمكّن من أن يبين ما لديه من إمكانات وما يتمتع به من عفة في ظروف طبيعية).

العمل والعمال

ـ أراد الله ﷻ من هذا الإنسان أن يعمّر الأرض وهو أمر لا يتحقق دون سعي

(١) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٤.

وبذلٍ للجهد الممكن، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[(١)].

- ورد التأكيد في القرآن الكريم على العمل الصالح وله معنى واسع جداً.
- أنبياء الله ﷺ كانوا يعملون بالرعي والزراعة والخياطة والنجارة.
- العمل عبادة في تعاليم الإسلام بل هو بمنزلة الجهاد[(٢)].
- لا يستجاب دعاء الذي يترك العمل ويكتفي بالدعاء.
- العمل وسيلة لتربية الجسم والروح، فملء أوقات الفراغ يمنع الفتنة والفساد، وهو عامل نمو ونبوغ وابتكار، وهو باب التنمية الاقتصاديّة، العزة والاستقلال وتقديم العون للآخرين.
- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[(٣)].
- يعظم الإسلام من شأن العمل وقد أوصى بمراعاة حق العامل، وإرضائه وإعطائه أجره فوراً، والزيادة على ما وقع الاتفاق عليه، والتعامل معه باحترام. كما أوصى الإسلام بالزراعة حتى عد ري شجرة بالماء بمثابة ري إنسان مؤمن.
- يوصي الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى أحد عماله بالاهتمام بالزراع من العاملين في الأرض وعدم ظلمهم ومداراتهم في أخذ الخراج منهم.
- للعمل الفكري قيمته وأهميته أيضاً؛ لذا كان تفكر ساعة خير من ساعات في العبادة.
- التهاون واللامبالاة في العمل أمر منهي عنه في الإسلام وقد ورد عن رسول الله ﷺ: **«يحبّ اللّه العامل إذا عمل أن يحسن»**[(٤)].
- حث القرآن على البدء بعمل جديد فور الفراغ من العمل الذي بين يديك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾[(٥)]؛ لذا لا يصح البقاء دون عمل. فالفراغ سبب للكسل والتعب وباب ينفذ منه الشيطان لإيجاد الفتنة ونشر الفساد.

---

(١) سورة هود: الآية ٦١.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣.
(٣) سورة الملك: الآية ١٥.
(٤) نهج الفصاحة، ص ٨٠١.
(٥) سورة الانشراح: الآية ٧.

- جعل الإسلام للعمل وقتاً محدداً لا ينبغي تجاوزه؛ لذا أطلق على من يعمل في أيام العطل تسمية معتدي[1].

- ما هو مورد اهتمام الإسلام نوع العمل لا مقداره وكميته[2].

- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «اجْتَهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ سَاعَةً لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ وَسَاعَةً لِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَسَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ وَالثِّقَاتِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَيُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَسَاعَةً تَخْلُونَ فِيهَا لِلَذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثَةِ سَاعَاتٍ ـ لَا تُحَدِّثُوا أَنْفُسَكُمْ بِفَقْرٍ وَلَا بِطُولِ عُمُرٍ فَإِنَّهُ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ بَخِلَ وَمَنْ حَدَّثَهَا بِطُولِ الْعُمُرِ يَحْرِص»[3].

- من تعظيم الإسلام لأهميّة العمل ما ورد في الحديث: «إن الله عزّ وجلّ يبغض كثرة النوم، وكثرة الفراغ»[4]. وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»[5].

- في الرواية: «أَصَابَتْ أَنْصَارِيّاً حَاجَةٌ فَأَخْبَرَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: ائْتِنِي بِمَا فِي مَنْزِلِكَ وَلَا تُحَقِّرْ شَيْئاً؛ فَأَتَاهُ بِحِلْسٍ وَقَدَحٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ يَشْتَرِيهِمَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا عَلَيَّ بِدِرْهَمٍ؛ فَقَالَ: مَنْ يَزِيدُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا بِدِرْهَمَيْنِ؛ فَقَالَ: هُمَا لَكَ ابْتَغِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاماً لِأَهْلِكَ وَابْتَغِ بِالْآخَرِ فَأْساً؛ فَأَتَاهُ بِفَأْسٍ؛ فَقَالَ: مَنْ عِنْدَهُ نِصَابٌ لِهَذَا الْفَأْسِ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: عِنْدِي فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: فَأَثْبَتَهُ بِيَدِهِ؛ فَقَالَ: اذْهَبْ وَاحْتَطِبْ وَلَا تُحَقِّرَنَّ شَوْكاً وَلَا رَطْباً وَلَا يَابِساً؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً فَأَتَاهُ وَقَدْ حَسُنَتْ حَالُهُ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِكَ كُدُوحُ الصَّدَقَةِ»[6].

---

(١) ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾؛ سورة البقرة: الآية ٦٥.

(٢) ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ سورة هود: الآية ٧.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٣٢١.

(٤) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٧.

(٥) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٧.

(٦) مجموعة ورام، ج١، ص ٤٥ ـ ٤٦.

والمستفاد من هذه الرواية أمور:

١ ـ إن الأنبياء يفكرون في ما فيه نفع حياة الناس.

٢ ـ إن أضعف أفراد المجتمع يتمكن من ملاقاة الشخص الأول في المجتمع الإسلامي.

٣ ـ إن المجتمع بحاجة إلى التعاون، فالفأس من شخص والعصا من آخر.

٤ ـ لا بد لمحاربة الفقر من وضع أدوات الإنتاج تحت يد القوى الفاعلة والمنتجة.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾

إشارات:

□ يمكننا أن نجعل من كلّ عمل نقوم به مصداقاً لما يريده الله ﷻ، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ﴾[1]، فيمكننا كلما أردنا ان نغسل وجوهنا أن ننوي الوضوء، وكلما أردنا الجلوس نجلس باتجاه القبلة، وأن نجعل الهدف من الدرس والتحصيل العلمي نيل رضا الله ﷻ دون المنصب والمقام، وأن نشتري الثياب لزوجاتنا في مناسبة إسلاميّة كعيد الغدير أو ولادة الزهراء عليها السلام، وكذلك نجعل من الهدايا والعطايا التي نقدمها لأبنائنا بدلاً عما اكتسبوه من مقام معنوي، كما استبدل في الآية التعبير بثمان سنوات بقوله: ثماني حجج.

التعاليم

١ ـ العمل الذي يقوم به الإنسان بدافعٍ إنسانيّ وبقصد إعانة الضعيف، يترتب عليه الأجر الدنيوي مضافاً إلى الأجر الأخروي، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(فموسى عليه السلام كان إلى ساعات سابقة يعيش الخطر على حياته، ولكنه بعد العمل الإنسانيّ الذي قام به أصبح في أمان على حياته، وله زوجة، وصاحب عمل).

٢ ـ نتعلم من الأنبياء سنن الزواج وآدابه (كالحضور إلى منزل الفتاة والتحدث مع أبيها)، ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ... إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.

٣ ـ من الضروري أن يحصل التعرف على الرجل قبل تزويجه، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ... قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ (فقد ذكر موسى وبصدق ما جرى معه لشعيب، وكان ذلك سبباً لاطمئنان شعيب له؛ وحينئذٍ اقترح عليه تزويجه من ابنته).

٤ ـ إذا علمت أمانة الرجل، وقدرته وإرادته الجدية للعمل والسعي في طلب الرزق ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾، فلا ينبغي أن يقف افتقاده للبيت أو القدرة المالية حائلاً أمام تزويجه من قبل الأب، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.

٥ ـ لا مانع من أن يقوم الأب بعرض الزواج من ابنته على من يراه مناسباً، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.

٦ ـ ليس من الضروري رعاية الترتيب في تزويج البنتين وتزويج البنت الكبرى قبل الصغرى كقاعدة عامة، ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ فشعيب قال لموسى إنه يريد أن يزوّجه إحدى ابنتيه ولم يشترط عليه أن تكون هي الأولى أو الثانية.

٧ ـ لا ينبغي للأب أن يُميِّز بين بناته في الزواج، ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾.

٨ ـ لا مانع من جلوس الفتاة والشاب معاً عند خطبتها وعرض الزواج عليها، ﴿هَٰتَيْنِ﴾.

٩ ـ لا بد من أن نراعي الغريزة الجنسية، حتى في بيت النبوّة، فلأجل تأمين سلامة البيئة في العمل والسكن لا بد من الاهتمام أولاً بمسألة الزواج ثم الانتقال بعد ذلك إلى مسألة استئجار العامل، ﴿أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ... عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾.

١٠ ـ يترتب على الزواج مهر للزوجة، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾.

١١ ـ لا يلزم أن يكون المهر مالاً أو ثروة. فشعيب عرض زواج ابنته على موسى على أن يعمل لديه ثمانيَ سنوات، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ (لا بد في شريعة الإسلام من مراجعة فتاوى الفقهاء في هذا الشأن).

١٢ ـ تحديد الآجال ينبغي أن يكون على أساس أوقات العبادات والأمور المعنوية، ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾؛ (فقد ذكر الحجج ولم يقل ثمانية أعوام).

١٣ ـ من وسائل نشر المعروف تعظيم أيام الله ﷻ، ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾.

١٤ ـ لا يمنع مقام النبوة من الحديث عن مقدار المهر ومال الإجارة، ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾.

١٥ ـ لقد كان للحج مراسمه في الأديان السابقة، ﴿حِجَجٖۖ﴾.

١٦ ـ عند الحديث عن المهر يجب على والد الفتاة أن يختار الحد الأدنى ويجعل اختيار الزائد بيد الرجل، ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فقد جعل شعيب الخيار لموسى عليه السلام في إتمام العشر.

١٧ ـ لا ينبغي التشدُّد في أمر المهر، ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾.

١٨ ـ على والد الفتاة أن لا يتشدد في أمر الزواج، وأن ينظر في مسألة المهر إلى قدرة الزوج، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾.

١٩ ـ ليس من الصالحين من يستخدم القسوة والشدّة مع العاملين لديه أو الأجراء عنده، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٢٠ ـ لا بد للرجل من أن يعيش الطمأنينة مع الجماعة الذين يرتبط معهم حديثاً، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٢١ ـ لا تعد أحداً بأمر في المستقبل إلّا أن تقول: «إن شاء الله» وتقصد طلب الاستعانة بالله، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٢٢ ـ لا بد من دوام الثقة بين الزوج وأهل الزوجة، ﴿سَتَجِدُنِيٓ... إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

اهميّة الزواج

ورد في الرواية أن من تزوج فقد أحرز نصف دينه. وأن ركعتين يصليهما

المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما العازب. وأن المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب[١].

وخلافاً لمن يعتقد بأن الزواج سبب للفقر فإن رسول الله ﷺ يذكر أن الزواج سبب لنزول الرزق.

وقد ورد عنه ﷺ: «**من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا، فقد أساء الظن بالله ﷻ**»[٢].

ونجد في الروايات أيضاً: «**من زوج أعزباً كان ممن ينظر الله ﷻ إليه يوم القيامة**»[٣].

وقد أكد القرآن الكريم على الزواج وأهميّة بناء الأسرة[٤]، ونهى عن خوف الفقر، وأن العباد الصالحين إن كانوا فقراء فإنّ الله ﷻ يغنيهم من فضله[٥].

الزواج وسيلة للسكن[٦]، وبالزواج تتقارب العوائل وتتراحم القلوب وتتوافر الظروف المناسبة لتربية النسل وقيام روح التعاون والتآلف[٧].

وورد في الرواية: «**إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلا اجتناؤه وإلا أفسدته الشمس**»[٨].

اختيار الزوجة

المعيار الذي يعتمده الناس في اختيار الزوجة يعتمد على: الثروة، الجمال، الحسب، والنسب؛ ولكننا نقرأ في الروايات قولهم: «**عليك بذات الدين**»، **أي إن المعيار هو العقيدة**[٩]. وفي حديث آخر ورد أن الجمال قد يكون سبباً للهلاك والثروة قد تكون سبباً للطغيان[١٠].

---

(١) ميزان الحكمة.
(٢) ميزان الحكمة.
(٣) الكافي، ج ٥، ص ٣٣١.
(٤) سورة النور: الآية ٣٢.
(٥) سورة النور: الآية ٣٢.
(٦) سورة الروم: الآية ٢١.
(٧) ميزان الحكمة.
(٨) ميزان الحكمة.
(٩) كنز العمال، ح ٤٦٦٠٢.
(١٠) ميزان الحكمة.

وورد عن رسول الله ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب [إليكم] فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**(١).

وورد عن الإمام الحسن عليه السلام في جوابه لرجل جاء يستشيره في تزويج ابنته: **زوجها من رجل تقي، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»**(٢).

وورد في الروايات النهي عن تزويج شارب الخمر، سيء الخلق، أهل الشبهات ممن تربى في بيئة الفساد(٣).

نعم الزواج على نوعين: دائم ومؤقت، وقد حثّ القرآن الكريم كما حثّت الروايات عليهما معاً، ولكن للأسف فإن الزواج الدائم وبسبب بعض العادات والتقاليد التي لا أساس لها، والتي ترجع إلى حالات التفاخر بين الأقارب، وتحقيقاً لأحلام أهل الفتاة يصبح أكثر صعوبة وأشد تعقيداً إلى حد لا يمكن أن يطيقه الشباب. وأما الزواج المؤقت فقد أصبح قبيحاً بنظر الناس حتى أصبحت الفحشاء بديلاً له.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- فسّرت عبارة ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ بمعنيين؛ أحدهما، أن مهر الفتاة التي تزوجها سواء أكان ثماني حجج أو عشر حجج فإنه ليس في ذلك من ظلم عليّ؛ وثانيهما، إن مراده من ذلك أنه لو أراد بعد انقضاء أحد الأجلين الذهاب والمغادرة فلا مانع من ذلك، أي أنه يبقى هذه المدّة وما بعدها يكون الأمر تابعاً لاختياره.

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٣٧٢.

(٢) مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٤٦.

(٣) ميزان الحكمة.

التعاليم

١ ـ لا يلزم في عقد الزواج (وخلافاً للطلاق) أن يكون أمام شهود يشهدون عليه، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

٢ ـ على الإنسان أن يجعل في العقود التي يمضيها بعض الخيارات له، ويبقي لنفسه مجالاً ليكون حراً في بعض المسائل، ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾.

٣ ـ الإيمان بالله ﷻ ضمانة لسلامة أي عقد أو اتّفاق، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

- «آنست» من «الأنس» بمعنى المشاهدة الموجبة للاطمئنان والسكون. «الجذوة» هي القطعة وكلمة «تصطلون» من «صلى» بمعنى الإحماء بالنار.
- خطاب موسى لأهله كان بصيغة الجمع: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ... ءَاتِيكُم... لَعَلَّكُمْ... تَصْطَلُونَ﴾، ولعل ذلك منه كان لوجود ولد أو أولاد له بعد عشر سنين من زواجه.
- المستفاد من الجمل: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾، ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ في هذه الآية ومن جملة: ﴿أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ في الآية العاشرة من سورة طه أن حركة موسى كانت في الليل، وكانت ليلة باردة مظلمة وأنه قد ضلَّ الطريق.

التعاليم

١ ـ المؤمن يلتزم بالوفاء بأي شرط أو عقد يصدر منه، ﴿قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.

٢ ـ الزواج ووجود الأبناء لا ينبغي أن يشكل عائقاً أمام الهجرة والقيام بأداء

الوظائف والمسؤوليات، كما لا ينبغي للرجل أن يترك أسرته وعائلته ويهاجر بل عليه أن يجعلها ترافقه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾.

٣ ـ في المكان الذي لا نأمن فيه على الأهل لا ينبغي أن نصحبهم معنا، ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾، فرؤية النار أمر اختص به موسى، ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾، وحيث كان محل النار مبهما بالنسبة إليه فقد أمر أهله بالبقاء وانتظاره حتى يذهب ليرى ما حول النار وحده.

٤ ـ لا تنطق بوعد قطعي لأحد ما دمت غير مطمئن بتحقق وعدك، ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم...﴾ (كلمة لعل هي للترجي).

٥ ـ الرجل هو المسؤول عن تأمين حاجات أهله وأسرته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٦ ـ لا يتوقف الوصول إلى المقامات المعنوية والعرفانية على ترك الأهل، بل يمكن للإنسان أن يعيش حياة طبيعية كسائر الناس ويصل إلى أعلى درجات العرفان، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ... قَالَ لِأَهْلِهِ... لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- «الشاطئ» هو الجانب والساحل، «والوادي» أسفل ملتقى الجبلين، «والبقعة» هي القطعة من الأرض التي تختلف عن سائر القطع الملاصقة لها[(١)].

- الوحي الإلٰهيّ مفتوح على أشكال متعدّدة، فقد يكون عن طريق الإلهام في القلب، أو إرسال الرسول من الملائكة، أو حتى صدور الصوت من الشجرة مخاطباً النبي الذي يريد إنزال الوحي عليه.

كما ورد في سورة الشورى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[(٢)].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

التعاليم

١ ـ لبعض الأمكنة قداستها الخاصة، ﴿ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾.

٢ ـ في المواطن التي تكون مثار تعجب لا بد من زيادة التأكيد، (فموسى عندما سمع الصوت لأول مرة تعجب ولذا تعدد التأكيد في كلام الوحي الإلٰهيّ، ﴿إِنِّىٓ أَنَا﴾.

٣ ـ إذا أراد الله ﷻ أمراً جعل تفكير الإنسان ورؤيته للأمور تتجه نحوه، فقد ذهب موسى لما رأى النار؛ لكي يأتي منها بقبس ينير لأهله الطريق ويقيهم البرد به؛ ولكن الله أراد أمراً آخر، ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ... إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا
وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

التعاليم

١ ـ تستطيع القدرة الإلٰهيّة الإتيانَ بالمعجزة من أي شيء كان، ﴿أَلْقِ عَصَاكَ... كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

٢ ـ لا بد عند القيام ببعض المهمات العظيمة من التدريب والتمرين المسبق، ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ (فلا بد لموسى أن يرى معجزته قبل أن يتحدّى الناس بها وفعلها أمامهم).

٣ ـ الأنبياء كسائر الناس بالنسبة للطباع البشرية كالخوف والقلق، ﴿وَلَا تَخَفْ﴾.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ
فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

□ جملة ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ إما بمعنى أنك عند الخوف والاستيحاش عليك أن تضع يدك على صدرك أو على فخذك وذلك خلافاً

لبعض الناس إذ يرفع يده إلى الأعلى عند الخوف، أو بمعنى العزم والتصميم والإقدام على تنفيذ الأمر الإلٰهيّ بثبات[١].

□ ورد في التوراة: «ثم قال له الرب أيضاً أدخل يدك في عبك. فأدخل يده في عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج»[٢]. ولكن القرآن لم يتحدث عن بياض يد موسى من المرض بل جعل ذلك دليلاً على سعة القدرة الإلٰهيّة في مقام الاستدلال وسد الباب أمام أي شبهة أو انحراف، ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾.

التعاليم

١ ـ عندما نظهر الغلبة والقهر لا بدّ من أن نظهر معهما اللطف أيضاً، ﴿تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ... تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾.

٢ ـ ليس في المعجزات الإلٰهيّة نقص أو ضرر، ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾.

٣ ـ لا بدّ من أن تقترن الدعوة والإرشاد بالحجة المنطقية والإلٰهيّة، ﴿بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾.

٤ ـ تبدل العصا حية وخروج اليد بيضاء علامة على الترغيب والتحذير، فالإنذار والتبشير عنصران أساسان في مجال التربية، ﴿بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾.

٥ ـ لإصلاح المجتمع لا بد من الاتجاه بدايةً ناحية رؤوس الفسق والفساد ومنابعهما، ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾.

٦ ـ لقانون القصاص تاريخه الطويل، ﴿قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾.

٧ ـ لا بد عند تقبل المسؤولية من معالجة الموانع والعوائق، ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح الرابع، الجملة ٦.

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

- هارون: (هو في اللغة بمعنى ساكن الجبال أو القاصد) هو الأخ الأكبر لموسى وهو من أنبياء بني إسرائيل وقد أثنى عليه الله ﷻ في القرآن.
- خوف موسى عليه السلام في أداء وظيفته من بلاغ الرسالة كان من أمرين: قصاص القتل: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾، وتكذيب الحق: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.
- عند اختيار شخص ما لأداء مسؤولية عظيمة لا بد من ملاحظة صفاته وخصائصه كافة. فهارون وإن كان أكبر من موسى عليه السلام وأفصح منه؛ ولكن المسؤولية ألقيت على عاتق موسى عليه السلام لأنه يمتلك من الصفات والقابليات ما يجعله أولى، مع أن هارون كان نبياً من أنبياء الله ﷻ.
- قد يستلزم الأمر أحياناً عند التبليغ، الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيام أكثر من فرد معاً بذلك، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ﴾.

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر الأساس هو التأثير؛ فإن كان التأثير يحصل بالإشارة فلا بد منها، وإن استلزم ذلك الصراخ فلا بد منه. وإن كان ذلك عبر التظاهر، أو إصدار البيانات، أو الاعتصام، أو إقامة التجمّعات، أو التهديد، أو الترغيب، فلا بد من سلوك ذلك بالنحو الممكن، فلا بد من الوقوف بوجه الفساد قلباً ولساناً وعملاً، وإن كان التأثير لا يتحقق إلا بالتكرار فلا بد منه.

التعاليم

١ ـ الاعتراف بكمالات الآخرين هو بنفسه صفة كمال وقيمة، ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى﴾، فموسى عليه السلام مع كونه نبياً ومن أولي العزم يعترف لأخيه بالكمال.

٢ ـ امتلاك القدرة على البيان من العوامل المؤثّرة في جذب الناس ونجاح العمل التبليغي، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾.

٣ ـ لا بد عند الإرشاد والدعوة من استثمار أفضل الوسائل في ذلك، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾.

٤ ـ ينبغي استخدام كل طاقة من الطاقات في موردها ومحلها، ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾ (فهارون كان يمتلك أسلوباً في البيان وكان له دور أساس في وظيفة البلاغ؛ لذا طلب موسى ﷺ مرافقة أخيه هارون له في أداء الرسالة).

٥ ـ لا ينبغي أن يكون المسؤول والمتصدي لأمر أفضل في كافة الكمالات، بل لا بدّ من أن يكون أكثر لياقة من حيث المجموع، ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾، (فعلى الرغم من كون موسى هو المسؤول عن أداء الرسالة إلّا أن هارون كان أفضل من موسى ﷺ في بعض الجهات).

٦ ـ قد يلزم أحياناً قيام الإنسان وفي سبيل رفع بعض العوائق من تقديم اقتراحات وتقديم حلول للجهات المسؤولة، ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ... فَأَرْسِلْهُ﴾.

٧ ـ التوقع والتخطيط واستشراف المستقبل تختلف عن الخوف المذموم، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

٨ ـ المساعد في أداء الرسالة الإلٰهيّة يكون تعيينه من الله ﷻ أيضاً، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ كما نعتقد بأن خليفة النبي لا بد من أن يكون تعيينه من عند الله ﷻ.

٩ ـ إيمان ذوي القربى ودفاعهم عمن يؤدّي الرسالة الإلٰهيّة له تأثيره على المؤدّي لتلك الرسالة وعلى الآخرين أيضاً، ﴿أَخِى... يُصَدِّقُنِىٓ﴾.

١٠ ـ دعاء الأنبياء وطلبهم مستجاب، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ... سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾، فموسى طلب من الله ﷻ مرافقة هارون له ليكون معيناً له ومصدقاً فاستجاب الله ﷻ له ذلك.

١١ ـ أفضل أنواع الأخوة، الأخوة في نصرة الحق ونصرة الأخ في المسيرة الإلٰهيّة، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

١٢ ـ انتصار الأنبياء يتحقق في ظل الآيات الإلٰهيّة، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾.

١٣ ـ الأنبياء أيضاً يحتاجون إلى روح الأمل والطمأنينة. فقد وعد الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام وأتباعهما بالنصر وبثّ روح الأمل فيهما، ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ الاتهام أعظم سلاح يوجهه المستكبرون إلى صدور المصلحين، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا﴾.

٢ ـ تعاليم أنبياء الله ﷻ ليست تابعة لتقاليد الآباء، ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا﴾.

٣ ـ يكمن الملاك والمعيار في الاعتقاد والمنطق والبرهان، لا في سيرة الآباء، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا﴾ (فعدم وجود سابقة لفكرةٍ ما لا يدل على فسادها).

٤ ـ يضحي بعض الناس بالمنطق الواضح في سبيل الماضي المظلم، ﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ... وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الآية السابقة أن فرعون وقومه وصفوا معجزة موسى عليه السلام وبوقاحة تامة بأنها سحر وأنكروا أن يكونوا قد سمعوا هذا الكلام من آبائهم، وهنا رد عليهم موسى عليه السلام كناية بأنهم كاذبون إذ كان يوسف عليه السلام قبل موسى داعية لدين إبراهيم في آبائهم.

التعاليم

١ ـ لا بد للإنسان من التوكل على الله ﷻ في مواجهة تكذيب الكفار للمعجزات ووصفهم لها بأنها سحر، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ... رَبِّيٓ أَعۡلَمُ...﴾.

٢ ـ لا بد من رد الدعاوى الباطلة باستخدام الشعار الإلهيّ، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ... رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾.

٣ ـ لم يدع الله ﷻ قوماً دون هاد وقائد، ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾.

٤ ـ المهتدون لهم العاقبة الحسنى، ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ﴾.

٥ ـ الدعوة إلى المعاد تقع على رأس دعوة الأنبياء، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ... وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ﴾.

٦ ـ من يصف الأنبياء بأنّهم سحرة هم الظالمون الذين لا يفلحون، ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾

إشارات

- كلمة «صرح» تعني البنيان المرتفع. وتفيد هذه الآية بأن أهل مصر القديمة كانوا يتقنون صنع الآجر وبناء الأبراج العالية.

التعاليم

١ ـ روح الاستكبار تمنع الإنسان من اتّباع الحق؛ فقد قال فرعون ما علمت لكم من إله غيرى، ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

٢ ـ يفرض المستكبرون عقائدهم وأفكارهم على الآخرين فرضاً، ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

٣ ـ شعار المستكبرين: كل ما لا نعلم به لا وجود له، ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم...﴾.

٤ ـ توقع أن الله ﷻ يُرى بالعين الجسمانية نمط تفكير فرعوني، ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾.

٥ ـ يعمد المستكبرون وفي سبيل حرف أفكار عامة الناس إلى التوسل بالسلطة والاحتيال على الناس، ويظهرون لهم أنهم يقومون بالبحث بشكل جدي عن الحقيقة، ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ﴾.

٦ ـ يرى المستكبرون أنهم هم محور كل شيء، (فقد كان فرعون في كلامه يجعل من نفسه أساس كل شيء) ﴿مَا عَلِمْتُ... غَيْرِى... فَأَوْقِدْ لِي... فَٱجْعَل لِّي... لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ... وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الاستكبار والمستكبرون

ـ في كل عصر وعلى مر التاريخ، يوجد أناس من أهل الغرور والتكبر يرون أنفسهم أساس كل شيء. وفي هذه السورة نجد كيف أن فرعون يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ وعندما آمن السحرة بموسى ﵇ قال: ﴿ءَامَنتُمْ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

فقد كان فرعون يرى أنه لا يحق لأحد أن يعتقد بأي اعتقاد دون إذن منه. والفراعنة اليوم المتمثلون بالقوى الكبرى يرون أنفسهم محور كل فكر، وسياسة، واقتصاد، وأنهم أصحاب القرار في هذا العالم.

ـ قد يقدم المستكبرون ولإظهار مدى قوتهم على إبادة إنسان أو جماعة أو بلد، أو تقديم العون لهم. فنمرود خاطب إبراهيم بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾[1]، أي إن حياة الناس وموتهم بيدي، فمن أريد قتله أقتله ومن أريد تحريره وإطلاقه أفعل.

ـ يعمد المستكبرون إلى ذر الرماد في عيون الناس بإظهارهم ما يملكون من مال ومتاع في هذه الدنيا كقول فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨. (٢) سورة الزخرف: الآية ٥١.

ـ قد يلجأ المستكبرون إلى استخدام العنف لجعل الناس يخضعون لهم. فقد خاطب فرعون السحرة عندما آمنوا بموسى عليه السلام بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾[1].

ـ يسعى المستكبرون لخداع ضعاف النفوس من الناس بإظهار مدى تمكنهم وسطوتهم وما يملكونه من مال. فقارون عندما خرج على الناس في زينته تمنى بعضهم أن يكون لهم ما لقارون[2].

ـ يسعى المستكبرون لشراء عقول الناس من خلال تطميعهم فيشترون بذلك عقولهم وأفكارهم. كما خاطب فرعون السحرة بقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[3].

ـ يعمد المستكبرون ومن خلال سيرهم في الأرض إلى زرع الشك في القلوب. ولذا قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[4].

ـ يستخدم المستكبرون الحرب النفسية من خلال احتقارهم للآخرين، وينسبون إلى أتباع الأنبياء ما لا يليق، ذماً منهم لهم، ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[5].

ـ يسعى المستكبرون للسيطرة على قلوب الناس ببناء ما يوجب الرهبة في نفوسهم كتشييد بناءٍ مرتفع. فقد خاطب فرعون وزيره هامان بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[6].

وبهذا تظهر عظمة القرآن الكريم في بيانه ووصفه لصفات المستكبرين وخلقهم وسلوكهم، بالنحو الذي نجد أنه ينطبق عليهم حتى في زماننا هذا.

التعاليم

١ ـ الناس على دين ملوكهم وحكامهم، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٤.
(٢) سورة القصص: الآية ٤.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١١٤.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٦
(٥) سورة الشعراء: الآية ١١١.
(٦) سورة غافر: الآية ٣٦.

٢ ـ الحق هو معيار المدح والذم الواردين في آيات القرآن الكريم، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

٣ ـ الغفلة عن أن الدنيا دار ممر، وظن الخلود فيها، هو سبب روح الاستكبار في النفوس، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.

٤ ـ عدم الاعتقاد بالمعاد واللامبالاة بالحساب هو سبب قيام روح الاستكبار في النفوس، ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

- في الآية الكريمة تشبيه لفرعون وجنوده بشيء لا قيمة له يؤخذ من الأرض ويُرمى به في الماء. وهذا الاحتقار لهم لأن أي عظمة وسطوة ليست بشيء أمام القهر الإلٰهيّ.
- «نبذ» بمعنى أن يرمي من الأشياء ما لا قيمة له.

التعاليم

١ ـ لا يختص العقاب الإلٰهيّ بالعقاب الأخروي، (ففرعون أهلكه الله ﷻ بالغرق في هذه الدنيا)، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾.

٢ ـ أنصار الظَّلَمَة شركاء لهم في المصير الذي يصيبهم، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾.

٣ ـ خاتمة المستكبرين الذلة والهزيمة، ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾.

٤ ـ لأجل قطع جذور الفساد لا بد من إبادة كل من تلوث به، ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾.

٥ ـ لا بد من النظر إلى أحداث التاريخ بعين العبرة، ﴿فَٱنظُرْ﴾.

٦ ـ مصير الظالمين واحد، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (فالله ﷻ عبر في آياته بعاقبة الظالمين ولم يقل عاقبة فرعون).

٧ ـ المهم هو عاقبة العمل لا مظاهره الموقّتة، ﴿فَٱنظُرْ... عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

□ كما استخدم القرآن الكريم مفردة «أئمة» في أئمة الهدى والنور إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١]، كذلك استخدم هذه المفردة في أئمة الضلال والنار، فقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، ولذا يحضر الناس في يوم القيامة للحساب في محكمة العدل الإلٰهيّ مع إمامهم، ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[٢]. وفرعون هو أيضاً من أئمة الكفر الذين يوردون قومهم نار جهنم، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[٣].

التعاليم

١ ـ روح الاستكبار تجعل الإنسان إماماً لأهل النار، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً...﴾.

٢ ـ لا يمكن تجاهل دور الدول في صناعة ثقافة المجتمع وعقيدته، ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٣ ـ دعوة المستكبرين في حقيقتها دعوة إلى النار، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٤ ـ المستكبرون اليوم الذي يفخرون بعددهم وعدّتهم، لن يجدوا لهم ناصراً يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.

٥ ـ العقاب الإلٰهيّ لا يختص بالآخرة، ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٦ ـ لعنة الناس وغضبهم مظهر من مظاهر العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، كما إن دعاء الناس للإنسان بالخير وذكره الحسن مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة الإلٰهيّة، ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧١.
(٣) سورة هود: الآية ٩٨.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

٧ ـ ينبغي التبرؤ من الظالم حتى بعد موته وفنائه، ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ... لَعْنَةً﴾.

٨ ـ العمل السيء في الدنيا سبب لكون الإنسان من المقبوحين في الآخرة، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

- كلمة «بصائر» جمع «بصيرة» بمعنى العلم والمعرفة وكلمة أبصار جمع بصر بمعنى العين.

التعاليم

١ ـ عند هزيمة الطاغوت تتوافر الظروف لدولة الصالحين، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا﴾.

٢ ـ خاتمة عمل المستكبرين الهلاك والزوال، ﴿أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

٣ ـ التدين لا بدّ من أن يقوم على أساس البصيرة، ﴿بَصَآئِرَ﴾.

٤ ـ إرسال الكتب والرسل يقوم على أساس الرحمة الإلهيّة، ﴿لِلنَّاسِ... وَرَحْمَةً﴾.

٥ ـ الكتب السماوية عامل بصيرة وهداية، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾.

٦ ـ ما لم يصل الإنسان إلى البصيرة لن ينال الهدى، وما دام لم ينل الهدى فلن يتلقى رحمة الله ولطفه، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾.

٧ ـ الدين مغروس في فطرة الإنسان ووظيفة الكتب السماوية إزالة الحجب عن هذه الفطرة، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٨ ـ على الرغم من وجود الكتب السماوية وأنبياء الله إلا أن بعض الناس لا يهتدون، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤﴾

إشارات

- يتمكن الإنسان من خلال دراسة تاريخ الماضين من أن يعيش معهم، وإن لم يكن حاضراً بينهم. ففي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام يقول: **«فإني وإن لم أكن عُمِّرت عُمُرَ من كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم وفكّرتُ في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عُدتُ كأحدهم...»**[1].
- عبارة (ما كنت) وردت مرتين في هذه الآية وتكررت في الآيات اللّاحقة لأجل التأكيد على كون أخبار القرآن من الغيب.

التعاليم

١ ـ نَقْلُ ما جرى مع النبي موسى عليه السلام بكافة تفاصيله على لسان النبي صلى الله عليه وآله الذي لم يكن حاضراً في تلك الأحداث هو من دلائل حقية القرآن الكريم وإعجازه، ﴿وَمَا كُنتَ﴾، ﴿وَمَا كُنتَ﴾.

٢ ـ بعض أخبار القرآن الكريم هي من الغيب وليس من نقل شهود عيان، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ...﴾.

٣ ـ الجانب الغربي من الطور هو محل نزول التوراة، ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٤٥﴾

إشارات

- كلمة «ثاوياً» من «ثوى» وهي بمعنى المقيم، كما إن كلمة «مثوى» من هذه المادة بمعنى المكان والمستقر.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

التعاليم

١ ـ حاجة الناس إلى التعاليم والمعارف الإلهيّة حاجة مستمرة في كل زمان ومكان، ﴿وَمَا كُنتَ... تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾.

٢ ـ مرور الزمان أدى إلى ضعف حضور تعاليم الأنبياء بين الناس، وبسبب ذلك توافرت أسباب بعثة نبي الإسلام ﷺ، ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ... كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

٣ ـ بعثة الأنبياء سنة من السنن الإلهيّة، ﴿كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ الأنبياء لولا صلتهم بعالم الوحي لكانوا كسائر الناس في علمهم بالغيب، ﴿مَا كُنتَ...﴾.

٢ ـ المقارنة بين الجهل والعلم، العجز والقدرة، الفقر والغنى، النقص والكمال مفتاح لمعرفة الذات والسعي نحو الله ﷻ، ﴿وَمَا كُنتَ... وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٣ ـ إخبارات القرآن الكريم كلها من الوحي السماوي، ﴿وَمَا كُنتَ... إِذْ نَادَيْنَا﴾.

٤ ـ بيان القصص الصحيحة والتي فيها عبرة في القرآن الكريم وسيلة للتربية والإنذار، ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾.

٥ ـ إنذار الخلق مظهر من مظاهر الرحمة الإلهيّة، ﴿وَمَا كُنتَ... إِذْ نَادَيْنَا﴾.

٦ ـ الإنذار والتحذير وسيلة نافعة لهداية الغافلين، ﴿لِتُنذِرَ... مِّن نَّذِيرٍ﴾، (على الرغم من أن دعوة الأنبياء جاءت ضمن لسانَيْ الترغيب والترهيب، ولكن لما كان للترهيب أثره البالغ في نفوس الغافلين نجد في القرآن اهتماماً بذلك).

٧ ـ الناس أحرار في اختيار معتقداتهم ولا إكراه في دعوة الأنبياء، ﴿لِتُنذِرَ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٨ ـ يعلم الناس من خلال الفطرة المودعة فيهم الكثير من الأمور، ولكن حذراً من النسيان لا بد من تكرار تذكيرهم، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية السابقة أن الهدف من بعثة الأنبياء إنذار الناس وتحذيرهم، وفي هذه الآية تعرض لهدف آخر من بعثة الأنبياء وهو إلقاء الحجة وسد باب العذر أمام الناس.
- مفهوم هذه الآية أن الكفار يقولون: إن سبب مصائبنا هو بسبب عملنا الفاسد لعدم وجود أنبياء بيننا، ولو كان لدينا أنبياء لما كنا من الكافرين، ويجيبهم الله ﷻ بأن إرسال الأنبياء والرسل هو لإلقاء الحجة عليهم.

التعاليم

١ ـ الكثير من المصائب والحوادث الأليمة هي نتاج فعل الإنسان، ﴿تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، فعمل الخير وعمل الشر له آثار تظهر في هذه الدنيا.

٢ ـ الإيمان بالله واتّباع الأنبياء هما سر النجاة من المصائب، ﴿تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ... لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾.

٣ ـ العلم والفطرة والعقل أدوات لا تنفع بمفردها، بل لا بدّ من أن ينضم إليها الوحي أيضاً، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾.

٤ ـ يقبح العقاب بلا بيان، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾ (بعثة الأنبياء هي لإتمام الحجة، حتى لا يحتج أحد بعدم العلم ويبرر ارتكابه للذنب بذلك).

٥ ـ الاتّباع والطاعة علامة الإيمان الحقيقي، ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

□ في تحديد المراد من قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ اختلاف؛ ويحتمل جداً أن يكون المراد بملاحظة الآيات التالية القرآن والتوراة.

التعاليم

١ ـ رسالة النبي ﷺ والقرآن حق، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا... فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ منكرو الحق يستبدلون البحث عن الحق بالقياسات الباطلة التي لا أساس لها، ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ... لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ﴾.

٣ ـ لا يمتلك المتحجرون من الناس الاستعداد لقبول أي منطق جديد، ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾.

٤ ـ السحر واتهام النبي بأنه ساحر من أكثر التهم انتشاراً في مواجهة الأنبياء، ﴿سِحْرَانِ﴾؛ (فالمنكرون يُظهرون للناس أن القرآن والتوراة سحر يحمي بعضه الآخر).

٥ ـ يتجه أعداء الحق لرمي الحق بصفات الباطل لفتح الباب أمام أنفسهم للإنكار، ﴿سِحْرَانِ... إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا بد من الردّ المناسب على شبهات المنكرين، ﴿قُلْ...﴾.

٢ ـ قد يلزم أحياناً لإثبات الحق استخدامَ أسلوب التحدّي والمواجهة والمناظرة، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ...﴾.

٣ ـ لا يكفي توجيه النقد، بل لا بد من تقديم الاقتراحات والحلول مع النقد، ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا... فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾.

٤ ـ من خصائص الأنبياء التحدي في طلب المعجزة والكتاب، ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ... أَهْدَىٰ﴾.

٥ ـ التوارة غير المحرفة والقرآن الكريم من أفضل الكتب السماوية لهداية الناس، ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ... أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾.

٦ ـ لا بد لأتباع الأديان الإلٰهيّة من السعي لحماية بعضِهم بَعضَهم الآخر، قال تعالى: ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ ولم يقل «أهدى مني»؛ نعم في مقابل المشركين من الكفار الذين لا يؤمنون بأي من الكتب السماوية والذين يطلقون شعار «إنا بكل كافرون» من الدفاع عن القرآن والتوراة وجعلهما إلى جانب بعضهما.

٧ ـ ينبغي على القادة الدينيين استخدام المنطق الأمثل في رد شبهات المنكرين، ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ... أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾.

٨ ـ القاعدة في الاختيار هي اتّباع الأفضل، ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾.

٩ ـ المعيار في اختيار المربي للكتاب وللصديق هو كونه هادياً، ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾.

١٠ ـ الإنسان عاجز عن الإتيان بكتاب أفضل من القرآن والتوراة غير المحرفة، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾

إشارات

□ للإنسان أعداء ثلاثة من الأمور المعنوية: زينة الدنيا، الميول النفسية والوساوس الشيطانية. ومن بين هذه الثلاثة الدنيا وزينتها هي مفتاح إذا تحرك باتجاهٍ انفتح بابه وإذا تحرك باتجاه آخر سد بابه، أي يمكن استخدام زينة الدنيا في سبيل الخير ويمكن استخدامها في طريق الشر. والوساوس الشيطانية هي

أيضاً وإن كان لها دور أساس؛ ولكنها لا تؤدي إلى إجبار الإنسان، مضافاً إلى أن الشيطان لا طريق له للنفوذ في قلب أولياء الله ولا يتسلط عليهم؛ ولكن العدو الثاني هو أخطرها لأن الهوى والميول النفسية أخطر عدو للإنسان[١].

التعاليم

١ ـ عبادة الهوى، (من خلال أسلوب الترويج، التزيين، المغالطة واتّباع الأكثرية)، قد تكون أحياناً بنحو لا يمكن التعرف عليها إلا مع امتلاك البصيرة والدقة، ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾.

٢ ـ إذا لم تفلح الهداية فإن الهوى يكون الحاكم، ﴿لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ...﴾.

٣ ـ منكرو الحق وعبادة الهوى هم أضل الناس، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

٤ ـ الهدى الحقيقي هو الهدى الذي ينبع من العلم والحكمة غير المتناهيين، ﴿هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾.

٥ ـ عبّاد الهوى والظالمون أبعد الناس عن هدى الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿۞وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١
ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾

إشارات

❑ كلمة «وصّلنا» من «الوصل» بمعنى الارتباط والاتصال. والمراد من هذا الاتصال تتابع التذكير الإلٰهيّ وتتاليه أو كون المضامين متفقة ومتوافقة.

❑ هداية الناس وعدم انقطاع هذه الهداية هي سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾[٢]، واستمرارها بالآيات الإلٰهيّة، وعن طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وعلماء الدين؛ ﴿وَصَّلۡنَا لَهُمُ﴾، وعندما لا يكون لطائفة من يهديهم يجب أن ينفر منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

(١) تفسير أطيب البيان.
(٢) سورة الليل: الآية ١٢.

التعاليم

١ ـ لا بد في التربية من أن يكون التذكير تدريجياً، خطوة بعد أخرى، متكرراً ومتنوعاً، ﴿وَصَّلْنَا﴾ (لذا لا ينبغي أن نتوقع تحقق الإصلاح بمجرد التذكير مرة أو مرتين).

٢ ـ بين آيات القرآن تآلف وارتباط، ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾.

٣ ـ بين الآيات الإلٰهيّة، الكتب السماوية، وقادة الدين وحدة في الكلام والهدف المنشود، ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾.

٤ ـ الإنسان موجود مبتلى بالنسيان، ولا بد من اتّباع أسلوب التذكير له على الدوام، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٥ ـ أهل الكتاب بحقّ هم الذين يؤمنون عندما يسمعون دعوة الإسلام، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ... بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ من يطلب الحق يبحث عنه دون أن يلحظ من جاء به، ومن يكون، ومن أي طائفة وبأي لغة يأتي به، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ... قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾، «يتلى» وردت بصيغة المجهول، أي لا عبرة بالقائل).

٢ ـ إذا كانت الروح طاهرة فإنها تؤمن بمجرد سماع الحق، ﴿يُتْلَىٰ... ءَامَنَّا﴾ (وعلى العكس من ذلك إذا لم تكن الروح مهيئة فإن التلاوة حتى لو استمرت فلا يرجى منها الإيمان).

٣ ـ الإيمان الصحيح هو الذي يقوم على أساس العلم والمعرفة بالحق، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

٤ ـ تختلف حالات الأفراد وخصائصهم في نيلهم الألطاف الإلٰهيّة، ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

٥ ـ لا بد، لقبول الحق، من التحلي بالصبر على مواجهة المشاكل والعقبات، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا... يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم... بِمَا صَبَرُواْ﴾.

٦ ـ الصفح عن الإساءة والإنفاق على من أساء، إنما يكون حسناً متى كان صفة وخلقاً لدى الإنسان، ﴿وَيَدْرَءُونَ... يُنفِقُونَ﴾ (يدلّ الفعل المضارع على الدوام والاستمرار، فالمؤمنون يمدحون متى كانوا من أهل العفو والصفح والإنفاق).

٧ ـ عندما نعلم بأن الرزق بيد الله ﷻ فسوف يَسْهُل علينا الإنفاق، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

٨ ـ لا ينحصر الإنفاق بالمال، بل العلم أيضاً يقبل الإنفاق، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

□ في الآية السابقة وعد الله ﷻ الذين يصبرون على الأذى في سبيله والذين يدرؤون بالحسنة السيّئة وينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ بمضاعفة الأجر، وتذكر هذه الآية نماذج من الصبر والتعامل بالحسنى.

□ «اللغو» هو «العبث» وهو يصدق على القول وعلى العمل والمؤمن موصى بالإعراض عنه. ومن خصائص الجنّة أنها مكان لا لغو فيه ولا باطل، ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[1].

□ «المداراة» هي التواضع والصفح عند القدرة، كالأب الذي يمسك بيد ولده وهو قادر على المشي مسرعاً ولكنه يمشي ببطء مراعاةً لابنه؛ وأما المداهنة فهي الصفح والتواضع في موضع العجز والضعف؛ ككثير من رؤوساء الدول الذين

---

(١) سورة الطور: الآية ٢٣.

يفتقدون الشجاعة فيخضعون لسيطرة القوى الكبرى. أما أنبياء الله ﷷ وأولياؤه فيدارون الناس؛ ولكنهم لا يداهنون الكفر.

التعاليم

١ ـ المؤمن حقّاً هو الذي يعرض عن اللغو إذا سمعه، فضلاً عن عدم جلوسه في مجالس اللغو ومجانبته اللغو في كلامه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

٢ ـ من نماذج الصبر الإعراض عن اللغو وعدم اتّباعه، ﴿صَبَرُوا۟... أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

٣ ـ الإعراض عن اللغو قولاً، وسماعاً، وعِشْرَةً كمال ممدوح في كافة الأديان الإلٰهيّة، ﴿سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، (هذه الآية في مقام وصف طائفة من أهل الكتاب).

٤ ـ من الأساليب البسيطة والعامة للنهي عن المنكر الإعراض عنه، ﴿سَمِعُوا۟... أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، (لا تردّنّ اللغو باللغو).

٥ ـ الإنسان مسؤول عما يسمعه أيضاً، ﴿سَمِعُوا۟... أَعْرَضُوا۟﴾.

٦ ـ يكشف كلّ من الحسم، والحزم، وعدم اللين عن الإيمان الراسخ، ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

٧ ـ المنفعة والضرر في كل عمل تعودان إلى الفاعل، ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

٨ ـ لا بدّ من أن يكون الإعراض بأسلوب كريم، ﴿أَعْرَضُوا۟... سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

٩ ـ لا بدّ من أن يقترن الإعراض بتوجيه التحذير لأهل اللغو، ﴿أَعْرَضُوا۟... لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

١٠ ـ اللغو ثمرة الجهل وأهل اللغو هم الجهلة، ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

□ مضمون هذه الآية فيه تسلية للنبي الأكرم ﷺ، وقد تكرر في آيات أخرى

وبتعابير مختلفة، ومن ذلك ما نقرأه في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وفي سورة البقرة: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾[2].

❑ ورد في المجلد الخامس من تفسير الدر المنثور (من تفاسير أهل السنة) روايات بهذا المضمون، وأن النبي ﷺ عرض الإسلام على أبي طالب والد أمير المؤمنين علي عليه السلام في لحظات احتضاره؛ ولكنه لم يقبل فنزلت الآيات.

ومع غض النظر عن ما رُوي عن سبب نزول الآية ومدى ارتباطها بأبي طالب عليه السلام، فإن المتأمّل ولو قليلاً في هذه الآية يعلم عدم ارتباطها به؛ لأن الآية تتحدث في سياق استعراض حال طائفة من المؤمنين من أهل الكتاب مقابل مشركي مكة)، سنتعرّض لشيء من الكلام عن هذه الروايات وعن إيمان أبي طالب عليه السلام.

يذكر العلّامة الأميني صاحب الكتاب المعروف بـ «الغدير» في المجلد الثامن من هذا الكتاب العظيم من الصفحة ١٩ فما بعدها هذه الروايات ويتعرض لها بالنقد والتمحيص ويثبت كون هذه الروايات موضوعة استناداً إلى المصادر التاريخية، ويعتقد أن رواة هذا النوع من الروايات كانوا في زمان وفاة أبي طالب أطفالاً رضع أو أنهم لم يكونوا قد أسلموا بعد كأبي هريرة. وكذلك يذكر في الصفحات من ٣٣٠ إلى ٤١٠ من ذلك المجلد نفسه أدلة على إيمان أبي طالب، كما يذكر الكثير من شعر أبي طالب، وعشرات القصص، وأربعين حديثاً عن أهل بيت النبي عليهم السلام تدل جميعها على إيمان أبي طالب بالله عز وجل وبرسوله ﷺ. وبعض هذه الأدلة عبارة عن:

١ ـ أحاديث وكلمات النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام عن إيمانه.

٢ ـ حزن النبي ﷺ عند وفاته.

٣ ـ دعاء النبي ﷺ له على المنبر وتشييعه جنازته.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٣. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

٤ ـ حديث النبي ﷺ بأنه شفيع لأبويه ولعمه أبي طالب في يوم القيامة.

٥ ـ وصية أبي طالب لبني هاشم بالدفاع عن نبي الإسلام ﷺ.

٦ ـ وصيته لزوجته ولابنه جعفر بالدفاع عن النبي ﷺ والاهتمام بالإسلام وبالصلاة.

٧ ـ دفاع أبي طالب عن النبي ﷺ في الليالي التي كان يشعر فيها بالخطر على النبي، إذ كان يجعل علياً عليه السلام مكانه في الفراش فيعرض ولده للخطر دفاعاً عن النبي.

٨ ـ بقاء فاطمة بنت أسد مع أنها أسلمت حتماً مع أبي طالب، فلو أن أبا طالب لم يكن مسلماً فكان لا بدّ من أن تنفصل زوجته فاطمة عنه.

٩ ـ الأشعار الوافرة التي تدل على إسلامه.

نعم، لا نغفل عن أن ذنب أبي طالب الوحيد أنه كان والد علي بن أبي طالب عليه السلام! وأعداء علي لم يجدوا وسيلة للطعن في شخصيته سوى اختلاق هذه الروايات، فجعلوا من اتهامه بالكفر وسيلة لإيجاد نوع من التوازن بين أبي طالب والد علي عليه السلام وبين أبي سفيان والد معاوية.

التعاليم

١ ـ وظيفة الأنبياء إبلاغ الرسالة الإلٰهيّة للناس وهدايتهم إلى سبيل الهدى. وأما إيمان الناس بذلك أو رفضهم لذلك، فهو لا يرجع إلى الأنبياء، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى﴾.

٢ ـ الأنبياء يعيشون الشوق والرغبة في إيمان الناس وهداية أهل الضلال، ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

٣ ـ الهداية من عند الله عزّ وجلّ، وهي لا تشمل إلا من كان قلبه نقياً خالصاً، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾.

٤ ـ الإرادة الإلٰهيّة تابعة لعلمه وحكمته عزّ وجلّ، ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾

إشارات

- احتج جمع من مشركي مكة أمام النبي ﷺ لعدم إيمانهم به بأنهم لو آمنوا به واتبعوه، فإنهم سوف يُخرجون من بيوتهم وتخرب حياتهم وتسلب أموالهم.

ويجيبهم الله ﷻ في هذه الآية:

أولاً: بأن الله ﷻ الذي جعل لهم هذا البلد، أي مكة، مكاناً آمناً ورزقاً واسعاً ووافراً يمكنه أن يحفظ لهم أمنهم ورزقهم، (وفي هذا الجواب تشويق وترغيب).

وثانياً: ما ورد في الآية التالية بأنهم إن كان احتجاجهم على عدم إيمانهم بخوفهم من أن يسلبوا رزقهم وما لديهم من منافع؛ فما الذي يدفع عنهم عذاب الله ﷻ؟ (وفي هذا الجواب تحذير وإنذار).

وثالثاً: ما ورد في الآية ٦٠ من هذه السورة وهو السؤال عن متاع الحياة الدنيا وقيمته التي تدعو الإنسان إلى ترك الإيمان، مع أنّ ما عند الله ﷻ خير وأبقى، إذا لا مبرر لعدم إيمانهم على الإطلاق.

التعاليم

١ ـ الدين ليس مجرد اعتقاد بل هو برنامج عمل أيضاً، ﴿نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾.

٢ ـ حذر الأعداء لا يقتصر على طريق الحق والصراط الإلٰهيّ؛ بل يسلكون سبيل الاعتراض على طريق الحق وعلى قادة الحق أيضاً، ﴿نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾.

٣ ـ الإيمان لا يقتصر على معرفة الحق، بل لا بد من امتلاك الجرأة أيضاً، ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ﴾ (فهؤلاء طائفة من الناس علموا أن الإسلام حق؛ ولكنهم لم يؤمنوا حفظاً لمصالحهم الشخصيّة).

٤ ـ الإنسان يحب وطنه، ﴿مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾.

ـ الخوف من زوال النعم يعالج بتذكر الألطاف الإلٰهيّة على الإنسان، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾؛ (فذكر النعم الإلٰهيّة سبب لنيل حالة التوكل ورفع الوساوس).

٦ ـ التنمية الاقتصاديّة والرقي الماديّ يتحقق في ظل الأمن والاستقرار الاجتماعي، ﴿ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ﴾.

٧ ـ الأمن والرزق نعمتان مضمونتان للإنسان في حرم الله ﷻ (مكة)، ﴿ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٨ ـ أفضلية الإيمان على الرفاه والاستقرار أمر يخفى على السواد الاعظم من الناس، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- «البطر» الطغيان والغرور بسبب وفرة الثروة والمال.
- تحدثت الآية السابقة عن جماعة من الناس احتجوا على عدم الإيمان بأن ذلك يكون سبباً لزوال نعمة الأمن والاستقرار الذي يعيشون فيه، وكان جواب الله ﷻ عن حجتهم تلك بأن الله ﷻ هو الذي جعل لهم مكة محلاً للأمن والاستقرار، وأن هذه النعمة تُحفظ لهم بعد الإيمان بالقدرة الإلٰهيّة. وفي هذه الآية يحذرهم الله ﷻ بتذكيرهم بالعذاب الذي نزل على قرى كانت آمنة مطمئنة، فهؤلاء الذين يعتذرون لعدم إيمانهم بالخوف من زوال النعم، ماذا يفعلون لدفع العذاب الإلٰهيّ لو نزل بهم؟!
- المراد من قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ المساكن الخربة لقوم عاد في منطقة الأحقاف (بين اليمن والشام) أو قوم ثمود في منطقة سدوم، وكان أهل الحجاز يمرون في أسفارهم على تلك المساكن ويشاهدونها بأعينهم.

التعاليم

١ ـ الثروة والنعيم الماديّ قد لا يكون سبباً للسعادة؛ بل لعله يكون سبباً للغرور والطغيان والهلاك، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا... بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

٢ ـ مصير الأفراد والمجتمعات مرتبط بأعمالهم، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا... بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

٣ ـ من السنن الإلٰهيّة هلاك المترفين من غير أهل الإيمان، ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

٤ ـ الآثار الخربة المتبقّية من الحضارات السابقة خير درس للأجيال اللّاحقة، ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾؛ (من وسائل التربية أن يزور الإنسان تلك الأماكن).

٥ ـ سوف يتخلى المترفون عن أموالهم ويهلكون. فالهداية والسعادة الأبدية لا تستبدل بالرفاه والنعم الدنيوية، ﴿نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ تلاوة آيات الله ﷻ على الناس من أهم وظائف الأنبياء، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾.

٢ ـ مكة أم قرى الإسلام، ﴿يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾.

٣ ـ المجتمعات الظالمة في معرض العذاب الإلٰهيّ، ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ...﴾.

٤ ـ لا ينزل العذاب من عند الله ﷻ إلا بعد إتمام الحجة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾.

٥ ـ العذاب الإلٰهيّ تدبير إلهي لتربية الناس، (كلمة «مهلك» جاءت بعد كلمة «ربك») ﴿رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾.

٦ ـ مكان الدعوة لا بدّ من أن يكون في محال اجتماع الناس ومراكز المدن والقرى، ﴿يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ (تبين الآية دور المكان في التبليغ والدعوة).

٧ ـ عدم الاستجابة لدعوة الأنبياء ظلم، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ... وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

٨ ـ هلاك الظالمين في الدنيا سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ... وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

□ هذه الآية جواب ثالث على المشركين الذين اعتذروا عن الإيمان بحجة أن ذلك سوف يكون سبباً لإخراجهم من أرضهم وحرمانهم من رزقهم. وفي هذا الجواب تذكير لهم بأن ما لديهم من نعم وأمان مصيره الفناء والزوال وأن ما عند الله ﷻ خير وأبقى.

التعاليم

١ ـ الثروات والأموال لا ترجع إلى سعي الإنسان وفطنته بل هي من رزق الله ﷻ، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾.

٢ ـ النعم الدنيوية محدودة، ﴿مِّن شَيْءٍ﴾؛ ولكن الثواب الإلٰهيّ غير محدود ولا يمكن تصوره)، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

٣ ـ إذا أدى الإيمان إلى فقدان نعم هذه الدنيا فإن النعم الإلٰهيّة التي هي خير وأبقى سوف تكون من نصيبك، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

٤ ـ كل من يجعل الباقي ثمناً للفاني، ويستبدل النعم الأبدية باللذات المؤقّتة غير الخالصة من العذاب ليس من العقلاء، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

الدنيا في القرآن الكريم

□ وردت أوصاف عدّة في القرآن الكريم للدنيا. وفي آيات الكتاب الكريم تحذير للإنسان من الإقبال على الدنيا والتعلق بها من ذلك:

ـ الدنيا عرض، ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

- الدنيا لعب، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[1].
- الدنيا متاع قليل، ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].
- الدنيا سبب للغفلة والغرور، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[3].
- الدنيا مزيَّنة للكافر، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.
- المال والبنون زينة الدنيا، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4].
- الدنيا زهرة لا تكون وَرداً لأحد، ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5].
- لماذا تبيع الآخرة بالدنيا؟ ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[6].
- لماذا ترضى بالحياة الدنيا التي مصيرها الزوال والفناء؟ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[7].
- لماذا تفرح بالحياة الدنيا سريعة الزوال؟ ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[8].
- لماذا تفضل الدنيا على الآخرة؟ ﴿يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[9].
- لماذا تطمع بالحياة الدنيا؟ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾[10].
- لماذا لا تفكر إلا في الدنيا؟ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[11].

ألا يعلم أهل الدنيا آن مآلهم إلى جهنم؟ ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[12].

نعم هذا التحذير المتتالي إنما هو لمن تعلق قلبه بالدنيا، وما ورد ذمّه في الآيات هو عبادة الدنيا، بيع الآخرة بالدنيا، الغفلة، الغرور، تجاهل حق الفقراء، ولكن من يسعى للدنيا بعدل وإنصاف، ولا يغفل عن الكمالات الأخرى وعن

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٢.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٨.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.
(٤) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٥) سورة طه: الآية ١٣١.
(٦) سورة البقرة: الآية ٨٦.
(٧) سورة التوبة: الآية ٣٨.
(٨) سورة الرعد: الآية ٢٦.
(٩) سورة إبراهيم: الآية ٣.
(١٠) سورة الحجر: الآية ٨٨.
(١١) سورة النجم: الآية ٢٩.
(١٢) سورة النازعات: الآيتان ٣٨ و٣٩.

الآخرة، ويؤدي حق الفقراء، ولا يمارس الظلم في سعيه للدنيا فإن هذه الدنيا تكون فضلاً من الله ﷻ ورحمة.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات

- هذه الآية تأتي في سياق الآيات السابقة التي تحدثت عن الذين اختاروا الكفر لأجل حفظ الحياة الدنيا.
- الوعد الذي أشارت إليه هذه الآية هو الوعد الذي تكرر في القرآن الكريم لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومن ذلك ما ورد في الآية التاسعة من سورة المائدة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- من كفر بالنبي الأكرم ﷺ هم المترفون وأصحاب الأموال.

التعاليم

١ ـ الوعد الإلٰهيّ والثواب الأخروي عظيم وحسن، ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾؛ (كلمة «وعداً» وردت مع التنوين وذلك إشارة إلى كونه أمراً عظيماً وكلمة «حسناً» تدل على أنه وعد حسن).

٢ ـ الوعد الإلٰهيّ قطعي ومسلم، ﴿وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾.

٣ ـ أسلوب المقارنة هو من أفضل أساليب الدعوة والتبليغ والتربية، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ... كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾، (هل يمكن مقارنة وعد الله بوعد غيره؟ ومن وعده الله بغيره؟).

٤ ـ التوفيق لنيل متاع الدنيا بيد الله ﷻ أيضاً، ﴿مَّتَّعْنَٰهُ﴾.

٥ ـ نيل متاع الدنيا ليس دليلاً على الأمان في الآخرة، ﴿مَّتَّعْنَٰهُ... مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

٦ ـ في متاع الدنيا حساب وعقاب، ﴿مَّتَّعْنَٰهُ... مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»[١].

٧ ـ النعم مع الغفلة سبب للإحضار مع الذلة في الآخرة، ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فإن اللّذة التي تكون عاقبتها عذاب جهنم ليست بخير.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

- يوم القيامة مسرح لأحداث عجيبة ومتنوّعة، وتشير هذه الآيات إلى بعض هذه الأحداث والوقائع؛ منها الأسئلة التي يقصد منها التوبيخ والتي يوجهها الله عز وجل للمشركين. ومنها إظهار ما كان يعبد من دون الله نفوره وبراءته ممن كان يعبده. وثالثها اللوم الذي يوجّهه المنحرفون إلى الشيطان، وجواب الشيطان لهم بأن لا يلوموه بل عليهم لوم أنفسهم؛ ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[٢]، ففي يوم القيامة يسعى كل إنسان ليرمي ذنبه في عنق غيره؛ ولكن الجواب يأتيه ليسمع قوله: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾[٣].
- بعض ما عُبِد من دون الله لا ذنب له في ذلك كعيسى عليه السلام والملائكة؛ وأما من كان كالشيطان والطواغيت والعلماء من أصحاب البدع والانحراف في الدين، فإنهم شركاء في الذنب، وسينزل بهم العذاب الإلٰهيّ لا محالة.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي نسيان مواقف يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ...﴾.

٢ ـ محكمة القيامة علنية ووجاهيّة، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(٣) سورة الصافات: الآية ٣٠.

٣ ـ لا تقم بعمل لا تملك جواباً عنه في يوم القيامة فتقف عاجزاً حائراً، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾.

٤ ـ الشرك والاتكال على غير الله ﷻ وهم وخيال وسراب، ﴿تَزْعُمُونَ﴾.

٥ ـ المعبود العزيز في هذه الدنيا مصيره أن يكون محكوماً وذليلاً في الآخرة، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾.

٦ ـ كل من يدعو الناس إليه بدل دعوتهم إلى الله ﷻ فإن مصيره العذاب الإلٰهيّ الحتمي، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾.

٧ ـ عبادة غير الله غواية، ﴿أَغْوَيْنَآ﴾.

٨ ـ من يقع في الغواية يقوم بغواية غيره أيضاً، ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

٩ ـ للإنسان حرّية اختيار الطريق، وهو قادر على اختيار طريق الانحراف والضلال، ﴿غَوَيْنَا﴾.

١٠ ـ سوف يتبرأ ما كان يُعبد من دون الله ممن كان يَعبده، ﴿تَبَرَّأْنَآ﴾.

١١ ـ حقيقة الشرك هي عبادة الهوى، ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

١٢ ـ ما يُعبد من دون الله لن يستجيب لمن يَعبده عندما يستغيثه، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾، (فتعلّق القلب بغير الله ﷻ في هذه الدنيا سبب للحرمان من نصرته في يوم القيامة).

١٣ ـ يوم القيامة هو يوم الحسرة والندامة، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

□ السؤال في الآية السابقة كان عن التوحيد؛ ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾، وفي هذه الآيات السؤال عن النبوة، ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ الناس كافة مسؤولون عن دعوة الأنبياء، ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ في يوم القيامة تنسد الطرق كافة أمام معرفة ما يجري ولذا يقع الجميع في حيرة وارتباك، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾.

٣ ـ في يوم القيامة لا يتمكن الناس من اللّجوء إلى التفكير أو المشورة أو سؤال الآخرين لأجل الوصول إلى جواب عن سؤال محكمة العدل الإلٰهيّة، ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

٤ ـ لا طرق مسدودة في الإسلام، فطريق الرجوع والتوبة مفتوح للجميع، ﴿مَن تَابَ﴾.

٥ ـ التوبة ليست ندماً في القلب فقط، بل تطلب الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٦ ـ لا يضمن أحد أن يُكتب له التوفيق لتوبة تامة الشرائط، مقبولة، مستمرّة، دائمة، ولذا لا بد للإنسان من أن يعيش دائماً حالة الخوف والرجاء، (كلمة «عسى» بمعنى الأمل، أي بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح يأتي الأمل بالنجاة).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ القدرة المطلقة بيد الله ﷻ، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾.

٢ ـ التكوين (خلق عالم الوجود) والتشريع (قوانين الحياة) بيد الله ﷻ، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾.

٣ ـ اختيار القادة الإلٰهيّين بيد الله ﷻ لا بيد الناس، ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

٤ ـ الخالق لهذا الوجود هو الذي له حق التشريع والتقنين، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ... لَهُ الْحُكْمُ﴾.

٥ ـ من يرضى بالقانون البشريّ بديلاً عن القانون الإلٰهيّ فقد أشرك بالله ﷻ، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٦ ـ حيث لا معبود غير الله فلا مدح ولا ثناء إلا له، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ﴾.

٧ ـ الخلق والخيرة لله ﷻ؛ ولكنه لا يختار الباطل، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

إشارات

- كلمة «سرمد» تعني الدائم والمستمر.
- جملة: «أفلا تسمعون» تتناسب مع مضمون الآية في حديثها عن الليل، لأن قدرة الإنسان على الاستماع في الليل تبقى قائمة، وإن كان لا يرى شيئاً، كما إنه في الآية التالية وحيث كان مضمون الآية الحديث عن النهار ورد التعبير بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.
- من الطرق لمعرفة الله ﷻ التفكير في أمر زوال النعم واستبدالها؛ نعم توالي الليل والنهار من أعظم النعم والآيات الإلٰهيّة.

التعاليم

١ ـ نتعلم من الله ﷻ كيف نمارس الحجاج مع الذين نختلف معهم، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾.

٢ ـ أفضل الأدلّة لمعرفة الله ﷻ هو ما يصل إليه كل إنسان في أي مكان وفي أي زمان، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾.

٣ ـ من أساليب القرآن الكريم ما يورده من أسئلة منبهة للإنسان، ﴿إِن جَعَلَ اللَّهُ...﴾.

٤ ـ حركة الأرض وإيجاد الليل والنهار خاضع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿جَعَلَ... ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾.

٥ ـ الطبيعة أجمل لوحة وأفضل كتاب لمعرفة الله ﷻ، ﴿ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا... بِضِيَآءٍ﴾.

٦ ـ لا تقليد في الاعتقاد، ﴿أَرَءَيۡتُمۡ... أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾.

٧ ـ في العمل التبليغي ينبغي أن نستمد العون من وجدان الناس، ﴿أَرَءَيۡتُمۡ... مَنۡ إِلَٰهٌ... أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾

التعاليم

١ ـ النظام الحاكم على عالم الوجود هو من عند الله ﷻ ولو أراد الله لبدّله إلى نظام آخر، ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ...﴾.

٢ ـ القدرة الإلٰهيّة على الظواهر كافة سواء، ﴿جَعَلَ... ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا... جَعَلَ... ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا﴾.

٣ ـ الليل سكن وراحة، والإنسان بحاجة إلى السكن والراحة، ﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾.

٤ ـ من لا بصيرة له يستحق التوبيخ واللوم، ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

٥ ـ فقدان البصيرة سبب للشرك، ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ... أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾

إشارات

- ذكر الليل يتقدم على النهار في القرآن الكريم دائماً. ولعل ذلك لأن ظلمة الليل ذاتيّة وأما ضياء النهار فهو من الشمس ولذا كان عارضاً على الأرض.

التعاليم

١ ـ منشأ الخلقة وإعطاء النعم ليست بسبب حاجته تعالى لذلك أو بسبب طلبنا نحن لذلك؛ بل عفوه ورحمته، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ﴾.

٢ ـ سكون الليل مقدمة للسعي في النهار، ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ... لِتَبْتَغُوا۟﴾.

٣ ـ الله ﷻ رحيم كريم ولكن على الإنسان السعي، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ... لِتَبْتَغُوا۟﴾.

٤ ـ الليل للسكن والنهار للعمل والنشاط، ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٥ ـ كل ما نناله هو من فضل الله، لا بجهدنا وسعينا فقط، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٦ ـ لا بد من أن تكون النعم المادّية سبباً للشكر ولنيل المراتب المعنوية، ﴿لِتَسْكُنُوا۟... لِتَبْتَغُوا۟... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٧ ـ إذا كانت الدنيا وسيلة لشكر لله ﷻ والتقرب إليه فإنها ليست مذمومة ولا قبيحة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

إشارات

- هذه الآية تشبه الآية ٦٢ من هذه السورة وقد تقدّم الكلام على بعض الإشارات فيها.

التعاليم

١ ـ موقف حضور المشركين في يوم القيامة موقف يستحق الذكر والإشارة، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ...﴾.

٢ ـ من نسب لله شريكاً لا يملك الجواب لو سئل عن ذلك، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾؛ (الإنسان مسؤول عن معتقداته وأفكاره).

٣ ـ يوم القيامة هو يوم ظهور بطلان آلهة المشركين وعجزها، وانكشافها، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾.

٤ ـ كافة آلهة الشرك في عدم امتلاك القدرة على التأثير سواء، وكافة المشركين في عدم امتلاك الجواب سواء، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾.

٥ ـ القاضي في محكمة القيامة هو الذات المقدّسة الإلٰهيّة، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾.

٦ ـ لا يملك أحد غير الله ﷻ شيئاً من السلطة في يوم القيامة، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾.

٧ ـ لا شريك لله، وما ينسب لله من شركاء مجرد زعم باطل، ﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات

- تتعدد المواقف في يوم القيامة ففي موقف يختم على فم الإنسان وتنطق سائر الأعضاء والجوارح بالشهادة: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾(١)؛ وفي موقف آخر يتمكن الإنسان من الكلام: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾(٢)؛ وفي موقف ثالث لا يكلّم الإنسان: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾(٣)؛ وفي موطن آخر يقول تعالى: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

- احتمل بعضهم أن يكون المراد من هذه الآية أن الله ﷻ يختار من كل طائفة من المشركين رجلاً بارزاً بينهم فيحضره للسؤال ويطلب منه البرهان على الشرك؟ ولكن بملاحظة الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية(٤)، يبدو أن المراد من الآية هو أنه في كل عصر وزمان يوجد إمام معصوم (نبي أو وصي نبي) يطلع على أعمال العباد، وهو الذي يأتي يوم القيامة ليشهد على أعمالهم.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٠.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٤.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٢٠.

التعاليم

١ ـ يستدعى الشهداء في يوم القيامة من الأمم نفسها، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾.

٢ ـ المحاكمات في يوم القيامة تكون علنية وحضورية، ﴿شَهِيدًا فَقُلْنَا﴾.

٣ ـ لا بد من أن نبني أفكارنا ومعتقداتنا على أساس البرهان والدليل المحكم؛ لأن الشرك لا برهان عليه بل في الآخرة لا قيمة له ولا أحد يشتريه، ﴿هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٤ ـ ليس للمشركين منطق ولا برهان، ﴿هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٥ ـ أي نوع من كتمان الحقائق إنما يكون في هذه الدنيا، وأمّا في الآخرة وبعد زوال الحجب فإن الحق والحقيقة يظهر ويتجلى، ﴿فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾.

٦ ـ إذا ظن المشركون في يوم القيامة أنّ بإمكانهم الإنكار فإن حضور الشهود يسدُّ الباب أمامهم، ﴿شَهِيدًا... فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾.

٧ ـ الباطل مصيره الزوال، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات

- ورد في رواية ذكرها في تفسير مجمع البيان أن قارون كان ابن خالة موسى عليه السلام وكان إنساناً عالماً ومن أهل التوارة بل كان أقرأ الناس للتوارة، وكان في أوّل أمره من أنصار موسى عليه السلام ومن السبعين الملازمين لموسى عليه السلام والذين اختارهم لتلقي التوراة، ولكنه لما نال من الثروات والكنوز والأموال ما لا عد له ولا حساب خالف علمه فكان محلاً للعذاب الإلٰهيّ.

- واجه موسى عليه السلام في عصور جهاده محاور ثلاث أساس للفساد والطغيان هي: أحدها، محور السلطة والظلم الذي كان يرأسه فرعون، ثانيها، محور القوة المالية والاقتصادية والذي كان يرأسه قارون، ثالثها، محور الخديعة والاحتيال

والذي كان يرأسه السامري. وبعبارة أخرى: واجه موسى عليه السلام مثلاً هو الظلم والمال والخديعة.

التعاليم

١ ـ في ذكر النماذج التاريخية عبرة للاحقين، ﴿إِنَّ قَٰرُونَ...﴾.

٢ ـ السابقة الحسنة لا تدل على أن مستقبل الإنسان يكون حسناً أو على كونه مصوناً من الانحرافات الجديدة، ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾.

٣ ـ الانتساب إلى عائلة النبي ليس سبباً مستقلاً للنجاح والتوفيق، ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾.

٤ ـ وجود المنحرفين من الأقارب لا يقلّل من قيمة الأفراد الصالحين وشأنهم، ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾.

٥ ـ الثروة دون حساب وسيلة للسلطة والسلطة سبب للظلم والطغيان، ﴿ٱلْكُنُوزِ... فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ... لَا تَفْرَحْ﴾.

٦ ـ لا ينبغي للثروة أن تجعلنا من أهل الغرور والتكبر، ﴿لَا تَفْرَحْ﴾.

٧ ـ النهي عن المنكر في مواجهة أصحاب رؤوس الأموال لازم حتى على الطبقة المحرومة من الناس، ﴿قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾.

٨ ـ أهل الغرور محرومون من المحبة الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (نعم امتلاك الثورة والمال لا يدل على محبة الله عز وجل).

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ
مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

إشارات

□ ورد في رواية عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَ

﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ قال: **«لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة»**[1].

❑ أشارت هذه الآية إلى بعض التعاليم التربوية:

أ ـ الاهتمام بالآخرة لا يتنافى مع ان ينال الإنسان شيئاً من الدنيا.

ب ـ الإحسان إلى الغير ينطلق من الاهتمام بألطاف الله ﷻ بهذا الإنسان.

ج ـ البعد عن الفساد بملاحظة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ الدنيا مزرعة الآخرة، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ (خوطب قارون وَوُعِظَ بأن يستخدم إمكاناته لنيل الآخرة).

٢ ـ كل ما لدى أهل الثروة من مال هو من عند الله، ﴿ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ لا بد من العمل للآخرة بجد، وإن كان لا ينبغي أن ينسى الإنسان نصيبه من هذه الدنيا، ﴿وَٱبۡتَغِ... وَلَا تَنسَ﴾.

٤ ـ المال والثروات قد تكون وسيلة لنيل السعادة الأخروية، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾.

٥ ـ توجيه الموعظة إلى أصحاب الأموال عمل حسن، ﴿وَٱبۡتَغِ...﴾.

٦ ـ ينبغي للإنسان أن يكتفي بنصيبه ورزقه ويصرف ما زاد عنه في طلب الآخرة، ﴿وَٱبۡتَغِ... وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ...﴾.

٧ ـ لا بد في الموعظة من ملاحظة الاحتياجات الطبيعية، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾.

٨ ـ الثروة دون حد لا تعني صرفها دون حساب. بل نصيب كل إنسان مشخص ومحدد، ﴿نَصِيبَكَ﴾.

٩ ـ طلب الآخرة يجب أن يحصل بالإحسان، ﴿وَٱبۡتَغِ... وَأَحۡسِن﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

١٠ ـ في سبيل دعوة الآخرين إلى الإحسان لا بد من تذكيرهم بإحسان الله ﷻ عليهم، ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١١ ـ أصحاب رؤوس الأموال ممن ليس من أهل الإيمان هم في معرض الفساد، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

إشارات

□ سؤال: مع أننا نقرأ في كثير من آيات القرآن الكريم أن الناس جميعاً في معرض السؤال في يوم القيامة: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، وأن السؤال سوف يكون عن كل شيء: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، عن كافة الحالات: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[3]؛ وعن أي مكان: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[4]، فكيف يرد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

الجواب: الآيات التي تدل على السؤال لا ترتبط بالقيامة، ولكن الآية الأخيرة تشير إلى زمان نزول العذاب الإلٰهيّ في هذه الدنيا فإن نزول هذا العذاب لا فرصة فيه للسؤال والجواب.

التعاليم

١ ـ الغرور العلمي قد يؤدّي بالإنسان إلى حد يرى أن كل شيء من عنده، وأنه لا دور لأحد ولا لشيء غير ذاته في ما وصل إليه، ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٦.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(٤) سورة لقمان: الآية ١٦.

٢ ـ لا تفخر بما لديك من علم فذلك من أخلاق قارون، ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.
٣ ـ لا بدّ من أن ندرك أن الثروة والسلطة هي من إحسان الله إلينا لا بما نملكه من علم ونبذله من جهد، (فالناس خاطبوا قارون بقولهم: الله ﷻ آتاك هذا، فكان جوابه: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾)، ﴿أَحۡسَنَ ٱللَّهُ... عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.
٤ ـ معرفة التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ... مِن قَبۡلِهِۦ﴾.
٥ ـ إخضاع أهل التكبر وقمعهم من السنن الإلٰهيّة، (فالسلطة والمال لا يمنعان نزول العذاب الإلٰهيّ)، ﴿أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾.
٦ ـ السلطة والثروة ليست سبباً للسعادة بالضرورة، ﴿أَهۡلَكَ... أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾.
٧ ـ لكل فرعون موسى، ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ﴾.
٨ ـ حذارِ، فإنّ العذاب الإلٰهيّ إذا حل لا يبقى مجال للسؤال والجواب، ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٧٩﴾

التعاليم

١ ـ إذا نال أهل الغفلة الثروة والسلطة كان ذلك سبباً للفخار لديهم، والاعتداد بالذات، والتفاخر على الناس، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾.
٢ ـ الافتخار بالمال صفة قارونية، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾.
٣ ـ أصحاب الصفات القارونية يرون أنفسهم أفضل من سائر الناس، ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾.
٤ ـ مظهر الحاكم قد يكون عاملاً لتغيير ثقافة الناس، ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ... يَٰلَيۡتَ لَنَا...﴾.
٥ ـ ظواهر الدنيا البراقة فخ يقع فيه أصحاب الفكر المحدود، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾.

٦ ـ أمنية الإنسان بأن يصبح قاروناً هي أمنية عبّاد الدنيا ضعيفي العقل، ﴿يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

إشارات

- كان قارون يرى أنه من أهل العلم وأنه إنما جمع ثروته بما يملكه من علم؛ ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾؛ ولكن الله ﷻ يقول في هذه الآية إن العلم الحقيقي لا يجتمع مع حب المال.

التعاليم

١ ـ لا بد من توجيه اللوم والتحذير لمن يتعلق قلبه بالدنيا، ﴿وَيْلَكُمْ﴾.

٢ ـ أثنى الله ﷻ على حكماء بني إسرائيل الذين ردّوا على أصحاب القلوب العاشقة للدنيا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ﴾.

٣ ـ العلم الحقيقي هو الذي يسوق الإنسان إلى الآخرة والتقوى والعمل الصالح، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

٤ ـ العالم لا تغرُّه مظاهر الحياة الدنيا وزينتها ولا ينجذب إليها بل هو يحتقر أهل الدنيا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

٥ ـ ينبغي على العلماء تحذير الناس من الوقوع في حب الدنيا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

٦ ـ إذا منعنا الإنسان من شيء ما، فلا بد مع الإمكان من أن نعرض عليه ما يكون بديلاً أفضل، ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

٧ ـ الإيمان والعمل الصالح إنما يكونان سبباً لسعادة الإنسان متى تحلى بالصبر والثبات عليهما، ﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

إشارات

- يتمكن الإنسان من التحرك بين قوسين: قوس صعودي يصل به إلى المعراج وقوس نزولي يهبط به إلى الأرض.

التعاليم

١ ـ الهلاك ثمرة الظلم، ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ... فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾.

٢ ـ الأرض قد تكون وسيلة للعذاب الإلٰهيّ، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

٣ ـ خاتمة تراكم الثروات البخل والغرور والهلاك، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

٤ ـ الثروة ليست وسيلة للنجاة من عذاب الله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن نسرع في معالجتنا لبعض القضايا بالحكم عليها، (فالذين كانوا يتحسرون بالأمس ويتمنون ما لقارون من مال أصبحوا اليوم يشكرون الله على أنهم لم يكونوا مثله)، ﴿تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ... وَيْكَأَنَّهُۥ...﴾.

٢ ـ لا ينبغي إطلاقاً أن يتمنى الإنسان أن يكون كأصحاب الثروات من أهل الغفلة والغرور، ﴿تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ... وَيْكَأَنَّ﴾.

٣ ـ يجب أن يتحلى الإنسان بالقناعة بدل تمني ما لدى الآخرين من ثروات، ﴿تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ... يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.

٤ ـ ليس كل ما يتمنّاه الإنسان هو لمصلحته بالضرورة، ﴿تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾.

٥ ـ عدم استجابة الدعاء وعدم تحقق الأماني قد يكون من أعظم أنواع اللطف الإلٰهيّ بالإنسان، ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ... مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

٦ ـ الحوادث سبب لإيقاظ الفطرة واستبدال الأماني والظنون الخاطئة، ﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

٧ ـ الثروات التي لا يرى الإنسان أنها من الله ولا يرى أنها لله تصل بالإنسان إلى الكفر، ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

إشارات

□ هذه الآية هي كالبيان الختامي لقصة قارون، وتفيد بأن الاغترار بالمال والتفاخر على الناس يكون سبباً للهلاك في الدنيا والشقاء في الآخرة. وطبقاً لما ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام أنه كان يقرأ هذه الآية على التجار[1]، كان الإمام الخمينيّ مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة (قدس سره) يهتم في ختام درسه الأخلاقي الذي يلقيه على طلاب وفضلاء الحوزة العلمية في قم بذكر هذه الآية.

□ ورد في الحديث أن الرجل ليعجب بشسع نعله فيصبح مصداقاً لهذه الآية، فيكون ممن يريد علواً في الأرض.

فكم من الناس من يفتخر على سائر الناس بالبيت، والثياب، والكلام، والزواج، والاسم، والشهرة، والأولاد، فهؤلاء هم مصداق من يريد علواً في الأرض.

التعاليم

١ ـ الحياة الآخرة عظيمة جداً، (كلمة «تلك» لبيان عظمتها).

---

(١) تفسيرا مجمع البيان وروح البيان.

٢ ـ كل طلب للعلو في الأرض منهي عنه، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾.
٣ ـ منشأ الفساد العلو في الأرض، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا... وَلَا فَسَادًا﴾.
٤ ـ المتقون هم الذين لا يريدون العلو ولا التفاخر على الآخرين، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا... وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ العمل الحسن مطلوب وممدوح من أي شخص كان وبأي مقدار كان، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾.
٢ ـ بقاء العمل الحسن إلى يوم القيامة أهم من العمل نفسه، ﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾، (فكم من عمل حسن يأتي به الإنسان ولكنه بسبب الذنوب، المنّ، العجب، أو احتقار الآخرين يزيله ويبطله فلا يستطيع أن يأتي به في يوم القيامة).
٣ ـ الناس أحرار في اختيار طريقة حياتهم ولا أحد يجبرهم على الحسنة ولا على السيئة، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ... وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾.
٤ ـ حتى في القول لا بد من أن يبدأ الإنسان بالكلام الحسن، (ابتدأت الآية بـ «كلمة حسنة» ثم بعد ذلك وردت كلمة سيئة).
٥ ـ في نظام اللطف الإلٰهيّ العام، جزاء الحسنة يكون أكثر من الفعل نفسه وإن لم يصل إلى مرحلة العمل بل وقف عند قصد العمل وإرادته، أما العقوبة على العمل السيء فهي بمقدار العمل وبشرط أن يتم فعلاً ولا عقاب على مجرد القصد والإرادة، ﴿عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.
٦ ـ لا ينبغي أن ننسى عمل الخير الصادر من الغير، حتى لو كان العمل في غاية القلة، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾، ولكن عقاب المسيء على عمله إنما يكون متى كان مصراً على عمله السيء، ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.
٧ ـ يثيب الله ﷻ المحسن بفضله، وأما المسيء فيحاسبه بعدله، ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا... فَلَا يُجْزَى... إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

إشارات

□ تقدم في الآية السابعة من هذه السورة أنّ الله ﷻ أوحى إلى أم موسى أن تلقي ولدها في اليم ووعدها بأن يعيده إليها وأن لا تخاف ولا تحزن، ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ... إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

وفي هذه الآية يعد الله ﷻ نبي الإسلام ﷺ بأن يعيده إلى وطنه، ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾، فالقدرة الإلٰهيّة التي أعادت موسى ﷺ إلى أمه سوف تعيد النبي ﷺ إلى مكة.

□ اختلفت الآراء في بيان معنى المعاد ومصداقه؛ فبعضهم ذكر أنه مكة موطن النبي الأكرم ﷺ. في هذه الآية إخبار بالغيب، أي سوف يأتي زمان أيها النبي تتمكن فيه من فتح مكة فتعود إليها. وذكر جماعة أنّه المقام المحمود الذي وعد به النبي ﷺ وهو مقام الشفاعة، وفسر جمعٌ ذلك بيوم القيامة والجنّة.

أما الروايات فقد ورد فيها ذلك هو يوم رجعة النبي ﷺ إلى الدنيا.

والرجعة هي من العقائد المقطوع بها والتي وردت بها الكثير من الآيات والروايات، أي إن الله ﷻ سوف يعيد جماعة من أوليائه إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

التعاليم

١ ـ إبلاغ النبي بالقرآن كان سبباً لتمرد الكفار ولهجرة النبي ﷺ، ولكن ربّ القرآن سوف يعيد النبي إلى بلده ووطنه، ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾.

٢ ـ تلاوة القرآن، وبيانه للناس، والعمل به فرض على النبي ﷺ قبل أي أحد، ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٣ ـ التعبير بـ ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ دليل على أهميّة القرآن الكريم وعظمته.

- في مقام البيان لا بد من البدء أولاً بالنقاط الإيجابية، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ... مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾

إشارات

□ ذكرت هذه الآيات على ما يظهر منها، نوعين من الشبه بين النبي موسى عليه السلام ونبي الإسلام ﷺ:

١ ـ إن موسى عليه السلام سار إلى النار ليأتي منها بقبس فوصل منها إلى النور: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ...﴾[1]، ونبي الإسلام قصد غار حراء للتعبد فتلقى الوحي الإلٰهيّ، ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾.

٢ ـ في الآية السابعة عشر ورد على لسان موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، وفي هذه الآية يخاطب الله عز وجل نبيه الأكرم ﷺ: ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ... فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ حتى الأنبياء مع صفاء روحهم وكمال عبوديتهم لم يكونوا يتوقعون تلقي الوحي، فالوحي رحمة من الله عز وجل وفضلٌ، ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟... إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٢ ـ بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٣ ـ تظهر أهمّية البراءة من الكفار ومن نصرتهم بأن جعلت الآية من ذلك نوعاً من أنواع الشكر على نزول الوحي، ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ... فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٠.

٤ ـ أي نوع من نصرة الكفار ومدّهم بالعون منهي عنه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

إشارات

☐ للبعثة مراحل:

أ ـ تلقي الوحي، ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

ب ـ البراءة من الكفّار، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾.

ج ـ الثبات في أداء الرسالة، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾.

د ـ دعوة الناس، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

هـ ـ الإخلاص في العقيدة والعمل، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

☐ أهميّة التوحيد ورفض الشرك والكفر تظهر من خلال التحذير المتكرر للنبي ﷺ من ذلك. فأكثر الجمل الواردة في هذا الصدد في الآيات الأخيرة وردت مع نون التأكيد وبلغة المبالغة، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ... وَلَا يَصُدُّنَّكَ... فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

التعاليم

١ ـ التقصير في أداء الوحي فيه نوع من تقوية الكفر، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾.

٢ ـ الأعداء يستهدفون في خططهم شخص النبي ﷺ أيضاً، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾.

٣ ـ قادة السماء بحاجة أيضاً إلى التذكير الإلٰهيّ، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن تقترن الرسالة بالعزة والحزم، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ... بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ﴾.

٥ ـ العلم والمعرفة تجعل المسؤولية أثقل على الإنسان، ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾.

٦ ـ من يوفق لدعوة الحق لا بدّ من أن يكون مصوناً وحازماً، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ... وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

٧ ـ لا بد من الإخلاص في الدعوة إلى الله ﷻ وأن لا يطلب الإنسان بذلك إلا رضا الله ﷻ، ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، (نعم من يلاحظ في دعوته إلى الله رضا الآخرين وانزعاجهم يقع في الشرك يكن مدركاً لذلك).

٨ ـ لا بدّ من أن تكون الدعوة إلى الله ﷻ لا إلى أنفسنا، ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾.

٩ ـ محاربة الشرك ومواجهة الكفر هي على رأس مهام الأنبياء، وقد ورد التأكيد الشديد عليها من الله ﷻ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٨﴾

إشارات

❑ تعتقد الفرقة الوهابية بأن كل من يدع غير الله ﷻ فهو مشرك؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[1]، ولذا يصيحون بوجه كل من يتوسل بأولياء الله ﷻ بأن ذلك شرك! ولكن هذه الآية تبين لنا أن المشرك هو من يدعو غير الله ﷻ باعتقاد أنه إله، ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، ومن الواضح أن الشيعة لا يدعون غير الله ﷻ على أنه إله، بل يدعونه لأنه من المقربين عند الله ﷻ، والله ﷻ جعله من المقرّبين كأنبياء الله ﷻ وأوليائه، ولا يدعون كل شفيع موهوم، كما كان يفعل عبدة الأصنام؛ إذ كانوا يظنون في خيالهم أن الأصنام شفعاء عند الله.

❑ ورد في هذه الآية إبطال الشرك بعبارات مختلفة:

أ ـ تسمية غير الله بأنه إله.

ب ـ لا معبود إلا الله.

ج ـ كل من عليها مصيره الفناء إلا الله ﷻ.

(١) سورة الجن: الآية ١٨.

د ـ الحكم لله فقط.

هـ ـ الكل يرجع إلى الله ﷻ.

□ كان ملك السعودية يدعو أعلام الفرق الإسلاميّة في كل سنة في عيد الأضحى لضيافته، وفي إحدى السنوات كان العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي (من علماء لبنان الأجلاء) في ضيافة الملك، ولما دخل إلى لقاء الملك قدم له قرآناً في جلد هدية. فتلقى الملك الهدية وقبَّلها. فخاطبه السيّد شرف الدين بأن هذا شرك. فانزعج الملك من هذه التهمة، وسأله عن سبب اتهامه له بذلك؛ فقال له السيّد شرف الدين: لأنك قبلت الجلد وهو جلد حيوان وتقبيل جلد الحيوان شرك.

فقال له الملك: أنا لا أقبل أي جلد، فحذائي من جلد الحيوان ولا أقبله، وأنا لم أقبل جلد الحيوان بل جلد القرآن.

فأجابه العلّامة: نحن الشيعة أيضاً لا نقبل الحديد بل نقبل الحديد الذي يكون قفصاً للضريح، وشباك قبر النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

نعم الشرك هو أن نجعل لله ﷻ عدلاً ونرى له قدرة مستقلة عن الله ﷻ، والشيعة لا يرون قدرة أولياء الله ﷻ مستقلة عن القدرة الإلٰهيّة، بل هي تابعة للقدرة الإلٰهيّة، وتعظيم أولياء الله بإقامة الأضرحة والمقامات هو لأجل إرشاد الناس إلى مكان دفن رجل التوحيد. فالمدفون هنا هو من استشهد من أجل رفع راية التوحيد. فالمقام والضريح مكان لإطلاق صرخة التوحيد عالياً، وليس محلّاً مقابلاً للمسجد.

□ ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام «أن وجه الله هم أنبياء الله وحجج الله على الأرض الذين بهم عَرَفَ الناس الله ﷻ والدين»[1]. وفي دعاء الندبة نقرأ في وصف صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: «**أين وجه الله الذي منه يؤتى**»، ونقرأ أيضاً: «**أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء؟**».

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١١٧.

التعاليم

١ ـ الموحد الحقيقي هو الذي تحرر من كافة المعبودات، والقوى الكبرى، والطواغيت، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن يتعلق القلب بما يفنى ويزول، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، كما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[1].

٣ ـ الحكم لله عزّ وجلّ وحده، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾.

٤ ـ المعبود الحقيقي لا بدّ من أن يكون:

أ ـ غير فان، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

ب ـ له الحكم، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾.

ج ـ نهاية الإنسان إليه، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

٥ ـ الموت ليس فناءً ولا عدماً بل عودٌ إلى حيث البدء، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

اللهم ارزقنا حلاوة تلاوة القرآن والتدبر به.

اللهم أنر قلوبنا بضياء القرآن.

اللهم اجعلنا في القول والعمل تابعين للقرآن ولسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسنته وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

«آمين رب العالمين»

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٦.

سُورَةُ العَنْكَبُوتِ

السورة: ٢٩ الجزء: ٢٠ ـ ٢١

عدد الآيات: ٦٩

ملامح سورة العنكبوت

نزلت سورة العنكبوت في مكة وعدد آياتها تسع وستون. وأسماء بعض سور القرآن كالبقرة، الفيل، النمل والنحل يرجع إلى ما تعرضت له آياتها من ذكر لهذه الحيوانات.

وفي الآية ٤١ من هذه السورة ورد تشبيه بيت الشرك ببيت العنكبوت وهو أوهن البيوت؛ لذا أطلق على هذه السورة اسم سورة العنكبوت.

تتعرض هذه السورة لموضوعات عدّة منها: الإيمان، تكليف الناس، الامتحان الإلٰهيّ، تاريخ بعض الأنبياء، النهي عن الجدال إلا بالتي هي أحسن، والنهي عن التوكل على غير الله ﷻ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢
وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

إشارات

❑ الفتن والفتنة في اللغة بمعنى تصفية الذهب لفصل غير الخالص منه عن الخاص، ولما كانت المصاعب والابتلاءات تصقل جوهر الإنسان عن ظاهره الكاذب أُطلق على المصائب والابتلاءات كلمة فتنة.

التعاليم

١ ـ الإيمان ليس شعاراً ولا قولاً باللسان، بل لا بدّ من أن يمر الإنسان بالاختبار والامتحان، ﴿أَحَسِبَ... وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ (لا يكفي الادّعاء بل لا بد من ملاحظة العمل والحكم على أساسه).

٢ ـ الامتحان سنة إلٰهيّة تاريخية، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٣ ـ الحوادث لا تأتي صدفة، بل كلها أسباب لاختبارنا وامتحاننا، ﴿فَتَنَّا﴾.

٤ ـ معرفة التاريخ وما جرى على الأمم السالفة تعدُّ الناس لتقبل ما يجري عليهم من أحداث، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٥ ـ الاختبار الإلٰهيّ هو مظهر تحقق العلم الإلٰهيّ الأزلي وسببه تمييز المؤمن الصادق، وتنمية الاستعدادات الداخليّة لدى الإنسان، والخروج بها من القوة إلى الفعل، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ... ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟... ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾

إشارات

❑ ورد عن الإمام علي عليه السلام أن المراد من لقاء الله عزّ وجلّ هو يوم القيامة[١].

التعاليم

١ ـ ارتكاب الذنوب وتكررها له تأثيره على تفكير الإنسان وخياله، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن نضبط الخيال من خلال ذكر المعاد والموت. فالمؤمن عليه أن يدرك أنه دائماً في معرض الاختبار، والكافر عليه أن يدرك أن الفرص قد انتهت وأن العذاب الإلٰهيّ سوف يأتيه، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ... أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾.

٣ ـ مدّعو الإيمان ليسوا بمأمن من الاختبار الإلٰهيّ، كما إن أهل الكفر ليسوا بمأمن من الانتقام الإلٰهيّ، ﴿يَسْبِقُونَاۚ﴾؛ (يظن أهل المعاصي أن يد الله لا تصل إليهم).

٤ ـ لا بد من إدانة أي فكر أو ظن باطل، ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

٥ ـ الله عزّ وجلّ عليم بما نظهره من إيمان وبما نخفيه في نفوسنا من ظنون ونيات، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

إشارات

❑ المراد من «الجهاد» في هذه الآية ليس هو جهاد الأعداء بالسيف، بل المراد

---

(١) تفسير نور الثقلين؛ والشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٢٦٧.

كل جهد وسعي يبذل؛ سواء أكان ذلك في سبيل بناء الذات وهو الذي يطلق عليه في الاصطلاح جهاد النفس، أم كان بقصد محاربة الشيطان ووساوسه أم مع الأعداء الظاهرين.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ غني عن جهادنا، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾.

٢ ـ لترغيب الناس في الجهاد والسعي في الخير لا بد من استخدام الميول الداخليّة والفطرية كحب النفس، (يسعى الإنسان بفطرته إلى تحصيل مصالحه)، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾.

٣ ـ الغنى الإلٰهيّ حقيقي وحتمي، (خلافاً لما نظهره نحن من غنى مع أننا عين الفقر والحاجة)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٤ ـ الله غني عن العالمين بشراً كانوا أم ملائكة أم من سائر الموجودات، ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾

إشارات

- أفضل الجهاد الذي تعرضت له الآية السابقة هو الجهاد بالإيمان والعمل الصالح وهذا ما تعرضت له هذه الآية.

التعاليم

١ ـ لا بدّ للإنسان لكي ينال الثواب الإلٰهيّ من أن يتحلى بأمرين هما: الإيمان والعمل الصالح، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢ ـ المؤمن ليس مصوناً من الخطأ والزلل، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾.

٣ ـ الثواب الإلٰهيّ لا يقتصر على العفو عن الذنوب، بل يشمل الثواب والأجر الجزيل، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

٤ ـ تلقّي الأجر والثواب يكون بعد تكفير الذنوب، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ الإحسان إلى الوالدين أمر إنساني، وليس إيمانيا فقط، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

٢ ـ لا قيد ولا شرط في الإحسان إلى الوالدين، ﴿حُسْنًا ۖ﴾ (فلا وجود لشرط يرتبط بالعرق، السن، المكان، العلم، الاجتماع، السياسة، الاقتصاد، والإيمان، بل لا بد من الإحسان لهما حتى لو كانا مشركين أو كافرين).

٣ ـ الوالدان المنحرفان يسعيان لانحراف أبنائهم، ﴿جَٰهَدَاكَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن نسيء الاستفادة من احترام الآخرين، (لا ينبغي للأبوين أن يستخدما احترام أولادهم لهم لدعوتهم إلى الشرك)، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن يمتلك الأبناء القدرة على التفكير الصحيح، ﴿جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾.

٦ ـ ليس للشرك من دليل ولا برهان، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

٧ ـ لا ينبغي للإنسان أن يهادن أحداً في مسألة التوحيد والشرك، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾.

٨ ـ الإحسان إلى الوالدين مطلق ومستدام؛ وأما طاعة الوالدين فهي مشروطة بأن لا يبتعد الإنسان عن الله ﷻ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾.

٩ ـ الإيمان بالمعاد ضمانة لتنفيذ الأوامر الإلٰهيّة، ﴿وَصَّيْنَا... إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

١٠ ـ الله ﷻ عليم بكل فعل يصدر من الإنسان، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾

إشارات

- المراد من المؤمنين في هذه الآية هم الأبناء الذين يكونون تحت سلطة الأبوين الذين يدعون أبناءهم إلى الشرك، فإن قاوَموا تلك الدعوة فهاجروا من بيوتهم مع صعوبة فراق الأبوين، فإن الله ﷻ سوف يعوض لهم ذلك في يوم القيامة بأن يدخلهم في زمرة الصالحين[١].
- ورد في الآيتين السابقتين أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو تكفير الذنوب والعطاء الإلٰهيّ. وفي هذه الآية وعد الله ﷻ بأن يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الصالحين. وفي آية أخرى نقرأ أن الالتحاق بالصالحين هو من دعاء النبي إبراهيم عليه السلام والنبي يوسف عليه السلام، ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

التعاليم

١ ـ الإيمان لا ينفصل عن العمل، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾.

٢ ـ لا يلحق الإنسان بالصالحين بمجرد أن يأتي بالعمل الصالح. بل لا بدّ من العمل الصالح الذي يقوم على أساس الإيمان بالله ﷻ، ﴿ءَامَنُواْ... لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾

إشارات

- الظاهر أن المراد من «العالمين» كل موجود ذي شعور سواء أكان بشراً أم ملائكا أم جنّاً[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١؛ وسورة الشعراء: الآية ٨٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

❑ في أول آية من هذه السورة ورد قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، أي إن الناس لن يتركوا دون اختبار إيمانهم. وفي هذه الآية بيان لنموذج من نماذج الامتحان الإلٰهيّ.

التعاليم

١ ـ بعض الناس يظهرون الإيمان بلسانهم، ولا إيمان في قلوبهم، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾.

٢ ـ قد يلزم من الإيمان أحياناً لحوق الأذى والضرر ولا بد للإنسان من أن يتحمل ذلك، ﴿ءَامَنَّا... أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ المؤمن مقاوم، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾[1]؛ ولكن المنافق لا يصبر على الأذى، ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ... جَعَلَ...﴾.

٤ ـ الإيمان الحقيقي يظهر عند مواجهة الأذى والمصاعب، ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: **«في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال»**[2].

٥ ـ المنافق يتحين الفرص، فمتى انتصر المؤمنون جعل نفسه منهم، وأصرَّ على أن ينال ما ينالون، ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.

٦ ـ لا نفع بالمظاهر؛ لأن الله عز وجل عالم بالضمائر، ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الآية السابقة الإشارة إلى أن المنافقين يدّعون وبكل تأكيد أنهم من بين المؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، وفي هذه الآية يؤكد الله عز وجل علمه بالجميع، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٧.

- مع أن الله ﷻ بكل شيء عليم، بالمؤمن والمنافق؛ ولكنه يختبرهم ويفتنهم ليميز بينهم[١].

التعاليم

١ ـ الإيمان بالعلم الإلٰهيّ سبب للخروج من حالة النفاق، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

٢ ـ الله ﷻ هو وحده الذي يعلم المؤمن الحقيقي من مدعي الإيمان، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

- عندما يدعو المنحرفون الناس ويرغبوهم بالمعاصي يدّعون أن الخطايا تتعلق برقابهم هم. مع أن أحداً لا يحمل خطايا غيره، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ﴾.
- لعل من الممكن القول إنّ الكفار يرغبون في أن يترك الناس الإيمان: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾[٢]، وهم في سبيل ذلك يتبعون الخطوات الآتية:

أ ـ يعمدون إلى إيذاء المؤمنين لصدّهم عن الإيمان: ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣]

ب ـ يلجأون إلى محاربة المؤمنين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[٤].

ج ـ يدعونهم إلى اتّباعهم في العمل فقط: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾، وبعد ذلك لا يلحق بكم الأذى ونحن نحمل خطاياكم.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٥؛ وسورة الأعراف: الآية ٤٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

- إذا لم يكتب لهم النجاح في خطواتهم السابقة فإنهم يرغبون في المداهنة مع المؤمنين كحد أدنى، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[1].

التعاليم

١ ـ لن يكفَّ أعداء الدين عنكم، بل هم يعلنون عن أهدافهم، (فالمسلمون كانوا يتعرضون للأذى الجسمي من الكفار، (فتنة للناس) كما إنهم كانوا في معرض الأذى الفكري والإعلامي والنفسي)؛ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾.

٢ ـ الارتداد والعودة إلى الكفر ذنب كبير يدّعي الكفار أنهم يحملون خطيئته، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾.

٣ ـ في الرؤية الإسلاميّة لا يحمل أحد خطايا غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]؛ ولكن الآخرين لا يحملون هذه الرؤية، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ (ما زالت الكنيسة إلى الآن تشتري ذنوب العباد).

٤ ـ وعد الكفار ووعد الشيطان لا أساس له وهو مجرد خيال، ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ﴾ (فالشيطان يأمر الإنسان بالكفر ولكنه بعد كفره يتبرأ منه)، ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾[3].

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ
وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

□ **سؤال**: كيف تذكر الآية السابقة أن أحداً لا يحمل خطايا غيره، وفي هذه الآية ورد أن المضلين يحملون أوزارهم وأوزار غيرهم؟

(١) سورة القلم: الآية ٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.
(٣) سورة الحشر: الآية ١٦.

الجواب: الآية السابقة كانت جواباً لقول الكفّار إنهم يحملون خطايا المؤمن إذا كفر وأنه لا مسؤولية عليه ولا تبعة، وجاء الرد الإلٰهيّ بأن أحداً لا يحمل خطايا غيره، وأما في هذه الآية فالذي يضل يحمل تبعة ضلاله، ولكن الذي يضل غيره فإنه مضافاً إلى مسؤوليته عن فعله هو مسؤول عن ذنوب غيره ممن أضله دون أن ينقص من ذنب الضال شيئاً.

□ ورد في تفسير الدر المنثور وتفسير (نمونه) ذكر العديد من الروايات التي تدل على أن كلَّ من سنَّ سنَّة حسنة أو سيّئة بين الناس، فمضافاً إلى الثواب أو العقاب الذي يناله فاعل ذلك العمل فإنه يكون شريكاً له في الثواب والعقاب.

التعاليم

١ ـ يحمل المضلون أوزار الضالين مع أوزارهم، ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

٢ ـ إضلال الناس يحمّل الإنسان المضل وزراً ثقيلاً، ﴿وَأَثْقَالًا﴾.

٣ ـ تبعة الذنب ثقيلة، ﴿أَثْقَالِهِمْ﴾.

٤ ـ الافتراء على الله وعلى رسوله منهج يتبعه الكفار، ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

□ ورد في بداية هذه السورة أن الله ﷻ لن يدع من يظهر الإيمان دون أن يختبره ويمتحنه في دعواه. وبدءًا من هذه الآية يتعرض لذكر نماذج من قصص النبي نوح، إبراهيم، لوط، شعيب، هود، صالح، وموسى ﷺ، وما مر على الأمم السابقة من امتحان إلهي.

□ لم يبين القرآن الكريم المدة الزمانية لرسالة نبي من الأنبياء سوى النبي نوح ﵇ التي بلغت تسعمائة وخمسين عاماً، وهي مدة رسالة النبي نوح إلى زمان الطوفان؛ وأما مدة حياته بعد الطوفان فلم يتعرض لها القرآن الكريم.

التعاليم

١ ـ الأفضل في أسلوب التبليغ أن يبدأ الإنسان ببيان القضايا العامة ثم بعد ذلك يورد النماذج والتفاصيل. ففي الآيات السابقة نقرأ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، والآن بدأ بالتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.

٢ ـ اهتم القرآن الكريم بذكر ما جرى على الأمم السالفة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (ففي بيان تاريخ الأنبياء السابقين تسلية للنبي ﷺ).

٣ ـ الأنبياء كانوا من الناس، ﴿فِيهِمْ﴾ (فلو أن نبياً خرج من بين الناس وتركهم فإنه يعاقب على ذلك، ففي قصة يونس نقرأ: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾[1]).

٤ ـ يثبت القرآن الكريم أن طول عمر الإنسان ليس أمراً مستحيلاً، ﴿أَلْفَ سَنَةٍ...﴾.

٥ ـ إذا لم يكن لدى الناس الأهلية والقابلية فإن ألف سنة من الدعوة لن يكون لها أثرها فيهم، ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

٦ ـ لا بد في التربية والدعوة من الصبر والثبات، ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وهذه الآية تتحدث عن ثبات نوح وتحمله أذى قومه.

٧ ـ لا بد من ذكر الأرقام بدقة، ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

٨ ـ اتخاذ موقف اللامبالاة إزاء دعوة الأنبياء ظلم، والظلم مفتاح العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

٩ ـ الأنبياء وأتباعهم في مأمن من عذاب الله ﷻ، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾.

١٠ ـ طوال عمر نوح، كان ﵇ يصنع السفينة، إلى أن جاء الطوفان الذي عم الأرض كلها وكان بأمر من الله ﷻ، ﴿أَرْسَلْنَا... أَلْفَ سَنَةٍ... فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٢.

١١ ـ نصرة الله ﷻ لا تعني ترك العمل والسعي. فنوح وأتباعه قاموا بصنع السفينة، ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾.

١٢ ـ بعض الحوادث والأشخاص يتجاوزون الزمان والمكان، ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

□ النبي إبراهيم عليه السلام هو ثاني أنبياء أولي العزم، وكانت بعثته بعد نوح عليه السلام.

التعاليم

١ ـ التوحيد والتقوى مفهومان في أعلى قائمة دعوة الأنبياء، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾.

٢ ـ العبادة بلا تقوى لا تنفع، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ﴾.

٣ ـ نيل الخير يكون في ظل عبادة الله وتقواه، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ﴾.

٤ ـ من يستبدل التوحيد والتقوى بغير الله ﷻ فيتبع الفساد هم الجاهلون حقاً، (العلم إذا لم يتزيّن بالتقوى كان جهلاً)، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٥ ـ بالعلم وتطوّره يتمكن الإنسان من الوصول إلى مصلحة العبادة والتقوى، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ دعا النبي إبراهيم عليه السلام الناس كما ورد في الآية السابقة إلى عبادة الله وطاعته، وفي هذه الآية يردهم عن عبادة غير الله ويبين لهم أنها بلا ثمرة وفي ختام هذه الآية يعاود التأكيد على عبادة الله.

□ ليس لعبادة الأصنام والشرك أي منطق أو برهان لأنه:

أولاً: الأصنام جمادات لا أكثر، ﴿أَوْثَٰنًا﴾.

ثانياً: إن عبدة الأصنام هم الذين يصنعونها، ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾.

ثالثاً: إنها لا تملك لعبدة الأصنام نفعاً ولا ضراً، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ﴾.

□ في هذه الآية خاطب النبي إبراهيم عليه السلام المشركين ثلاث مرات، وهذا يدل على الخطاب المباشر مع الضالين، ﴿تَعْبُدُونَ... وَتَخْلُقُونَ... تَعْبُدُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ يسعى أهل الانحراف إلى تبرير انحرافهم، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾.

٢ ـ من الدوافع التي تجعل الإنسان يعبد غير الله عز وجل طلب الرزق، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾.

٣ ـ لا يملك غير الله عز وجل القدرة على الرزق، لا أنهم يملكون ولا يعطون، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ (ولم يقل: لا يرزقونكم).

٤ ـ في الدعوة والإرشاد لا بد بعد إثبات بطلان فكرة ما، من بيان الحق، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾.

٥ ـ لا يلجأ الناس إلى الله عز وجل إلا بعد يأسهم من غيره، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ الله عز وجل هو الرزاق؛ ولكن على الإنسان السعي، ﴿فَٱبْتَغُوا۟﴾.

٧ ـ لا بد من سد حاجات الناس المادّية والمعيشية أولاً، ثم دعوتهم وإرشادهم، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾.

٨ ـ منبع الرزق من عند الله، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾.

٩ ـ العبادة تليق بمن بيده القدرة، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾.

١٠ ـ القيامة هي ضمانة الالتزام بالأوامر الإلٰهيّة، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

□ في هاتين الآيتين إشارة إلى الأصول الثلاثة المشتركة بين الأديان:

أ ـ التوحيد: ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾.

ب ـ النبوة: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

ج ـ المعاد: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾.

التعاليم

١ ـ لكل نبي أعداء يرفضون دعوته، فلا ينبغي للإنسان الخوف من وجود أعداء له، ﴿كَذَّبَ أُمَمٌ...﴾.

٢ ـ الحوادث التاريخية متشابهة وقد تتكرر، ﴿أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾.

٣ ـ في التعرف على حوادث التاريخ نوع من تسلية خاطر الإنسان، ﴿كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾.

٤ ـ لا ينبغي لتكذيب الكفار أن يكون سبباً لعدم الدعوة، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ...﴾.

٥ ـ الناس أحرار في اختيار عقيدتهم ولا يمكن حتى للنبي أن يجبرهم على ذلك، ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟... وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٦ ـ الدعوة والإرشاد لا بدّ من أن تكون ببلاغ مبين، ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٧ ـ أيقظوا فطرة الناس من خلال مواجهتها بالسؤال، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾.

٨ ـ الإسلام دين التفكير وهو يدعو الناس جميعاً إلى التفكير، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟...﴾.

٩ ـ عالم الخلقة مظهر من مظاهر القدرة الإلٰهيّة وذلك في خلق الحياة والموت في ظواهر الطبيعة، ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾.

١٠ ـ الاعتقاد بالمبدأ سبب للاعتقاد بالمعاد، والجهل بقدرة الله ﷻ سبب لإنكار المعاد، ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾.

١١ ـ الخلق، الإماتة والإحياء ثانية فعل إلهي مستمر، ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾: (الفعل المضارع يدل على الاستمرار).

١٢ ـ الخلق الأول وإعادة الخلق في يوم القيامة أمر سهل على الله ﷻ؛ لأنه يتحقق بإرادة واحدة، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ السير في الأرض والسياحة والتفكير في مظاهر الطبيعة إذا كان لهدف وغاية كان واجباً له قيمته، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾.

٢ ـ السياحة في الأرض سبب يدفع الإنسان إلى التفكير، ﴿قُلْ سِيرُوا۟... فَٱنظُرُوا۟﴾.

٣ ـ نرفع الشك الذي يراودنا من خلال التفكير في دقة خلق الله ﷻ، وبذلك نتعرف على الله ﷻ أكثر، ﴿فَٱنظُرُوا۟...﴾.

٤ ـ أفضل دليل على المعاد ملاحظة مظاهر القدرة الإلٰهيّة في خلق الموجودات أول مرّة، ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- يعتمد الأسلوب التربوي في القرآن الكريم عند إرادته لبيان العذاب الإلٰهيّ على بيان سعة رحمته أولاً ثم يتعرض لعذابه، ولكن لما كان موضوع هذه الآية يتعرض لتكذيب الكفّار كانت البداية بالحديث عن العذاب الإلٰهيّ ثم جاء على ذكر الرحمة الإلٰهيّة.

❑ متى وردت كلمة (من يشاء) في القرآن الكريم وكان المراد منها الحديث عن إرادة الله ﷻ فإن المشيئة تكون تابعة للحكمة والعدل؛ لأن الإرادة الإلٰهيّة لا تكون إلا عن حكمة.

❑ ورد في مجمع البيان أن الوليّ هو من يمد يد العون دون طلب، وأما النصير فهو من يمد يد العون بعد الطلب والكفار محرومون من الصنفين.

التعاليم

١ ـ مهما فعل أعداء الدين ومهما سعوا وتآمروا فإنهم لن يقهروا الإرادة الإلٰهيّة ولن يخرجوا من تحت سيطرتها، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

٢ ـ للخلاص من الشرك لا بد من نفي كل موهوم باطل، ﴿مَآ أَنتُم... وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ... وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ لذا يخاطب أعداء الدين والكفار بأنهم ليسوا بمعجزين وأنه لا ولي لهم ولا نصير.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ الطائفة الوحيدة التي تعيش اليأس من أن تشملها رحمة الله الواسعة هم الكفار، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟... أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟﴾، وكذا في الآية ٨٧ من سورة يوسف يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

❑ عزم الكفار وعلى رأسهم نمرود على قتل إبراهيم في مواجهتهم لتعاليم الحق

المنزلة عليه؛ لذا قاموا بإيقاد نار عظيمة لرمي إبراهيم عليه السلام فيها، ولكن الله عزّ وجلّ كتب له النجاة من تلك النار، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

التعاليم

١ ـ ليس للكفار من منطق بل منطقهم القتل والتعذيب، ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾.

٢ ـ قد يقع الاختلاف بين الكفّار ولكنهم يتفقون على الهدف، ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾.

٣ ـ الأنبياء تحت رعاية الحماية الإلٰهيّة، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

٤ ـ الإرادة الإلٰهيّة غالبة على كل إرادة وعلى كافة الأسباب والقوانين الحاكمة في هذا العالم. ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

٥ ـ انتصار المؤمن على الكفار كافة، وفشل كل خطط الكفار وما تآمروا عليه، والنجاة من النار، كل ذلك آية من الآيات الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾.

٦ ـ لكي يعتبر الإنسان من التاريخ لا بدّ من أن يمتلك فطرة سليمة وروحاً طاهرة، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ نعم للإيمان دور في البصيرة ووضوح الرؤية لدى الإنسان.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ
ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا
وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٥)﴾

إشارات

□ لقد كان من بين الأصنام التي تُعبد صنمٌ أساس، وكان لكل قبيلة صنمها الخاص، فلقريش صنم يطلق عليه (عزى)، ولثقيف صنم يطلق عليه (لات)، وللأوس والخزرج صنم يطلق عليه (مناة)، وهذه الأصنام كانت هي صلة الوصل بين عبدة الأصنام وآبائهم.

□ ورد في الآية السابعة عشرة من هذه السورة أن إبراهيم عليه السلام وقبل تهديد قومه له بالنار خاطبهم بقوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾، وبعد نجاته من النار واجههم صراحة بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾، إذاً لم يكن لرمي إبراهيم عليه السلام في النار من تأثير عليه في أداء وظيفته في بيان الرسالة والدعوة إلى الله.

□ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أنه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم»**[1].

□ لا بد أحياناً من أن يكون ردنا على الكفار قارعاً لهم؛ ففي الآية السابقة لاحظنا كيف أن الكفار اقترحوا إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار «حرّقوه»، وفي رد الله عز وجل على مقترحهم هذا كان الجواب تقريعاً لهم إذ قال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

التعاليم

١ ـ الارتباط العاطفي له تأثيره على معتقدات الإنسان وأفكاره، ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم... أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

٢ ـ المودة التي لا تكون في رضا الله عز وجل تكون مرحلية ذات أمد ونهاية، وتنقلب بعد ذلك إلى عداوة وتلاعن، ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

٣ ـ لا بد عند اختيار الطريق من معرفة العاقبة، ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ... وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

٤ ـ رفقاء الكفر والسوء لا يملكون القدرة على فعل شيء في يوم القيامة، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٦﴾

إشارات

□ ذكر أكثر المفسرين أن المراد من المهاجر هو النبي إبراهيم عليه السلام، كما ورد على

---

(١) تفسير نور الثقلين؛ الكافي، ج ٨، ص ١٤٦.

لسانه عليه السلام في آية أخرى قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1] وذكر بعضهم أن المهاجر هو لوط عليه السلام.

التعاليم

١ ـ الأنبياء يؤمن بعضهم ببعضهم الآخر، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾؛ نعم هذا يدل على غربة النبي إبراهيم عليه السلام ووحدته أيضاً.

٢ ـ قد يتعدد الأنبياء في زمان واحد؛ ولكن الإمامة والقيادة تكون لواحدٍ منهم فقط، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾.

٣ ـ إيمان لوط كان نوعاً من إعلان النصرة والمعونة للنبي إبراهيم عليه السلام، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾؛ ولم يقل: «آمن به».

٤ ـ الهجرة إذا كانت هادفة كانت وسيلة تربية ورقي، ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

٥ ـ رجال الله لا يتعلقون بزمان ولا بمكان ولا بفرد ولا بجماعة، ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

٦ ـ نقوي روح الهجرة في نفوسنا بذكر الألطاف الإلٰهيّة، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ (العلاقة بالله عزّ وجلّ تجبر كل غربة).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

□ تطلق كلمة «أجر» على الثواب والجزاء الدنيوي والأخروي، وأما كلمة أجرة فلا تطلق إلا على الجزاء والثواب الدنيوي[2].

□ الثواب الذي ناله إبراهيم عليه السلام على جهاده وهجرته كان أربع نعم إلٰهيّة بينتها الآية المذكورة:

---

(١) سورة الصافات: الآية ٩٩.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.

١ ـ الذرّية الطيبة.

٢ ـ مقام النبوة والرسالة في ذرّيته.

٣ ـ الذكر الحسن في الدنيا.

٤ ـ العزة في الآخرة.

توضيح: يعقوب، يوسف، هارون، موسى، سليمان، زكريا، يحي وعيسى كلهم من نسل إسحاق، ونبي الإسلام ﷺ من ذرّية إسماعيل؛ لذا فإن أولي العزم بعد إبراهيم عليه السلام كانوا جميعاً من ذرّيته.

- من مصاديق اللطف الإلهيّ في حق النبي إبراهيم عليه السلام: النجاة من النار، الأفئدة من الناس التي تهوي إلى مكة، تجديد ذكرى إبراهيم عليه السلام في مراسم الحج، وهذا ما نَقَلَ إبراهيم من كونه شخصاً غير معروف إلى أن يكون شيخاً للأنبياء[1].

- أن يكون الإنسان صالحاً وأن يدخل في زمرة الصالحين مقام معنوي كان يتمناه الأنبياء:

ـ يوسف يسأل الله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2].

ـ وسليمان يدعو الله فيقول: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

ـ وشعيب يقول لموسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[4].

ـ وإبراهيم عليه السلام يسأل الله بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5].

وهنا نجد خطاب الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾؛ (سورة الأنبياء: الآية ٦٠).

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٣) سورة النمل: الآية ١٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٣.

التعاليم

١ ـ الولد الصالح هبة من الله ﷻ، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾.

٢ ـ لا بدّ من إعلام الناس بالثواب الإلٰهيّ الذي يهبه على ما يقوم به الإنسان من عمل ليكون في ذلك دافعاً لهم إلى فعل الخير، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ﴾.

٣ ـ الإخلاص هو أساس تلقي الألطاف الإلٰهيّة، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ... وَهَبْنَا... جَعَلْنَا...﴾.

٤ ـ أحفاد الإنسان كالأبناء هبة من الله ﷻ، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ (مع ملاحظة أن يعقوب هو ابن إسحاق) ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[1].

٥ ـ جزاء الإحسان إلى الوالدين وطاعتهما بإخلاص تظهر في الأبناء، ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾، نعم لا بدّ من أن تملك الذرّية أهلية ذلك، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

٦ ـ لا حد للعطاء والثواب الإلٰهيّ لأهل الهجرة، ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ... وَهَبْنَا... جَعَلْنَا... ءَاتَيْنَٰهُ﴾.

٧ ـ لم يكن لنبي من الأنبياء عدا إبراهيم عليه السلام ذلك النسل وتلك الذرّية، ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾.

٨ ـ تعيين أئمة الدين بيد الله ﷻ، ﴿جَعَلْنَا... ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾.

٩ ـ الدنيا والآخرة قد تُجمعان لإنسان، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

□ الفاحشة هي العمل أو القول القبيح البيّن القبح. ولما كان فعل اللواط فعلاً

---

(١) سورة هود: الآية ٧١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

قبيحاً بيِّن القبح وكان منتشراً في قوم النبي لوط عليه السلام كان تعبير القرآن الكريم عنه بأنه فاحشة.

التعاليم

١ ـ لا بد لأئمة الدين من ملاحظة المفاسد والانحرافات الاجتماعيّة العامة والسعي لرفعها؛ (فالنبي لوط عليه السلام حذر قومه من فعل الفاحشة التي كانوا يرتكبونها)، ﴿قَالَ... لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

٢ ـ ليس لكل ابتكار قيمة (ابتكار الذنوب يخالف القيم)، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- النادي هو المجلس العام، وقد ورد في التفاسير أن قوم النبي لوط عليه السلام كانوا قمة في سقوط الأخلاق، فكانوا منغمسين في الفساد والمعاصي؛ بنحو كانوا يتلفظون بالفحش في مجالسهم، ويلعبون بالقمار، ويتعرون في حضور الناس، ويقطعون السبل أمام الناس، ولا يبالون بخروج الريح من بطونهم في مجالسهم، ويرتكبون فاحشة اللواط مع المسافرين ويسرقون أموالهم.
- طلب الأقوام من أنبيائهم العذابَ تكرّر مع عددٍ من الأنبياء؛ فقوم نوح عليه السلام قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[1]، وقوم ثمود قالوا لصالح عليه السلام: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[2] وفي زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قالت طائفة من الناس: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابٍ﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآية ٣٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٠.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

❑ قد يكون المراد من قطع السبيل في هذه الآية قطع الطريق أمام الناس لأجل سلبهم أو فعل فاحشة اللواط معهم.

التعاليم

١ ـ من العجيب أن يلجأ الإنسان إلى اللواط مع وجود طرق طبيعية وشرعية كسنّة الزواج لإرضاء غريزة الشهوة، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

٢ ـ انتشار الفساد لا يمنع من القيام بفريضة النهي عن المنكر، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

٣ ـ الفساد الأخلاقي يجر الإنسان إلى الفساد العقدي، (فالغرق في المعصية وتجاهل القيم الأخلاقيّة أدى بهؤلاء إلى إنكار نبوة لوط عليه السلام)، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ... ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

٤ ـ جعل الله عز وجل سبلاً لهذا الإنسان لقضاء حاجته من الغريزة الجنسية، ولم يتركه في طريق مسدود، ﴿السَّبِيلَ﴾.

٥ ـ التجاهر بالمعصية من أعظم الذنوب، ﴿فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾.

٦ ـ لا بد من الحفاظ على الأمن والعفة العامة في المجتمع، ﴿فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾.

٧ ـ عاقبة التجاهر بالمعصية أن يُذكر الإنسان بالسوء دائماً، (فقوم لوط تجاهروا بالمعصية مدة معنيّة؛ ولكنهم أصبحوا من ذوي الذكر السيء على مر التاريخ)، ﴿فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...﴾.

٨ ـ الصدق والاستقامة أمر حسن حتى في نظر أهل الباطل والمنحرفين، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

٩ ـ اللواط منكر وفاحشة، ﴿الْمُنكَرَ... لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ومرتكب فاحشة اللواط مفسد في الأرض، ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

١٠ ـ كون الإنسان وحيداً لا يمنعه من النهي عن المنكر، فلوط عليه السلام مع أنه كان

وحيداً؛ لكنه وقف بوجه أهل الانحراف وطلب العون من الله ﷻ، ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾.

١١ ـ يجب على الإنسان أن يديم التفكير في التغلب على المفسدين، ولا يرضى على الإطلاق بتسلطهم، ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

- استجاب الله ﷻ دعاء النبي لوط عليه السلام في طلبه النصرة على المفسدين فأنزل ملائكة العذاب.
- المنطقة التي كان يقيم فيها قوم لوط كانت هي (سدوم) قرب مكان إقامة النبي إبراهيم عليه السلام.
- كان عمر إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة مائة عام عندما بشرهما الله ﷻ بإسحاق[1].
- ورد في الصحيفة السجادية ذكر طوائف الملائكة والوظيفة الخاصة الموكلة إلى كل طائفة منهم، إلا الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام فإن وظائفهم كانت متعدّدة، فهم جاؤوا بالبشرى لإبراهيم عليه السلام، وبإعلان العذاب الذي سوف ينزل على قوم لوط عليه السلام وبإنزال العذاب عليهم.

التعاليم

١ ـ لا بد من مراعاة التراتب، (فالملائكة الذي أمروا بإنزال العذاب على قوم لوط، كان عليهم أن يخبروا إبراهيم عليه السلام الذي هو من أنبياء أولي العزم ومن أصحاب الشرائع بذلك أولاً، ثم إخبار لوط عليه السلام الذي يدعو إلى شريعة إبراهيم عليه السلام)، ﴿جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

(١) تفسير أطيب البيان.

٢ ـ دعاء العباد الصالحين مستجاب عند الله ﷻ، ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي... إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ﴾.

٣ ـ الملائكة هم الذين ينفذون أمر الله ﷻ عذاباً كان أم رحمة، ﴿جَآءَتۡ رُسُلُنَا... بِٱلۡبُشۡرَىٰ... إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ﴾.

٤ ـ اللواط وإن كان فعل جماعة من المنحرفين وأتباع الشهوات إلاّ أن العذاب الإلٰهيّ إذا نزل فإنه ينزل بهلاك المنطقة بتمامها، ولعل إطلاق صفة الظلم عليهم جمعياً؛ لأنهم سكتوا عن ذلك، ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

٥ ـ الظلم سبب للهلاك، ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ... ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

- يظهر من ملاحظة هذه الآية والآية ٣٦ من سورة الذاريات حيث ورد فيها: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أن النبي لوط ﵇ وذرّيته فقط هم الذين كانوا مؤمنين، بل حتى زوجته شملها العذاب الإلٰهيّ.
- المستفاد من الآية ٧٤ من سورة هود أن النبي إبراهيم ﵇ طلب عدم إنزال العذاب على قوم لوط؛ ولكن طلبه هذا لم يُستجب وجاء الجواب بأمره بالإعراض عن ذلك: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ... يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾.

التعاليم

١ ـ وجود أولياء الله ﷻ في المجتمع يمنع من نزول العذاب، ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ﴾.

٢ ـ الأنبياء وأتباعهم في مأمن من عذاب الله ﷻ، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾.

٣ ـ الملائكة يعلمون بكل فرد من الناس، ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾.

٤ ـ رجال الحق قد يكونون في غاية الغربة، (فلم يؤمن للوط عليه السلام سوى أبناؤه)، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

٥ ـ يستطيع الأبناء اختيار الحقّ من بين أفكار الأبوين وآرائهم، ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ (فقد اختار أبناء لوط طريق أبيهم على طريق أمّهم).

٦ ـ للمرأة شخصيتها المستقلة وقد تخرج عن سيطرة الرجل أو النظام الاقتصادي أو الثقافيّ المهيمن على الأسرة، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٧ ـ العلاقة والقرابة ليست سبباً للنجاة، بل الاستقامة هي سبب النجاة، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ (فزوجة لوط كانت ترتبط به؛ ولكنها لم تكن في خط الاستقامة).

٨ ـ المعيار ليس هو العناوين الاجتماعيّة بل الإيمان والعمل، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ (فعنوان زوجة النبي ليس مهماً بل المهم أن تكون تابعة له ولما يدعو إليه).

٩ ـ زوجات الأنبياء لا يتمتعن بالعصمة، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ (حتى زوجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فإن بعضهن من كانت محلاً للطف الإلهي. كما نقرأ في آية أخرى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

- «سيء» أي انزعج. وانزعاج لوط عليه السلام لعله كان بسبب خوفه من تعرض أهل السوء لضيوفه في منزله أو لعله لما علمه من نزول العذاب الإلٰهيّ على قومه.
- الذراع هي جزء من اليد، من العضد إلى رؤوس الأصابع. وضيق ذرعاً كناية عن العجز وعدم امتلاك الحيلة والسبيل؛ لأن من تكون ذراعه قصيرة يعجز عن

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٩.

القيام بالكثير من الأمور. ولذا يطلق على كل من عجز عن القيام بأمر: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[1].

□ «لا تخف» تتعلق بما يحتمل وقوعه من أحداث ومصاعب في المستقبل. «ولا تحزن» ترتبط بالأحداث والمصاعب التي وقعت في الماضي.

التعاليم

١ ـ أولياء الله ﷻ يعيشون ضيقاً في المجتمع الفاسد، بل يعيشون القلق حتى على حفظ ضيوفهم وذرّيتهم، ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾.

٢ ـ لا يمكن أن يقف الإنسان موقف اللامبالاة إزاء شيوع الفساد، ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ﴾؛ (الغيرة الدينيّة لازم للإيمان).

٣ ـ سبب كثير من حالات القلق الجهل بالمستقبل، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾.

٤ ـ القلق النفسي ينعكس على الوجه. فالملائكة لما لاحظوا أثر القلق في محيا لوط ﷺ خاطبوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾.

٥ ـ نجاة المؤمنين من حالة القلق والاضطراب بما يأتيهم من وعد حق، ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾.

٦ ـ لا بد عند بيان الحقائق من ذكر الأمور الإيجابية أولا، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾.

٧ ـ الله ﷻ هو الذي يحفظ أولياءه، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾.

٨ ـ الارتباط الأسري والعائلي لا يكون سبباً لنجاة الإنسان، بل الإيمان والعمل الصالح هو باب النجاة، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾.

٩ ـ للمرأة شخصيتها المستقلة وقد تقف مقابل النظام الفكري والاقتصادي للأسرة وللمجتمع، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾.

١٠ ـ الدال على الفساد مفسد أيضاً، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾؛ (فإن زوجة لوط هي التي أخبرت المفسدين بمجيء ضيوف قوم لوط، ليقدموا إليهم).

---

(١) مجمع البحرين.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾

إشارات

- «القرية» هي قرية (سدوم) وهي التي كان يقيم فيها قوم النبي لوط عليه السلام، وكان عددهم كبيراً.
- «الفسق» بمعنى الخروج عن الطاعة وأبرز نموذج له الشرك والكفر.

التعاليم

١ ـ ينزل من السماء رحمة الله (كالمطر والوحي) كما ينزل عذاب الله، ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٢ ـ لعمل الإنسان تأثيره على الطبيعة، فكما إن فعل الخير له تأثير في نزول الرحمة والنعمة ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، فعلى العكس من ذلك ارتكاب الذنوب يبدل النعمة إلى عذاب، ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٣ ـ تكرار المعصية والإصرار عليها سبب نزول العذاب الإلهيّ، ﴿كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

٤ ـ يلزم أحياناً حفظ ما يبقى من آثار الأمم السالفة، وحفظ ديارهم الخربة، وعدم إعمارها، وإعادة بنائها، ﴿تَّرَكۡنَا... ءَايَةَۢ﴾.

٥ ـ اهتم القرآن الكريم بعلم فلسفة التاريخ وتاريخ الأمم السالفة، ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

٦ ـ في الأراضي الخربة درس وعبرة أيضاً، ﴿ءَايَةَۢ... لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

٧ ـ لا بد للاعتبار من امتلاك الدقة والتعقّل. فأهل الغفلة لا يتمكنون وبنظرتهم السطحية من إدراك الحقائق والاعتبار بها، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

٨ ـ التعقل والتفكير شرط للهدى والاعتبار، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- «مدين» اسم مدينة تقع جنوب غرب الأردن وهي المعروفة اليوم باسم «معان».
- كلمة «تعثو» من «عثا» وتعني إيجاد الفساد.
- شعيب عليه السلام كان نبياً لقبيلتين هما:

أ ـ أصحاب مدين الذين أهلكوا بالصيحة من السماء.

ب ـ أصحاب الأيكة الذين جاءهم عذاب يوم الظلة فأهلكوا بصاعقة من السماء[1].

التعاليم

١ ـ الأنبياء وهم الآباء الفكريون، والإيمانيون، والأخلاقيون للناس يتعاملون مع الناس بأخوة، ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن ننسى العواطف في دعوتنا إلى الله عز وجل، ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٣ ـ التوحيد والمعاد يحتلان الدرجة الأولى في دعوة الأنبياء، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾.

٤ ـ العبودية لله والإيمان بالمبدأ والمعاد باب للتخلص من الفساد، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟﴾.

٥ ـ ليس عامة الناس معصومين، فقد يصدر منهم الخطأ والزلل فيقعون في المعصية أحياناً؛ ولكن الأخطر من ذلك الفساد الذي يكون عن سبق علم وإصرار وتصميم، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟... مُفْسِدِينَ﴾.

---

(١) تفسير أطيب البيان.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- كلمة رجفة بمعنى تزلزل الأرض. والأراجيف هي الأخبار والأفكار التي تكون سبباً لتزلزل عقيدة الناس ومعنوياتهم، والمرجفون هم الذين ينطقون بهذه الأخبار ويطلقون هذه الأفكار.
- جاثمين بمعنى الجلوس على الركب، فكأن المعذبين استيقظوا على الزلزلة حيث حلت بهم فنزل العذاب عليهم وهم في نصف قيامهم.

التعاليم

١ ـ تكذيب الأنبياء سبب لنزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ﴾.

٢ ـ من لا يمتلك القدرة على الفرار من عذاب الله ﷻ كيف يقوم بتكذيب الحق؟ ﴿فَكَذَّبُوهُ... فَأَصْبَحُوا... جَاثِمِينَ﴾.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ ينبغي حفظ بعض الآثار التاريخية ليعتبر الناس بها، ﴿تَبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾.

٢ ـ من حبائل الشيطان تزيين العمل السيء، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

٣ ـ من أسباب الانحراف عن الحق الإعلام المسموم الفكري والثقافي، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

٤ ـ الإنسان يميل بفطرته إلى الزينة والجمال، والشيطان يسيء استغلال هذه الخصلة الإنسانية، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

٥ ـ الإنسان حتى مع كونه ذا بصيرة ومعرفة إلّا أنّه في معرض وساوس الشيطان، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ... وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

٦ ـ لا يعذب الله ﷻ قوماً دون دليل أو بينة، ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ... وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

٧ ـ أدوات المعرفة لدى الناس هي الفطرة، العقل، وتعاليم الأنبياء، ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾؛ ولكنّ الشيطان لا يبقى دون عملٍ، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ... فَصَدَّهُمْ﴾.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ الهلاك هو عاقبة الاستكبار، والمصير السيء الذي يلاقيهم درس وعبرة، ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾.

٢ ـ السنة الإلٰهيّة جرت على إتمام الحجة وبعد ذلك تأتي المؤاخذة، ﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

٣ ـ تختلف مظاهر الاستكبار؛ فقارون مظهر للطغيان بالمال، وفرعون وهامان مظهر للطغيان بالسلطة؛ ولكنهم جميعاً يشتركون في طغيانهم وعنادهم في مخالفة الحق، ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ... فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾.

٤ ـ لا تأثير للمال والسلطة أمام القدرة الإلٰهيّة، ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

- «الحاصب» هو الطوفان الذي يحمل معه حصى صغيرة والخسف هو سوخ الأرض بما عليها.

□ كان هلاك قوم عاد بالطوفان، وهلاك قوم ثمود بالصيحة من السماء، وهلاك قارون بالخسف وابتلاع الأرض له، وهلاك فرعون وهامان بالغرق في الماء. فالعذاب الإلٰهيّ قد يكون أحياناً عن طريق أحد هذه الأسباب الطبيعية.

التعاليم

١ ـ من الأساليب الناجحة في التبليغ أن يقوم الإنسان بعد بيان التعاليم بتقديم خلاصة وفهرسة للنقاط التي ذكرها في حديثه، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ...﴾.

٢ ـ عذاب كل قوم يتناسب مع المعاصي التي كان يقترفها أولئك القوم، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾.

٣ ـ لم يرجئ الله ﷻ العذاب الذي يستحقه الناس إلى يوم القيامة، (بعض الناس ينال عقابه في هذه الدنيا)، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا...﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن يغتر الإنسان بإمهال الله ﷻ له؛ فإن عاقبة الذنب هي العقوبة، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾.

٥ ـ خيارات الله ﷻ مفتوحة عندما يريد أن ينزل العذاب على المستحقّين، ﴿حَاصِبًا... خَسَفْنَا... أَغْرَقْنَا﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ عدل، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾.

٧ ـ مصير كل إنسان مرتبط بعمله، ﴿كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٨ ـ التكبر في وجه الحق ظلم للنفس، ﴿كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٩ ـ الأسوأ من الظلم استمرار الظلم، ﴿كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

إشارات

□ أطلِق على هذه السورة تسمية العنكبوت لما ورد في هذه الآية.

□ نقل عن أفلاطون أن الذباب من أشد الحشرات بُخلاً، فهي تقع لتحصيل طعامها على الحامض والحلو، والنظيف والملوث؛ ولكن العنكبوت تقبع في زاوية وتقنع بما لديها، وما يلفت النظر هنا هو أن الله ﷻ جعل من أحرص الحيوانات وأكثرها حركة طعاماً لأكثر الحيوانات قناعة وسكونا، فالذباب تذهب إلى العنكبوت وتقع في شباكه.

التعاليم

١ ـ استخدام المَثَل هو من أفضل أساليب التربية والتعليم، ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ...﴾ وأفضل الأمثلة هو المثال الذي يصلح لكل زمان ومكان ويكون واضحاً لكافة الناس، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.

٢ ـ بيت الشرك كبيت العنكبوت واهن لا أساس له، ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ... كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.

٣ ـ العنكبوت يبني بيته في الأماكن المهجورة، وكذلك حال الشرك فإنه يسكن في الأرواح البعيدة عن الله ﷻ، فإنه إنما يؤثّر عليها، ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ... كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.

٤ ـ بيت العنكبوت ليس له من البيت سوى الاسم وكذلك حال غير الله ﷻ ليس لهم سوى الاسم، ﴿دُونِ ٱللَّهِ... أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾.

٥ ـ يتخيل العنكبوت في عالم خياله أن بيته يصمد أمام الحوادث، والمشرك أيضاً يعيش مثل هذا التوهم، ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾.

٦ ـ ولاية الله ﷻ بنيانٌ مرصوص وهي من حديد: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]، أما ولاية غير الله ﷻ فهي في غاية الضعف والوهن، ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾.

٧ ـ قد يقف الخيال، والدوافع، ورفقة السوء عائقاً أمام معرفة الحق، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ (يقال: حب الشيء يعمي ويصم، فإذا تعلق قلب الإنسان بشيء لا يسمع ولا يبصر).

---

(١) سورة الصف: الآية ٤.

٨ ـ المشركون يلجأون إلى غير الله ﷻ بسبب جهلهم وعدم معرفتهم الحقائق، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ الميول غير الإلٰهيّة لدى الإنسان يعلمها الله تعالى، فلنحضر الجواب عنها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.

٢ ـ العلم الإلٰهيّ هو الأساس في تشبيه الشرك ببيت العنكبوت، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ... إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.

٣ ـ بدل الاتكال على غير الله، كبيت العنكبوت، مما هو ضعيف، ولا أساس له فليكن الاتكال على الله القوي العزيز، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٤ ـ اتكالنا على غير الله ﷻ لن يضر الله شيئاً، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٥ ـ العزة الإلٰهيّة تقترن بالحكمة؛ (فهي ليست قدرة أو قوة لا تخضع للمنطق ومتقضيات الحكمة)، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٦ ـ الأمثال القرآنية في غاية العمق، ولا بد من أن يتعمق بها الناس كافة والعلماء خاصة، ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

٧ ـ يدعو الله ﷻ الناس ويحثهم على تحصيل العلم للتدبر في المعاني العميقة في القرآن الكريم، ﴿...وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

- كل ما عدا الله ﷻ هو كبيت العنكبوت في غاية الضعف ومصيره الفناء وأما الله ﷻ فهو:

ـ عالِم: ﴿يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾.

ـ عزيز وحكيم: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ـ خالقُ عالمِ الوجود: ﴿خَلَقَ اللَّهُ...﴾.

التعاليم

١ ـ خلق العالم كان لغاية ولهدف، ﴿بِالْحَقِّ﴾ فنظرتنا إلى العالم لا بد من أن تكون لغاية ولهدف، ﴿لَآيَةً﴾.

٢ ـ يتوقف الماديون عند الظواهر الطبيعية؛ ولكن عباد الله ﷻ يتجاوزون هذه الظواهر ليصلوا إلى الله ﷻ، ﴿لَآيَةً﴾.

٣ ـ الإيمان شرطٌ لإدراك حقائق عالم الوجود، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

☐ يأمر الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ في هذه الآية بتلاوة القرآن وإقامة الصلاة، لأن القرآن والصلاة مصدرا قوة لهذا الإنسان. كما يصف الله ﷻ المسؤولية التي ألقاها على نبيه بأنها مسؤولية ثقيلة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[(١)]، ويأمر الله ﷻ نبيه بالاستعانة على أداء هذه المسؤولية بأمرين:

أحدهما: تلاوة القرآن: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[(٢)].

ثانيهما: صلاة الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[(٣)].

ومضافاً إلى هذه الآية، فقد تكرر في القرآن الكريم ذكر الصلاة والقرآن معاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾[(٤)]، وقوله:

---

(١) سورة المزمل: الآية ٥.

(٢) سورة المزمل: الآية ٤.

(٣) سورة المزمل: الآية ٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٩.

﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١].

□ ذكره لجملة: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ معان عدّة:

أ ـ الصلاة أكبر ذكر إلهي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٢]، فالصلاة ذكر الله ﷻ.

ب ـ ذكر الله وحضور القلب أفضل من الصلاة الظاهرية.

ج ـ ذكر الله أفضل من أي عمل يقوم به الإنسان.

د ـ ذكر الله ﷻ يمنع عن الفحشاء والمنكر وهي أفضل مانع من ذلك.

هـ ـ ذكر الله لكم أكبر من ذكركم لله ﷻ، (نعم هذا المعنى مأخوذ من الروايات الواردة في ذيل قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[٣].

□ رُوِي أنّ فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ﷺ، ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن صلاته تنهاه يوماً**»[٤].

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**من أحب أن يعلم أَقُبِلَتْ صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قبلت منه**»[٥].

التعاليم

١ ـ لا تكفي معرفة المفاهيم القرآنية، وتلاوة القرآن، وتعلمه بل لا بد من العمل، ﴿ٱتۡلُ... وَأَقِمِ﴾.

٢ ـ القرآن والصلاة على رأس البرنامج التربوي، ﴿ٱتۡلُ... وَأَقِمِ﴾.

٣ ـ علاقة النبي الأكرم ﷺ بالناس تتمثل بتلاوة آيات القرآن وبيان الأوامر الإلٰهيّة لهم، وعلاقته بالله ﷻ تتمثل بالعبادة والصلاة، ﴿ٱتۡلُ... وَأَقِمِ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٠.

(٢) سورة طه: الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢؛ انظر: تفسير نور الثقلين.

(٤) تفسير مجمع البيان.

(٥) تفسير مجمع البيان.

٤ ـ ينبغي في عمليّة الدعوة والإرشاد بيان الحكمة والنتائج المترتبة على الأحكام الدينية، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾.

ـ للصلاة عظمتها ومكانتها الخاصة عند الله ﷻ، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (لاحظ تكرار كلمة الصلاة).

٦ ـ الدور الإصلاحي للصلاة في أفراد المجتمع ليس أمراً ممكناً ومتوقّعاً فحسب، بل هو أمر قطعي، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (كلمة إن والجملة الاسمية تدلان على ذلك).

٧ ـ إذا لم تنه الصلاة الإنسان عن الفحشاء والمنكر فلا بد من الشك في صحتها، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ﴾.

٨ ـ انتشار عمل الخير وفعل المعروف يحد بشكل طبيعي من انتشار المنكر، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ﴾.

٩ ـ العلم الإلٰهيّ ضمانة التطبيق الصحيح لأوامره، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

١٠ ـ في الصلاة أسرار، ورموز، وطبائع، وفنون مخبوءة، ﴿مَا تَصْنَعُونَ﴾.

الصلاة والنهي عن المنكر

سؤال: كيف يمكن للصلاة أن تنهى الفرد والمجتمع عن الفحشاء والمنكر؟

الجواب: ١ ـ إن الأساس في ارتكاب كافة المنكرات هو الغفلة وقد وصف الله ﷻ في الآية ١٧٩ من سورة الأنعام الإنسان الغافل بأنه أضل من الأنعام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ولما كانت الصلاة من ذكر الله ﷻ فهي أفضل وسيلة للخروج من الغفلة، فهي بذلك تزيل أسباب المنكر.

٢ ـ إقامة الصلاة والتزيي بزي الله ﷻ يمنع الإنسان من زينة الشيطان. كالذي يرتدي ثياباً نظيفة فإنه يحذر الأماكن الوسخة.

٣ ـ ورد الأمر بالزكاة مع الأمر بالصلاة في الغالب، والزكاة تنهى عن منكر

البخل وعن عدم المبالاة أمام المحرومين، وهي تحرر المجتمع من الفقر الذي هو باب المنكرات.

- للصلاة أحكام وآداب يؤدّي احترامها إلى ردع الإنسان عن ارتكاب الكثير من المنكرات:

- تشترط حلية لباس المصلي ومكان الصلاة، يمنع الإنسان من التعدي على حقوق الآخرين.
- رعاية شروط طهارة ماء الوضوء، المكان، اللباس وبدن المصلي تردع الإنسان عن اللامبالاة إزاء الوقوع في النجاسات.
- شرط الإخلاص يقي الإنسان من الوقوع في منكر الشرك، الرياء والعجب.
- شرط القبلة يردع الإنسان عن الانشغال بالمنكر بلا هدف وعن قصد أي شيء كان.
- الركوع والسجود يقيان الإنسان من حالة التكبّر.
- الاهتمام بالساتر في الصلاة يحفظ الإنسان من المنكر الذي لا حياء فيه.
- اشتراط عدالة إمام الجماعة سبب للابتعاد عن أهل الفسق والمعاصي.
- صلاة الجماعة تنجي الإنسان من العزلة والانعزال.
- أحكام صلاة الجماعة وشروطها تحيي في الإنسان مجموعة من القيم، مثل: أن يكون مع الناس، أن لا يتقدم على الإمام، أن لا يتخلف عن مواكبة المجتمع، أن يصمت أمام كلام الحق الصادر من إمام الجماعة، النظم والانضباط، احترام أهل التقوى، الابتعاد عن الفرقة، الابتعاد عن الميول المذمومة كالميول العرقية، المناطقية، السياسية، وعن الحضور في الساحات التي يكون ترك الحضور فيها من المنكر.
- تلاوة سورة الحمد في كل صلاة تقوي علاقة الإنسان بخالق العالم،

(رب العالمين) وتجعله يخضع له ويتعبد له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ويتوكل عليه ويستعين به: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ويذكر يوم الحساب: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ويتمنى أن يكون مع الأولياء والصالحين: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويتبرأ من أهل الفساد والضلال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، كما تمتن علاقة الإنسان بالمجتمع والمحيط: ﴿نَعْبُدُ... نَسْتَعِينُ﴾، والغفلة عن هذه الأمور هي من المنكر أو باب من أبواب المنكر.

الجزء ٢١

﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

□ «الجدال» يطلق على المحاورة التي تدور بين شخصين ويكون القصد منها غلبة أحد المتحاورين الآخر.

الجدال الأحسن هو الحوار الذي يخلو من الطعن، والاستهزاء والإساءة، والإهانة، وهو الذي يقوم على أساس المحبة والاستدلال ويكون بدافع الإصلاح. والمستفاد من قوله ﴿وَقُولُوا﴾ أن لحن الآية هو لحن الجدال الأحسن.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحيائه إيّاه، فقال الله حاكياً عنه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. فقال الله في الرد عليه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾**[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ الجدال يجب أن يكون بالتي هي أحسن حتى مع غير المسلم، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

٢ ـ الجدال المقبول هو الذي يكون أحسن في المضمون والأسلوب واختيار الألفاظ، ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

٣ ـ الإسلام يرضى بتبادل الرأي والحوار السليم مع مختلف الأديان والثقافات والأمم، ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن يعرف الإنسان من يخاطب وأن يخاطب كل طائفة من الناس بالنحو المناسب؛ لأن خطاب الظلمة بالمنطق، والحوار، وبالتي هي أحسن لا يفيد، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾.

٥ ـ ليس كل كافر ومنكر للإسلام ظالم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾.

٦ ـ لا بد في الحوار وقبل بيان العقيدة والرأي من بيان نقاط الاتفاق، ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾.

٧ ـ الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد معه من التسليم والطاعة، ﴿ءَامَنَّا... وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ
وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ (٤٧)﴾

إشارات

- «الجحود» هو إنكار ما علمه الإنسان بقلبه أو قبول ما أنكره قلبه.

التعاليم

١ ـ يدعو القرآن أتباع الأديان كافة إلى الإسلام، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

٢ ـ الهداية الإلٰهيّة حتميّة ولازمة، وإن لم يتبع بعض الناس هدى الله ﷻ، ﴿أَنزَلْنَا... وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾.

٣ ـ من يعرف القرآن ولا يؤمن به هو من الكفار، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)﴾

التعاليم

١ ـ لا ينبغي للإنسان أن يصاب بالغرور بما يكتب وبما يقرأ، فالإرادة الإلٰهيّة قد تجعل من شخص أمي إماماً لتغيير ثقافة البشر، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا﴾.

٢ ـ من أدلة حقيّة القرآن الكريم، كون نبي الإسلام أمياً، ﴿وَلَا تَخُطُّهُ...﴾.

٣ ـ الحذر لازم لمنع المنكرين الاستغلال السيء، ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

٤ ـ نزول القرآن على النبي الذي لا يعرف القراءة والكتابة هو من سبل إتمام حجة الله على الناس، ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

٥ ـ التخلي عن الحق، واتّباع الشك، والترديد علامة على كون الإنسان مريضاً وعلى ما في داخله من ميول إلى الباطل، ﴿لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)﴾

إشارات

❑ يظهر من المقارنة بين الآية ٤٧ التي تدل على أن الكفار فقط هم الذين يجحدون بآيات الله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، وبين هذه الآية التي تدلّ على أنّ الظالمين فقط هم الجاحدون لآيات الله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾، أن الكفر نوع من الظلم وكذلك العكس.

❑ ورد في ما يقرب من عشرين رواية في كتب التفسير تدل كلّها على أن المراد من الذين أوتوا العلم، هم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

التعاليم

١ ـ بعض آيات القرآن الكريم متشابهة إلاّ أن مجموع الآيات واضح وبيّن، ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

٢ ـ علامة العلم الحقيقي التسليم بالآيات الإلٰهيّة الواضحة، ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾.

٣ ـ الإنسان وإن كان مأموراً بالسعي وبذل الجهد للوصول إلى المطلوب، إلّا أن العلم هبة إلٰهيّة، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾.

٤ ـ مسكن آيات القرآن قلوب الذين أوتوا العلم، وهؤلاء هم الذين يدركون حقانيته بتمام وجودهم، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾.

٥ ـ من النماذج البارزة للظلم، الظلم الفكري والإنكار والجحود بلا دليل، ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٦ ـ إنكار الإنسان لما يعلمه نوع من الظلم، ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾

إشارات

□ طالب المشركون النبي ﷺ ببعض المعاجز المادّية (كعصا موسى، اليد البيضاء، وغير ذلك) وقد غفلوا عن أن المعجزة في كل عصر لا بدّ من أن تتناسب مع ذلك العصر، ولذا كانت معجزة النبي ﷺ من نوع الكلام. فطلب المعجزة مع وجود مثل القرآن غير مقبول.

التعاليم

١ ـ الطلب العنادي من الأفراد المعاندين لا نهاية له، (فعلى الرغم من أنهم يرون المعجزة أمامهم ولكنهم يطلبون معجزة أخرى)، ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ﴾.

٢ ـ يرفض النبي ﷺ الطلب الذي يكون عن عناد ويرد عليه، لأن المعجزة تابعة للحكمة الإلٰهيّة ولا تكون عبثاً ولهواً، ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ الترهيب والإنذار لأهل الغفلة أقوى تأثيراً في نفوسهم من الترغيب والتبشير، ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ ولم يقل إنما أنا بشير.

٤ ـ تحذير الأنبياء يتّصف بالصراحة والشفافية، (لا يعتمد الكناية، والإبهام، والتعريض)، ﴿مُّبِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أن الكافرين كانوا يطلبون من النبي ﷺ معجزات كمعجزات الأنبياء السابقين؛ وهذه الآية ردٌّ عليهم.

التعاليم

١ ـ القرآن كتاب جامع وكامل، وفيه كفاية لكل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته المعنوية، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾.

٢ ـ رسول الله ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)]، وكذلك كتابه القرآن، (وردت كلمة رحمة مع التنوين وفي هذا دلالة على عظمته ومكانته).

٣ ـ القرآن سبب للرحمة وللخروج من حالة الغفلة، ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾.

٤ ـ الإيمان شرط لتلقي الرحمة وتأثير التذكير الإلٰهيّ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

□ في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتهديد للمعاندين، بأنّ الله ﷻ مطلع على ما يجري بين النبي وبين الكفار، وأنه سوف يحاسبهم على كل شيء.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

التعاليم

١ ـ إذا لم يكن في إقامة الدليل لأهل الكفر فائدة، فلا بد من الكف عن ذلك وإيكال الأمر إلى الله ﷻ، ﴿قُلْ كَفَىٰ﴾.

٢ ـ يشهد الله ﷻ على صدق رسوله ﷺ بإنزاله القرآن، وما جاء في الكتب السماوية من البشارة به، ﴿شَهِيدًا﴾.

٣ ـ الله ﷻ بكل شيء عليم، فما فائدة الإلحاح والإنكار؟! ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٤ ـ ترك الإيمان، والحياة المعنوية، والارتباط القلبي بغير الله، واتّباع الكفر والباطل، والانحراف خاتمته الخسران المبين، ﴿ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ... هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

٥ ـ الكفار هم الخاسرون حقاً، ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

- ورد مكرَّراً في القرآن الكريم أن الكفار عندما كانوا يهددون بعذاب الله ﷻ، كانوا يستعجلون العذاب من باب الاستهزاء، وقد ورد ذمهم على ذلك في هذه المواضع.
- في تأخير العذاب الإلٰهيّ بركات منها:

أ ـ فتح باب التوبة.

ب ـ ظهور أبناء مؤمنين من آباء كافرين.

ج ـ اختبار الناس في دينهم وثباتهم.

التعاليم

١ ـ اللطف والعذاب الإلٰهيّ لا يكون إلا عن حكمة، وبحساب، وضمن مخطّط مرسوم، واستعجاله لا تأثير له، ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾.

٢ ـ يصل السقوط الفكري بالإنسان حداً يقبل فيه بالهلاك ونزول العذاب عن قبول الحق، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾.

٣ ـ أمور هذا العالم تجري بنظام محدد ومعيّن، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

٤ ـ العذاب المفاجئ من الله ﷻ هدفه إبقاء الإنسان في حذر، ﴿بَغْتَةً﴾.

٥ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يمكن توقعه، ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٦ ـ استعجال الكفار لعذاب الله ﷻ وإن كان من باب الاستهزاء من قِبَلِهم ولم يقع، ولكن عليهم أن يعلموا أن جهنم سوف تحيط بهم حتماً، ﴿لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ عذاب جهنم محيط بهم، ﴿فَوْقِهِمْ... تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

٢ ـ عذاب جهنم تجسم لعمل الإنسان، ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٣ ـ الإنسان مسؤول عن مصيره الذي سيؤول إليه، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٤ ـ إحاطة عذاب جهنم بالكافرين بسبب إصرارهم على المعاصي، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

□ أوجب الإسلام الهجرة على طائفة من الناس؛ وهم الذين يعيشون في بلاد

الكفر والطاغوت، ويشملهم الظلم، وفي هجرتهم خلاص لهم ونجاة؛ ولكن يلقى الإنسان أمام هذا التكليف وساوسَ من الداخل والخارج، وسوف تتعرض الآيات التالية لما يدفع هذه الوساوس، والتي منها:

- خوف الموت، فالإنسان يخاف من الهجرة لأنه يخاف أن يدركه الموت هناك؛ والآية التالية تقول: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾.
- تعلق القلب بمكان السكن؛ فيصعب على الإنسان فراقه، وهذا ما يوسوس له بترك الهجرة وجوابه في الآية ٥٨: إذ يقول: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾.
- مصاعب الهجرة؛ فإنها قد تمنع الإنسان المؤمن من الهجرة، وفي الآية ٥٩ جواب ذلك بالتوصية بالصبر والتوكل على الله.
- تأمين المعاش، فمن يفكر بالهجرة يخطر بباله أن الهجرة قد تكون سبباً في حرمانه من الرزق، وفي الآية ٦٠ يأتي الجواب عن ذلك بأن الرزق بيد الله، وأن الله ﷻ يعطي الرزق حتى لمن لا يحمل رزقه، فكيف بالمهاجر في سبيل الله من أهل الجهاد.

- ❑ الهجرة عامل مساعد للإخلاص، فمن لا يهاجر ويتعلق بقومه، وعشيرته، وبلده، وطائفته ونحو ذلك من الأمور سوف يقع عن شعور أو من غير شعور بما يجتمع مع هذه الأمور من حسد وتنافس، فيخرج بذلك عن الإخلاص، وأما الهجرة إلى مناطق أخرى فتوفر للإنسان البيئة المساعدة للإخلاص.
- ❑ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: **«لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإن أرضي واسعة»**[(١)].

التعاليم

١ ـ مصاعب الهجرة ومرارتها يتحملها الإنسان متى استحضر النداء الإلٰهيّ، فإن الله ﷻ يعتني بعباده، ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٢ ـ الأساس في اختيار مكان الإقامة هو التوفيق لعبادة الله، ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

٣ ـ العبودية لله ﷻ يجب أن تكون أمراً مستمراً، ﴿يَٰعِبَادِىَ... فَٱعْبُدُونِ﴾، (يا عبادي عليكم بالعبادة حتى ترتقوا).

٤ ـ للهجرة قيمتها عندما تكون في ظل الإيمان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن تكون الهجرة لهدف ولغاية، ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

٦ ـ الهجرة تكون لحفظ الدين والنجاة من الطاغوت، ﴿أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

٧ ـ الخروج من الأرض مقدمة للخروج من أي نوع من الارتباط ليتعلق القلب بالله ﷻ. ﴿وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ﴾.

٨ ـ لا عذر لمن يرفض الهجرة بسبب تعلقه بالمكان الذي يقيم فيه، لأن الأرض واسعة وللإنسان سعة أداء تكاليف الدين فيها دائماً، ﴿أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

إشارات

□ لعل هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة، لتبيّن تكليف الإنسان إن أصابه الموت خلال هجرته.

وتجيب هذه الآية بأن الهجرة إذ كانت واجبة فلا يخاف الإنسان من الموت؛ لأن الموت مصير حتمي لكل إنسان، لكنّه ليس هو النهاية، ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾؛ وثواب الله ﷻ على الهجرة والموت فيها مكفول، كما إن عقاب من ألجأكم إلى الهجرة من الطواغيت والظالمين سوف يصل إليهم، وإن امتد زمان ذلك، (كلمة ثم لإفادة طول المدّة).

التعاليم

١ ـ الموت مكتوب على الجميع دون استثناء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

٢ ـ الموت أمر وجودي وليس عدماً، ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ... تُرْجَعُونَ﴾.

٣ ـ الموت ليس هو نهاية هذا الإنسان بل هو عود إلى المبدأ، ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- لعل هذه الآية تشير إلى ما في الآية ٥٦ من أن الهجرة عمل صالح؛ أي إن من يهاجر من بيته لأجل ما يحمله من هدف مقدّس فإن الله ﷻ سوف يكفل له مسكناً في الآخرة.
- كلمة «تبوّأ»، بمعنى إعطاء المسكن الدائم، والغرفة هي المكان العالي الذي له أطراف مشرفة.
- «الصالحات» جَمْعٌ مُحلّى بالألف واللام، ويشمل كل عمل صالح من أي نوع كان.

التعاليم

١ ـ للعمل الصالح قيمته إذا كان معه الإيمان، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢ ـ الإيمان والعمل الصالح شرطان لدخول الجنّة، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾.

٣ ـ ضمن الله ﷻ للمؤمنين الجنّة، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾، (وردت مع اللام والنون للتأكيد على حتميّة ذلك).

٤ ـ غرف الجنّة عالية جداً، ﴿غُرَفًا﴾، (التعظيم هو أحد معاني التنكير والتنوين).

٥ ـ أنهار الجنّة في حال جريان دائم، ﴿تَجْرِى﴾، (وردت بصيغة المضارع، وهو يدل على الدوام والاستمرار).

٦ ـ العمل هو الأساس في الوصول إلى الجنّة ونعمها، ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

- كلمة «تحمل» مشتقة من «حمالة» بمعنى الكفالة والتعهد، ولعل المراد من حمل الرزق أن تختزن من الرزق وتدخره لمستقبلها.
- ورد في الآية ٥٦ الوصية بالهجرة، وفي هذه الآية بيان للمهاجر بأن لا يقلق على رزقه فإن الله ﷻ الذي يرزق من في الأرض سوف يكفل له رزقه.

التعاليم

١ ـ الصبر والتوكل على الله ﷻ نموذجان للعمل الصالح، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَيَتَوَكَّلُونَ﴾.

٢ ـ أساس التوكل الاعتقاد بربوبيّة الله ﷻ، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٣ ـ الضغوط المعنوية ومشاكل الحياة تقف عائقاً أمام المحسنين، ولا بد من مقاومتها بالصبر والتوكل، ﴿صَبَرُواْ... يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٤ ـ أساس النجاح والسعادة في أمور أربعة:

أ ـ الإيمان والدافع، ﴿ءَامَنُواْ﴾.

ب ـ السعي والعمل، ﴿عَمِلُواْ﴾.

ج ـ الاستمرار والاستقامة، ﴿صَبَرُواْ﴾.

د ـ التوكل على الله ﷻ في مواجهة الوساوس والقلق، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٥ ـ التوكّل على الله ﷻ لا بد من أن يقترن مع بذل الجهد التام والاستقامة النفسية. ﴿صَبَرُواْ﴾، إخبار عن ماضيهم فإن هؤلاء قد بذلوا تمام جهدهم. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾، إخبار عن المستقبل، أي إنهم يتوكلون على الله في ما سيلحق بهم من أحداث مستقبلية لم تكن في حسبانهم).

٦ ـ طريق تقوية الإيمان والتوكل على الله تكمن في ملاحظة الألطاف الإلٰهيّة على سائر الموجودات، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾.

٧ ـ الزرق ليس من نتائج ذكاء الإنسان، ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

٨ ـ عطاء الرزق الإلٰهيّ سواء بالنسبة إلى العاجز عن اكتساب الرزق أو القادر على ذلك، ﴿يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

٩ ـ العلم الإلٰهيّ ضمانة وُفُور الرزق للموجودات، ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات

□ «الإفك» هو حرف الشيء عن حقيقته، أي تبديل الحقائق عن علم ومعرفة.

□ المراد من تسخير الشمس والقمر، سيرها في مدارها بالنحو الذي يكون مفيداً ونافعاً[1].

التعاليم

١ ـ من خلال توجيه السؤال عن مبدأ الوجود يستيقظ الوجدان ويعلم مدى إيمان الناس وما يعتقدون به، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن نستفيد في المباحث العقدية من النماذج الواضحة والحسّيّة، (السماء، الأرض، الشمس والقمر)، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٣ ـ يعلم المشركون أن الموجد هو الله ﷻ؛ ولكنّهم يرون لغيره التأثير في مصيرهم. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ الميل إلى الحق أمر فطري، والانحراف في المشركين على خلاف الفطرة،

(١) تفسير راهنما.

وبسبب البيئة المحيطة. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ وردت بصيغة المجهول وفيها دلالة على أنهم قد انحرفوا بسبب إلقاء شيء عليهم من خارج ذواتهم.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات

- زيادة الرزق وقلّته بيد الله ﷻ وهو العليم الحكيم، ويعتمد ذلك على معايير واضحة وخفية. وقد ورد في حديث: **إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك**[1].

التعاليم

١ ـ زيادة الرزق أو قلته لا ترجع إلى الصدفة، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.

٢ ـ وظيفتنا السعي في الرزق أما الحصول عليه فبيد الله ﷻ، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ﴾.

٣ ـ الإرادة والمشيئة الإلٰهيّة تابعة للعلم الإلٰهيّ، ﴿لِمَن يَشَآءُ... بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات

- لعل الحمد من نبي الإسلام ﷺ لإتمام الحجة على الكفار، أي بعد إقراركم بأن الله ﷻ هو الخالق، فالشكر لله ﷻ على إتمامه الحجة عليكم.

التعاليم

١ ـ اعتماد أسلوب السؤال وسيلة لتقريب الأفكار، والثقافات ومختلف

---

(١) تفسير أطيب البيان.

المعتقدات، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن نترك المنحرفين عن الحق؛ بل لا بد من توجيه الدعوة إليهم بمختلف الأساليب، ﴿سَأَلْتَهُم﴾.

٣ ـ الماء أساس الحياة في هذه الأرض، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾.

٤ ـ الأرض بلا نبات موات، ﴿بَعْدِ مَوْتِهَا﴾.

٥ ـ أسلوب الهداية في القرآن يعتمد على الظواهر الطبيعية والمحسوسة، (يبدأ الربيع بنزول المطر) ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

٦ ـ معرفة الله فطرية، وحجب الذنوب لا بدّ من أن تزال عن طريق الفطرة لكي يعترف المنحرفون بالحق، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

٧ ـ من النعم الإلٰهيّة الكبرى التي تستحق الشكر نور الإيمان والفطرة، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٨ ـ نور الفطرة سببٌ لنجاة الإنسان متى سعى الإنسان لتنمية بعقله، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

٩ ـ لا ينبغي عند الحكم والقضاء النظر إلى الأقلية والأكثرية، فكثيراً ما تكون الأكثريّة مع الباطل والأقلية مع الحق، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

١٠ ـ أداء العمل بلا تفكير، مذموم، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

□ اللهو يطلق على لعب الإنسان الذي يمنعه عن الاهتمام بالأهداف الرئيسة والقضايا الأساس؛ واللعب هو العمل الذي لا غاية منه ولا هدف.

□ ﴿هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، لغة تحقير للدنيا، كما إن قوله: لهي الحيوان، لغة تعظيم للآخرة.

□ **سؤال**: كيف يصف القرآن الكريم الدنيا بأنها لعب ولهو، مع دعوته الناس إلى السعي في عمارة الأرض والسير فيها واستثمار الطبيعة، الزواج، الأكل والشرب وغير ذلك؟

الجواب: إن ما يسعى إليه الإنسان لأجل الوصول إلى الهدف المقدّس، وباستخدام الوسائل المقدّسة الخاضعة للقانون والتي تتقيد بالضوابط والشروط، يكون فيه مزرعة الآخرة، وما ورد ذمه في هذه الآية ووصفه بأنه لعب ولهو هو الموارد التي لا يكون المقصود منها الغاية المقدّسة، والتي تصدر بما يخالف الشرع والدين والقوانين.

التعاليم

١ ـ خلق هذه الدنيا كان لحكمة ولغاية، ولكن الغفلة عن الآخرة، والتعلق بهذه الدنيا، والغرق فيها هو اللهو واللعب، ﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾.

٢ ـ لا يجوز السكوت دائماً أمام رغبات الناس، بل لا بد أحياناً من رفع الصوت عالياً لإيقاظ أصحاب القلوب الغافلة، ﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾.

٣ ـ الأسلوب التبليغي الناجح يعتمد على رفض المساوئ وتقديم البدائل الصالحة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾.

٤ ـ الحياة الحقيقيّة هي الحياة الأخروية، ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

٥ ـ يجهل الناس يد حقيقة الآخرة، ولولا ذلك لما تعلّقوا بهذه الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات

□ **سؤال**: يطرح الماديون في تحليلهم لمسألة الإيمان مسألة الخوف، ويقولون: إن أساس الدين هو الخوف. فالإنسان منذ يكون طفلاً يلجأ إلى أبويه عندما

يخاف، فإذا صار رجلاً لجأ عند خوفه إلى قدرة موهومة يطلق عليها الله. فهل هذه الآية التي تتحدث عن إحساس الناس بالله ﷻ عندما يشعر بخطر الغرق تؤيد نظريّة هؤلاء؟

الجواب: إن هذه الآية تتحدث عن تعلق الإنسان بالله ﷻ في حالات الخطر؛ ولكنها لا تتحدث عن أن أصل وجود الله ﷻ هو وليد الخطر. فنحن عندما تمطر السماء علينا نحمل المظلة، ولكن هذا لا يعني أن الخوف وهمي والمواجهة وهمية أن المظلة لا وجود لها لولا الخوف من المطر. فوجود قدرة أبدية في الوجود أمر فطري وإن كان الإنسان لا يلتفت إليها إلا عند الإحساس بالخطر.

التعاليم

١ ـ الخوف يرفع عن الإنسان حجب الغفلة ويوقظ فطرته التي تدرك وجود الله، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا... دَعَوُا اللَّهَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن يكون الإيمان مرحلياً وموسمياً، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ... يُشْرِكُونَ﴾.

٣ ـ المكان والزمان لا يجعلان القرآن من التاريخ، فإن ركوب الفلك استمر في حياة كل البشر على مر التاريخ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ...﴾.

٤ ـ الأهم من الإخلاص المحافظة عليه، ﴿مُخْلِصِينَ... إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

٥ ـ الدعاء مع الإخلاص يكون مستجاباً، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ... فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ (بعد الدعاء ورد حرف الفاء في قوله (فلما)، وهو دليل استجابة الدعاء).

٦ ـ النجاة من المصاعب والابتلاءات طريق للشكر لا للشرك، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

إشارات

□ المراد من «يكفروا» هو كفران النعمة، إذ ورد إلى جانب ذلك قوله: ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾.

التعاليم

١ ـ الشرك نوع من عدم الشكر وكفران النعمة، ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾.

٢ ـ العطاء مفتوح في هذه الدنيا للناس، صالحين كانوا أم فاسدين، ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾.

٣ ـ لا ينبغي للإنسان أن يُسَرَّ بالعطاء إذا اقترن مع الكفر؛ لأنّ عاقبة أمره سوف تكون سيئة، ﴿لِيَكْفُرُواْ... وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ...﴾.

٤ ـ لا بد في التربية من استخدام لغة التهديد، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ من طرق دعوة الناس إلى الله ﷻ تذكيرهم بالنعم الإلٰهيّة عليهم، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾.

٢ ـ تذكير الإنسان بحالات عدم الأمن في الأماكن المحيطة يبين قيمة الأمن الذي يعيشه، ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾.

٣ ـ الأمن يوفر للإنسان بيئة للعبادة[1]، ولكن جماعة من الناس لا يقدّرون ذلك فيتجهون ناحية الكفر، ﴿حَرَمًا ءَامِنًا... أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ الإيمان بالوحي يجب أن يكون تاماً دون زيادة أو نقصان. فإضافة شيء في

---

(١) ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ... ٱلَّذِىٓ... وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾؛ (سورة قريش: الآية ٣ ـ ٤).

الدين من الافتراء ومن أسوأ الظلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

٢ ـ أسوأ الظلم هو الظلم الفكري الذي يستهدف زعزعة تسليم الإنسان أمام الحق، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ... أَوْ كَذَّبَ﴾.

٣ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يكون إلا بعد إتمام الحجة، ﴿كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ...﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾

التعاليم

١ ـ لا بد في سبيل الوصول إلى الهداية الإلٰهيّة الخاصة من السعي، بالنحو اللازم. والخطوة الأولى هي من قبل الإنسان، ﴿جَٰهَدُوا۟... لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾، كما ورد في آية أخرى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[١].

٢ ـ إن خطوة واحدة مع الإخلاص أو لحظة إخلاص قد تؤدي أحياناً إلى الهداية والنجاة الأبدية؛ فقد وردت كلمة «جاهدوا» بصيغة الماضي، بينما وردت كلمة «لنهدينّهم» بصيغة المضارع الذي يدلّ على الاستمرار.

٣ ـ لا يجب في العمل الإداري والقيادي أن تكون أبعاد العمل الذي يؤدّى واضحة من اليوم الأول، بل يكفي أن يخطو الإنسان في خطّ الله ﷻ، وتأتيه الهداية الغيبية في وسط الطريق، ﴿جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾.

٤ ـ الإخلاص هو الذي يجعل للجهد المبذول قيمة، ﴿فِينَا﴾.

٥ ـ لا حدود للطرق الموصلة إلى القرب الإلٰهيّ، ﴿سُبُلَنَا﴾.

٦ ـ لنطمئن بالوعد الإلٰهيّ، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ (اللام والنون للتأكيد).

٧ ـ علامة كون الإنسان من المحسنين أن يكون مجاهداً في طريق الحق عن إخلاص، ﴿جَٰهَدُوا۟ فِينَا... لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) سورة محمد: الآية ٧.

٨ ـ إذا كان الله ﷻ مع عبده الضعيف فذلك ضمانة وصوله إلى كل شيء حَسَن، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، كما نقرأ في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة: **«ماذا فَقَدَ من وَجَدَك، وماذا وَجَدَ من فقدك؟»**[1].

٩ ـ كَشَفَ الله ﷻ لنا طريق القرب إليه وأخذ بيدنا ليوصلنا إلى المقصد، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ... لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) الذريعة إلى حافظ الشريعة (شرح أصول الكافي للجيلاني)، ج٢، ص ٣١١.

سُورَةُ الرُّومِ

السورة: ٣٠ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٦٠

ملامح سورة الروم

سورة الروم مكيّة، وعدد آياتها ستون آية. والموضوع الأساس في هذه السورة هو قضيّة المبدأ والمعاد، وهو موضوع مشترك بين أكثر السور المكيّة.

تبدأ هذه السورة بتوقع انتصار الروم على الفرس؛ لذا كانت تسمية هذه السورة بسورة الروم.

القسم الأكبر من هذه السورة يتعرض للنعم الإلٰهيّة في السماء والأرض، ونظام الزوجية في النباتات والحيوانات، وخلق الإنسان من تراب، وعلاقة الرجل بالمرأة، والسعي في كسب الرزق، والمنام في الليل، ونزول المطر، والريح، وحياة الأرض بعد موتها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣
فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤
بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾

إشارات

□ كلمة «بضع» بمعنى «القطعة»، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «**فاطمة بضعة مني**»[1]. ويراد من كلمة «بضع» أحياناً القطعة من الزمان من ثلاث إلى تسع سنوات.

□ **سؤال**: ما هي علاقة المسلمين بانتصار الروم على الفرس حتى جاء قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

الجواب: بعث نبي الإسلام ﷺ كتاباً إلى ملك الفرس وآخر إلى ملك الروم يدعوهما إلى الإسلام. أما ملك الفرس (خسرو برويز) فقدْ مزق كتاب رسول الله ﷺ، وأما قيصر الروم فقد تعامل مع كتاب الرسول باحترام. وكانت رغبة المؤمنين أن ينتصر ملك الروم نظراً لاحترامه لكتاب الرسول. ولكنه انهزم وأحزن ذلك المسلمين. فأنزل الله ﷻ هذه الآيات بشارة منه للمسلمين بأن الهزيمة وإن لحقت بالروم الآن؛ ولكنهم سوف ينتصرون بعد ذلك، وبهذا كان فرح المؤمنين[2].

نعم لا ينبغي بالمجتمع الدينيّ أن ينغلق على نفسه، بل لا بدّ من أن يظهر ردة فعله تجاه الأحداث الميحطة به.

التعاليم

١ ـ من وجوه الإعجاز في القرآن الإخبار الصادق عن المستقبل وتحقق ذلك الإخبار، (فالروم انهزموا أمام الفرس، وأخبر القرآن أنه بعد سنين سيكون النصر حليف الروم وهو ما حدث فعلاً)، ﴿غُلِبَتِ... سَيَغۡلِبُونَ﴾.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٦٧. (٢) تفسير نور الثقلين.

٢ ـ لا ينبغي أن نيأس من الهزيمة، ﴿غُلِبَتِ... سَيَغْلِبُونَ﴾.

٣ ـ في النصر وفي الهزيمة لا ينبغي أن ننسى أن الأساس هو التوحيد، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

٤ ـ النصر من عند الله، والعدة، والعتاد العسكري منه أيضاً، ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ﴾.

٥ ـ العزة والرحمة الإلْهيّة هما سببا النصرة، ﴿يَنصُرُ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ ينبغي الاستفادة من صدق الوعد الإلْهيّ في دعوة الناس إلى الإيمان، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

٢ ـ سبب خلف الوعد إما العجز، وإمّا الجهل وإمّا الندم، والله ﷻ منزّه عنها جميعاً، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

٣ ـ خلف الوعد قبيح، ولكن خلف الوعيد نوع من الرحمة، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ يعيش أكثر الناس الشك في وفاء الله بوعده، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٥ ـ الأكثريّة ليست معياراً، بل العلم والإيمان والالتزام هو المعيار، ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ قصر النظر، سطحية التفكير، وعدم الاهتمام بما وراء المادّيات نوع من الجهل، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ... يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا...﴾.

٢ ـ على الإنسان أن يكون متعمّقاً ومتدبراً، لا يأخذ الأمور على ظواهرها ويغفل عن باطنها، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا... وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

٣ ـ الدنيا ليست قبيحة بل الغفلة عن الآخرة قبيحة، ﴿عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

٤ ـ المنتقد هو العلم بظواهر الدنيا المادّية دون اهتمام بالآخرة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا... عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

٥ ـ للدنيا ظاهر وباطن والآخرة باطن الدنيا، ﴿ظَٰهِرًا... عَنِ ٱلْآخِرَةِ﴾.

٦ ـ الاهتمام بظواهر الحياة الدنيا سبب للغفلة عن الآخرة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا... وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ التفكر دواء الغفلة، ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾.

٢ ـ التفكر إنما يكون مثمراً ومفيداً ونافعاً متى ما كان بعيداً عن الهوى والمؤثرات السلبية وقام على أساس العقل والفطرة، ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾.

٣ ـ للخلق هدف وأمد..، ﴿خَلَقَ... بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٤ ـ الدنيا مجرد مدة زمنية، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٥ ـ ينتج عن التفكير السليم الإيمان بحقانية عالم الوجود وهدفيته والإيمان بالآخرة، ونتيجة تعطيل التفكير الكفر وإنكار المعاد، ﴿يَتَفَكَّرُوا۟... لَكَٰفِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الرواية أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ فقال: «معناه أو لم ينظروا في القرآن»[١].

□ في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام حديث عن أهميّة التعرف على تاريخ الأمم والاعتبار به قال: «أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم»[٢].

التعاليم

١ ـ دراسة التاريخ، السير في الأرض والاستفادة من تجارب الآخرين، كل هذه تُعدُّ من وسائل المعرفة وتركها مذموم، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾.

٢ ـ من الأسباب الموجبة للخلاص من الرؤية السطحية والظاهرية دراسة التاريخ وفلسفة التاريخ والاطلاع على مصير الأمم السابقة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا... أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾.

٣ ـ المتغيّرات التاريخية التي تقوم على قوانين ثابتة تشكل درس عبرة للإنسان، اليوم وغداً، ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾.

٤ ـ السير في الأرض لا بدّ من أن يكون سبباً للتيقظ ومُبعِداً عن الغفلة، ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾.

٥ ـ لا بد من النظر إلى مصير الأمم السابقة، لا إلى طريقة عيشهم وأسلوب حياتهم، ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ...﴾.

٦ ـ قامت قبل الإسلام حضارات وقوى كبرى؛ ولكنها أصيبت بالفناء، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٧ ـ إذا نزل غضب الله بقوم فليس لأحد من سبيل إلى مقاومة ذلك، ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

٨ ـ النظر في العذاب الذي نزل على القوى الكبرى وأدى إلى زوالها سبب لزوال الغرور من النفس، ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

٩ ـ السعادة وحسن الحظ لا يقتصران على امتلاك القوة والعمران، بل لا بد من الإيمان واتّباع الأنبياء، ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً... وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا... كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١٠ ـ الاغترار بالقوة والثروة من موانع الإيمان بالأنبياء، ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ...﴾.

١١ ـ لا بد من استخدام الأساليب والأدلة الواضحة في العمل التبليغي والدعوي، ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

١٢ ـ الله ﷻ عادل ورحيم؛ والسبب في ما أصاب الأمم السالفة من عذاب وهلاك، هو فعلهم، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١٣ ـ التخلف عن طاعة الأنبياء ظلم للنفس وموجب للعذاب، ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس للمكذبين ولا للمستهزئين من ثمرة في عملهم سوى سوء العذاب، ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ... كَذَّبُوا۟... يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٢ ـ لِسقوط الإنسان مراحل: فيبدأ بالمعصية، ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، ثم التكذيب، ﴿كَذَّبُوا۟﴾، ثمّ الاستهزاء، ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

□ كلمة «يبلس» من «الإبلاس»، وهو بمعنى الغم والحزن الناشئين من شدة اليأس. ومفردة إبليس هي أيضاً من هذا الجذر.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من الاستفادة من الأمور المحسوسة في البحث والاستدلال لتكون شاهداً على الأمور المعقولة، ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، فالخلق الأول دليل على القدرة على الخلق ثانية.

٢ ـ الرجوع إلى الله ﷻ والحضور في يوم القيامة إجباري وليس اختياريا، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

٣ ـ لا ينبغي أن نغترّ بسرور المذنبين اليوم فإن يوم غمٍّ ينتظرهم في غدهم، ﴿وَيَوْمَ... يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن يتعلق الإنسان بالشفعاء المتخيَّلين، ﴿وَلَمْ يَكُن... شُفَعَٰٓؤُاْ﴾.

٥ ـ في يوم القيامة العشق الكاذب سوف يتبدّل إلى كفر ونفور، ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

- «الروضة» تطلق على الحديقة التي تحوي ماءً وشجراً وفيراً.
- كلمة «يحبرون» من «الحبر» بمعنى حالة السرور التي تكون آثارها ظاهرة على الوجه.

التعاليم

١ ـ يفصل في يوم القيامة بين المطهرين وبين غيرهم: ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ (يوم القيامة من جهة هو: ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾[1]، ومن جهة أخرى هو: ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾)[2].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٧.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢١.

٢ ـ يوم القيامة هو يوم انقطاع أيِّ نوعٍ من العلاقات والصداقات غير الإلٰهيّة، ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾.

٣ ـ الإيمان الذي يقترن بالعمل الصالح هو الذي يكون له قيمته، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

٤ ـ الإيمان والدافع أهم من العمل نفسه، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

٥ ـ شرط الاستقامة والدخول إلى الجنّة الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾
فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾
وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

- يعتقد بعضٌ أن هذه الآيات تشير إلى الأوقات الخمسة للصلاة في الصبح والظهر والليل.
- من الممكن أن تكون جملة «فسبحان الله» دالةً على الأمر بالتسبيح، وكذلك جملة «له الحمد»، على الرغم من أنّ لسانهما لسان إخبار.

التعاليم

١ ـ ترغيب الناس في الخير وتحذيرهم من الشر ممكن من خلال بيان المصير الذي سوف يلقاه الأخيار، والمصير الذي سوف يلقاه الأشرار، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾.

٢ ـ تكذيب الآيات والمعاد يرجع إلى كفر الإنسان وعناده، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

٣ ـ مصير الإنسان مرتبط بعمله، ﴿كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟... فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ﴾.

٤ ـ في الأوقات الخمسة للصلاة الذات المقدّسة الإلٰهيّة تقول أيضاً: سبحان الله، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ...﴾.

٥ ـ بعض الأزمنة أنسب لذكر الله ﷻ من أوقاتٍ أخرى، ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

٦ ـ تنزيه الله ﷻ والطهارة من العيوب تتقدم على الثناء عليه والحمد له، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ... لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾.

٧ ـ التسبيح والحمد في كل مكان (السماء والأرض) وفي كل زمان قيمة بحد ذاته، ﴿تُمْسُونَ... تُصْبِحُونَ... ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ
وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

□ ذكروا في كتب التفسير لخروج الحي من الميت والميت من الحي مصاديق عدّة ونماذج كثيرة، من ذلك: إيجاد الإنسان من نطفة وإيجاد النطفة من الإنسان، الولد المؤمن من أبوين كافرين وبالعكس، وهذه جميعاً تدل على القدرة الإلٰهيّة المطلقة على العالم ومنها القيامة وحشر الموجودات.

التعاليم

١ ـ لا تشكّوا في المعاد؛ لأن الله ﷻ هو الذي يحيي ويميت، (إزالة حالات الشك والتردد من خلال تقديم النماذج)، ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ... كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ تكرر في القرآن الكريم في أحد عشر مورداً تعبيرُ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾، وسبعة موارد منها في هذه السورة.

□ تعرضت الآية السابقة لخروج الميت من الحي وكذلك العكس بشكل عام وفي هذه الآية بيان لنموذج ومصداق من ذلك.

التعاليم

١ ـ أفضل طريق لمعرفة الله ﷻ التفكير في خلقه، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾.

٢ ـ الآيات الدالة على وجود الله ﷻ لا تقبل العد؛ وما يُعدّ هو قليل من كثير، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾.

٣ ـ الإنسان هو أبرز خلق الله، (فالآيات التي تتحدث عن دلائل سعة القدرة الإلٰهيّة تبدأ بالإنسان)، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٤ ـ معرفة النفس مقدمة لمعرفة الله ﷻ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٥ ـ منشأ وجود كل الناس من تراب، (فلا داعي للتفاخر)، ﴿مِّن تُرَابٍ﴾.

٦ ـ ليس في التراب من حس أو حركة، ولكن في الإنسان روح، وهذا دليل على قدرة الله وعظمته، ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ... تَنتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

□ ذكر الله ﷻ باب لسكينة الروح والقلب، ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(١)]، والأزواج يسكن بعضهم إلى بعض، روحياً وجسدياً، ﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[(٢)].

التعاليم

١ ـ للخلق غاية وهدف، ﴿خَلَقَ لَكُم﴾.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨. (٢) سورة الروم: الآية ٢١.

٢ ـ الرجل والمرأة من جنس واحد، (خلافاً لبعض المعتقدات المنحرفة التي ترى المرأة موجوداً أدنى من الرجل أو من جنس آخر)، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

٣ ـ الزوجة يجب أن تكون سبباً للسكينة لا للتشنج والاضطراب، ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾.

٤ ـ ليس الهدف من الزواج هو إشباع الغريزة الجنسيّة فحسب، بل الوصول إلى الاستقرار الجسمي والنفسي، ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾.

٥ ـ يكمن دور الزوجة في بثّ السكينة، ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾.

٦ ـ المحبة هدية إلٰهيّة لا يصل إليها الإنسان بالمال والجاه وغير ذلك، ﴿جَعَلَ﴾ (المودة والرحمة هدية إلٰهيّة للزوجين).

٧ ـ كل من يقوم بما يؤدّي إلى إيجاد خلل في روح المودة بين الزوجين، يخرج عن مدار طاعة الله إلى خط الشيطان، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم...﴾.

٨ ـ علاقة الرجل بالمرأة لا بدّ من أن تقوم على أساس المودة والرحمة، ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (المودة والرحمة سبب لبقاء الحياة المشتركة بينهما واستمرارها).

٩ ـ المودة والرحمة يثمران متى كانا معاً، (المودة بلا رحمة توجب البرودة، والرحمة بلا مودة لا دوام لها)، ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

١٠ ـ أهل الفكر فقط هم الذين يمكنهم أن يجعلوا للزواج دوراً بنّاءً، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ خَلقُ السموات والأرض من آيات القدرة الإلٰهيّة غير المتناهية، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ اختلاف اللغات والأعراق طريق من طرق معرفة الله، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ... وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

٣ ـ لكل لغة جمالها وخصائصها، وتغييرها ليس لازماً ولا يعد كمالاً، (ليس لأحد الحق في النظر باحتقار إلى أي عرق أو أي لغةٍ)، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ... وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

٤ ـ لا ينسجم اتحاد البشر كافة في الشكل واللون مع بديع خلق الله ﷻ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ... وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾.

٥ ـ يصل الإنسان العالِم ذي الفهم من اختلاف الألوان والألسن إلى معرفة الله؛ ولكن الجاهل يرى في اختلاف الألوان والألسن وسيلة لاحتقار الناس والتفاخر عليهم، ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن ننظر إلى نعم الله على أنها بسيطة، فحتى النوم هو نعمة كبرى، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم﴾.

٢ ـ النوم مقدمة للعمل والسعي، ﴿مَنَامُكُم... وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾.

٣ ـ العمل والسعي لكسب المعاش أمر ممدوح، وهو من آيات الله، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ... وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾.

٤ ـ أصل النوم في الليل، وأما النوم في النهار فهو للراحة المؤقّتة، ﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

٥ ـ الفضل الإلٰهيّ واسع؛ ولكن علينا السعي لكسبه، ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾.

٦ ـ النعم التي ينعم بها الله ﷻ علينا ليست من باب الاستحقاق؛ بل من باب اللطف والفضل الإلٰهيّ، ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

□ نلاحظ في هذه الآية وفي الآيات السابقة أربع مفردات هي: ﴿... يَتَفَكَّرُونَ، لِّلْعَٰلِمِينَ، يَسْمَعُونَ، يَعْقِلُونَ﴾.

ولكي تصبح هذه المفردات عمليّة بينت الآيات أربع مراحل طبيعية:

١ ـ الإنسان في البداية عليه أن يفكّر: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾.

٢ ـ ثم يفهم ويصبح عالماً: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾.

٣ ـ ثم العالِمُ يُنصتُ بدقة للكلام ويلتفت إلى مضامينه: ﴿يَسْمَعُونَ﴾.

٤ ـ بسبب تعمقه في السمع يصل إلى مرحلة التعقل: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ الخوف إلى جانب الطمع يكون بنّاءً، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

٢ ـ ما من صدفة بين البرق في السماء، والمطر، ونبات الأرض، بل كل ذلك يجري وفق مخطّط دقيق ومحسوب، ﴿ٱلْبَرْقَ... وَيُنَزِّلُ... فَيُحْىِۦ﴾.

٣ ـ نظام الخلق مبنيّ على أساس الأسباب والعلل الموضوعة ضمن خطة دقيقة، ﴿فَيُحْىِۦ بِهِ﴾.

٤ ـ الربيع والخريف، سقوط ورق الأشجار ونباتها من آيات القدرة الإلٰهيّة على الخلق، ﴿فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾.

٥ ـ معرفة الله لا بدّ من أن تقوم على أساس العلم والفكر والتعقل، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات

□ في هذه الآيات ورد أن خلق الإنسان من تراب آية من آيات القدرة الإلٰهيّة: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾، وكذلك الموت وخروج الإنسان من قبره، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

□ وجّه الله ﷻ خطابَه في هذه الآية وفي الآيات الخمس السابقة خمسة عشرة مرة للناس، وفي خطابه هذا تعداد للنعم الإلٰهيّة، وهذا من أساليب التبليغ والدعوة.

التعاليم

١ ـ قيام نظام الخلق ليس صدفة وليس بيد أحد، بل بالإرادة الإلٰهيّة، ﴿تَقُومَ... بِأَمْرِهِۦ﴾.

٢ ـ تحقق المعاد بإرادة الله ﷻ ودعوته للناس، ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾.

٣ ـ دعوة نبي الله تجعل الميت حياً، ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[1]، فكيف بالدعوة الإلٰهيّة، ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

٤ ـ الإيمان بالمبدأ مقدمة للإيمان بالمعاد، فمن أقام نظام الوجود قادر على أن يميتكم ثم يحييكم، ﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ... إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

٥ ـ المعاد جسماني، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ... تَخْرُجُونَ﴾.

٦ ـ المعاد، دفعي وليس تدريجيا، ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

□ المراد من قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إما الملائكة المطيعون لأمر الله أو موجودات غيرها ذات شعور، لم يطّلع البشر عليها بعد.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

التعاليم

١ ـ في الرؤية الكونية الإلٰهيّة كل عالَمِ الوجود خاضع، ومسلم، وقانت لله ﷻ ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

٢ ـ الوحدانية الإلٰهيّة في كل شيء:

ـ في المالكية: ﴿لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

ـ في العبادة: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

ـ في الخالقية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

ـ في الكمالات: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

٣ ـ باب معرفة المعاد النظر في الخلق الأول، ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

٤ ـ كلموا الناس على قدر عقولهم، (مع أنه بالنسبة إلى الله لا وجود لأمر أصعب أو أهون من آخر ولكن ورد في الآية استخدام مفردة أهون).

٥ ـ صفات الله ﷻ أعلى من تصور الإنسان وبيانه وتدوينه، ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

٦ ـ لا تقس شيئاً أو أحداً بالله ﷻ، ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

٧ ـ مقتضى الحكمة والقدرة الإلٰهيّة وجود المعاد، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ... هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨﴾

التعاليم

١ ـ الاستفادة من الأمثال من أساليب التربية والتبليغ، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا﴾.

٢ ـ ما لا ترضاه لنفسك، لا ترضه للآخرين، ﴿هَل لَّكُم... مِّن شُرَكَآءَ﴾.

٣ ـ اجعل وجدانك قاضياً وانظر:

إذا كنت أنت الإنسان مشابهاً لمن تحت ملكك ولا تراه شريكاً لك، فكيف ترى من لا يشبه الله ﷻ شريكاً له؟

أنت الإنسان لا تتحمل الشريك للحظة، فكيف ترضى لله شريكاً دائماً؟

أنت الذي لا ترضى شريكاً لك في رزقك كيف ترضى شريكاً للخالق؟

أنت الذي تتمنع من أن يكون لك شريك مع كونه شبيهاً لك، كيف ترضى أن يكون لله شريك من خشب وحجر؟

أنت المالك غير الحقيقي لا ترضى بأن يكون لك شريكاً، كيف ترضى أن يكون الخشب والحجر شريكاً للخالق والمالك الحقيقي؟

٤ ـ وجود الشركاء مصدر قلق واضطراب، ﴿شُرَكَآءَ... تَخَافُونَهُمْ﴾

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ المشركون لا يعقلون وهم يظلمون أنفسهم، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾.

٢ ـ ليس للمشرك من برهان علمي على شركه، وأساسُ انحرافِه يكمنُ في اتّباعه هوى نفسه، ﴿ٱتَّبَعَ... أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٣ ـ الشرك ظلم للنفس، ﴿ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾.

٤ ـ ميول الإنسان متنوّعة، ﴿أَهْوَآءَهُم﴾.

٥ ـ الله ﷻ يضل من يتبع هواه بدل اتّباع العلم والعقل، ﴿ٱتَّبَعَ... أَهْوَآءَهُم... أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾.

٦ ـ صفات المشرك متعدّدة منها:

ـ الظلم: ﴿ظَلَمُوٓا۟﴾.

ـ انعدام المنطق: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

ـ الضلال: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾.

ـ عدم الناصر: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

٧ ـ الظالمون المتبعون لهواهم سوف يأتي يوم يرون أنفسهم بلا ناصر، ﴿ٱتَّبَعَ... أَهْوَآءَهُم... وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- ورد في الآيات السابقة أن الكون كله خاضع لله ﷻ، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ وبدء الخلق، ومنتهاه، والمثل الأعلى، والعزة، والحكمة له ﷻ، وأن الشرك ليس سوى خيال وظلم؛ لذا تأمر هذه الآية بالتوجه بإخلاص إلى الله ﷻ.
- «الفطرة» في اللغة بمعنى «الخلقة»، والإيجاد من العدم وخلق الموجود. فالله ﷻ خلق في الإنسان ميلاً إلى الحق ونفوراً من الباطل. كعلاقة الأم بولدها فإنه ليس أمراً تعليمياً؛ بل هو فطري وغريزي.
- ورد في الروايات أن جملة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو إقامة الصلاة، واستقبال القبلة، والإسلام، والإخلاص، والتوحيد[١].

التعاليم

١ ـ على أئمة الدين في الناس أن يجسدوا الحق في نفوسهم، ثم بعد ذلك يشرعون في إرشاد الناس، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾.

٢ ـ في الإنسان ميل ذاتي فطريّ إلى الدين والحق، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

٣ ـ خلافاً لما يتصوره بعض الناس من أن الإنسان كالإناء الخالي يُملأ بالعادات

---

(١) تفسير راهنما.

والتقاليد والأفكار، حقاً كانت أم باطلاً، وأن الأنظمة الاجتماعية، والسياسيّة والاقتصادية هي التي تبني شخصيته، تحكي الآية عن أن الله ﷻ هو الذي أودع في الإنسان فطرة معرفة الحق والميل إليه، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ...﴾.

٤ ـ معنى كون الدين فطرياً أن إقامة هذا الدين في غنى، بذلك، عن الجهد، ﴿أَقِمْ... فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ الانحراف عارض؛ لأن الميل إلى الدين الحق مزروع في فطرة الإنسان، ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾.

٦ ـ الدين الفطري ثابت ومحكم، ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ... ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

٧ ـ التكوين والتشريع متكاملان، ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ... ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

٨ ـ الحركة في خط الدين، حركة في مسيرة الفطرة الإنسانية، ﴿فَأَقِمْ... فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾.

٩ ـ الأمور الفطرية لدى الإنسان تقوى وتضعف؛ ولكنها لا تمحى إطلاقاً، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾.

١٠ ـ الميل إلى طلب الحق الموجود في فطرة الإنسان لا يتبدل بتبدل الزمان والمكان، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾.

١١ ـ كل أنواع الميول والرغبات في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأعراق وغيرها، لا ثبات لها إذا لم تكن نابعةً من الفطرة والطبيعة الإنسانيّة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

١٢ ـ الإسلام فقط هو الدين الثابت، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

- «منيبين» من «الإنابة» وهي بمعنى الرجوع المتكرر والمستمر.

❑ ورد في الآية السابقة الخطاب للنبي ﷺ بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾، وفي هذه الآية أمرٌ للناس كافة بالرجوع إلى الله ﷻ، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾.

التعاليم

١ ـ يجب أن يتجلى الميل الفطري إلى الدين بالمناجاة، والإنابة، والتقوى، والصلاة، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ...﴾.

٢ ـ التقوى والصلاة من مقتضيات الفطرة، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ... وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾.

٣ ـ التوبة والإنابة لا بدّ من أن تقترن بالتخلي عن الذنب وأداء الواجبات، ﴿مُنِيبِينَ... وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾.

٤ ـ في ظل التوبة، والتقوى، والصلاة يتمكن الإنسان من الابتعاد عن الشرك والفرقة، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٥ ـ إذا لم تكن عبادة الفرد في منأىً من التفرقة في الدين فإنها لا تنفع، ﴿لَا تَكُونُوا... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾.

٦ ـ تتجلّى روح التقوى عند الإنسان في إقامة الصلاة، ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾.

٧ ـ لا ينحصر الشرك في عبادة الشمس والقمر والأصنام؛ بل كل من يكون سبباً للتفرقة في دين الله ﷻ فهو مشرك، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.

٨ ـ يسعى المشركون للتفرقة بين الناس في دينهم، ﴿الْمُشْرِكِينَ... الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.

٩ ـ الاختلاف والتفرقة في الدين مانع من موانع تجلّي الفطرة، وروح التوبة، والتقوى، والصلاة، ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.

١٠ ـ التعصب والتعلق القلبي بما لدينا قد يؤدي أحياناً إلى الابتعاد عن اتّباع الحق، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ الضرُّ منا والرحمة من الله ﷻ، ﴿مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ... مِّنْهُ رَحْمَةً﴾.

٢ ـ بعض الناس لا يلجأون إلى الله ﷻ بالدعاء إلا في حالات الشدة وعند المصيبة، مع أن المؤمن يجب أن يكون مع الله في كل حال، ﴿ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾.

٣ ـ آية كون الميل إلى الله ﷻ فطرياً في الإنسان هو لجوءهُ إلى الله ﷻ في المصائب والشدائد؛ إذ تزول حجب الغفلة، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ... وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم﴾.

٤ ـ الإنسان مخلوق في غاية الضعف، فعند أدنى المصائب يلجأ إلى الصراخ والدعاء، ومتى نزلت عليه الرحمة صار من الغافلين، ﴿ضُرٌّ دَعَوْا... رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٥ ـ الرفاهية سبب للغفلة، ﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٦ ـ بعض الناس لا يشكرون، (فمتى نزلت بهم الرحمة يشركون بدل أن يشكروا)، ﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً... يُشْرِكُونَ﴾.

٧ ـ دعاء المضطر مستجاب، ﴿ضُرٌّ دَعَوْا... أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾.

٨ ـ حياة البشر مليئة بالأفراح والأتراح والمصاعب، ﴿ضُرٌّ... رَحْمَةً﴾

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ الشرك خطوة في طريق الكفر وعدم الشكر، ﴿يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا﴾، في العودة إلى الشرك نوع من كفران النعمة.

٢ ـ من السنن الإلٰهيّة إمهال أهل المعاصي، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾.

٣ ـ قد يلزم في الإرشاد والتربية استخدام أسلوب التهديد والتوبيخ، ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ إلى جانب أشد أنواع التهديد لا ينبغي أن ننسى لغة المنطق، ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.

٥ ـ العقيدة في الله ﷻ تكون حقاً وأمراً مقبولاً متى كانت بتأييد من الله ﷻ، ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.

٦ ـ ليس للشرك من دليل وليس المشرك بمنطقي، ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾.

٧ ـ الدليل والاستدلال لا بدّ من أن يكون واضحاً بيّناً، ﴿سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾.

٨ ـ كل إنسان معرّض للتوجه لغير الله ﷻ؛ ولكن الخطر في الاستمرار على ذلك، ﴿كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ يمتلك الإنسان شخصيّة انفعالية وخاضعة للتأثير، ﴿فَرِحُوا... يَقْنَطُونَ﴾.

٢ ـ الرحمة من الله والسيّئة نتيجة مترتبة على عملنا، ﴿أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً... سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣ ـ الإنسان البعيد عن الله ﷻ ضعيف ومحدود، فأقل نعمة تصله يصاب بسببها بالغرور، وإذا أصيب بأدنى المصائب انسدت الطرق أمامه[1] ﴿رَحْمَةً فَرِحُوا... سَيِّئَةٌ... يَقْنَطُونَ﴾، وما يريده الله ﷻ من عباده أن لا يكفروا عند زوال النعمة وأن لا يبطرهم نزول النعمة، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2].

٤ ـ التمتع برحمة الله حتمي، وأما الابتلاء بالمصائب فليس حتمياً، ﴿إِذَا... وَإِن﴾ («إذآ» في اللغة تستعمل في حال كون الأمر محتوماً وهنا استعمِلت مع الرحمة، و«إن» تستعمل في حالات عدم الحتم والشكّ وهنا استعمِلت مع السيّئة).

---

(١) التنوين في مفردات: «رحمة» و«سيّئة»، تدل على القلة والضعف.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٣.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

❑ كلمة «يقدر» بمعنى المقدار وتأتي بمعنى التشدد؛ ولكنّها إذ وردت هنا إلى جانب كلمة «يبسط» فالمراد منها الضيق والشدة.

التعاليم

١ ـ استذكار أن الرزق بيد الله يخرج بالإنسان من اليأس وانقطاع الأمل، ﴿يَقْنَطُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

٢ ـ لا بد للإنسان من السعي لكسب المعاش، ولكن عليه أن يدرك أن تقدير المعيشة بيد الله ﷻ، ﴿اللَّهَ يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.

٣ ـ الحديث عن سعة الرزق يأتي دائماً في القرآن الكريم قبل الحديث عن ضيق الرزق، وهذا دليل على رحمة الله الواسعة، ﴿يَبْسُطُ... يَقْدِرُ﴾.

٤ ـ لا يظن الإنسان أن سعة رزقه بشطارة منه، ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾.

٥ ـ إذا كانت سعة الرزق وضيقه بيد الله ﷻ فلماذا كل هذا الحرص؟! ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.

٦ ـ أهل الإيمان هم فقط الذين يدركون أن الرزق بيد الله ﷻ، ويعتبرون بذلك، أما أهل الغفلة فينظرون إلى الأمور بشكل سطحي دائماً، ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات

❑ ورد في بعض الروايات أن هذه الآية لما نزلت دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدكاً[1].

---

(١) تفاسير مجمع البيان ونور الثقلين.

□ الخطاب في هذه الآية وإن كان موجها إلى النبي ﷺ؛ ولكنه يشمل الناس كافة.

□ المراد من «وجه الله» النية الخالصة في الإنفاق، كما نقرأ في مورد إنفاق أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[1].

التعاليم

١ ـ الله ﷻ هو مالك المال، فهو الذي بيده تحديد مصرف المال، ﴿فَـَٔاتِ﴾.

٢ ـ الأقارب مقدمون على غيرهم في الإنفاق ومد يد العون، ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ... وَٱلْمِسْكِينَ﴾.

٣ ـ للأقارب حق على الإنسان وكذلك للمال حق على الإنسان، ﴿حَقَّهُۥ﴾، نعم القرابة منشأ للحقوق والواجبات.

٤ ـ الأوامر الدينيّة تتناغم مع المشاعر الطبيعية. فالأمر بمد يد العون للفقير من القرابة حاجة عاطفية في الإنسان، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ...﴾.

٥ ـ للمحرومين حق في مال الأغنياء ولا تصح المنة عليهم في إعطائهم حقهم، ﴿حَقَّهُۥ﴾.

٦ ـ الإسلام يحمي المستضعفين، والحاكم الإسلامي ملزم برفع الفقر في المجتمع المسلم، (ولذا كان الخطاب للنبي ﷺ لأنه الحاكم الإسلامي) ﴿فَـَٔاتِ... وَٱلْمِسْكِينَ...﴾.

٧ ـ لا بد من معونة الأغنياء أيضاً الذين يمرون بضائقة مالية، ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٨ ـ ما له القيمة هو أداء حقوق الآخرين لا جمع الأموال والثروات، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

٩ ـ الثروة قد تكون وسيلة للتقرب إلى الله ﷻ، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ... يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٩.

١٠ ـ الفرق بين الإنفاق في الإسلام والإنفاق لدى غيره في قصد القربة، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ الأمر بالإحسان لا بدّ من أن يقترن بالترغيب، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ... هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

١٢ ـ الفلاح لا يكون إلا في ظل العمل عن إخلاص، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا عبرة بمقدار المال بل المهم الدافع والهدف الذي لأجله يبذل المال، ﴿مِّن رِّبًا... مِّن زَكَوٰةٍ﴾.

٢ ـ النمو الحاصل في المال عن طريق الربا أمر ظاهري وكاذب، وليس حقيقياً ولا هو عند الله، ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ من خصوصيّات الإسلام أنه مضافاً إلى سعيه في رفع الحرمان من المجتمع الإسلامي، فإنه يسعى لتنمية الروح المعنوية لدى المنفقين، ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ الاهتمام بمسألة الإخلاص أمر جديّ ولا بد من استخدام لغة التأكيد فيه؛ لأن العمل والجهد إذا لم يكونا بدافع إلهي فلا قيمة لهما، ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾؛ (تكرر في هذه الآية وفي الآية السابقة ذكر وجه الله).

٥ ـ أداء الزكاة بإخلاص سبب لزيادة المال ونمائه، ﴿مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

٦ ـ لا بدّ للإنسان عند مقارنة النفع بالضرر من النظر إلى الدنيا والآخرة، الفرد والمجتمع، الجسم والروح، (فأداء الزكاة وإن كان بنظرة ماديّة فيه ضرر وخسارة، ولكن بملاحظة ما يؤدّي إليه من رفع حالات الفقر في المجتمع،

ومن عدم التعلق بالدنيا وكونه ذخراً للإنسان في الآخرة، فإن فيه خيراً كثيراً)، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

٧ ـ الإخلاص يرفع من مكانة الإنسان ويجعله في المرتبة الأفضل، (مع ملاحظة قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾، كان يمكن أن يقال: «وأنتم المضعفون»؛ ولكنه تعالى قال: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ فكأنهم وصلوا إلى نقطة الأوج).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

□ عرضت هذه الآية لأربع صفات إلٰهيّة تكفي كل واحدة منها بمفردها لكي يتعبّد الإنسان ويسلم، وذلك كالآتي: خلقُ الإنسان دليلٌ مستقل على لزوم عبوديته لله ﷻ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾[1]، الرزق من الله ﷻ دليل على لزوم عبوديتنا له: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾[2]، الموت والحياة دليل على لزوم التسليم أمام الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

التعاليم

١ ـ الموت والحياة، الماضي والحاضر والمستقبل، والرزق كله بيد الله ﷻ، ﴿خَلَقَكُمْ... رَزَقَكُمْ... يُمِيتُكُمْ... يُحْيِيكُمْ﴾.

٢ ـ الأفعال الصادرة دليل على قدرة الله على الفعل في المستقبل، (الخلق، الرزق، الموت، جميعها تدل على قدرة الله ﷻ على إحياء الإنسان بعد موته)، ﴿خَلَقَكُمْ... رَزَقَكُمْ... يُمِيتُكُمْ... يُحْيِيكُمْ﴾.

٣ ـ أسلوب المقارنة بين الأشياء من أفضل أساليب التربية والتبليغ، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ... هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.
(٢) سورة قريش: الآية ٣٤.

٤ ـ أيقِظوا ضمير الناس بطرح الأسئلة عليهم، ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ...﴾.

٥ ـ لا استقلال ذاتي لأي قدرة عدا القدرة الإلٰهيّة، فهي تعجز عن خلق أصغر الموجودات فضلاً عن القيام بأعظم الأعمال، ﴿مِّن شَيْءٍ﴾.

٦ ـ لا يصح أن نتوهم أيا من الأسباب، المقدّمات، والشروط في عمليّة الخلق شريكاً لله ﷻ، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٧ ـ الشركُ استخفاف بمقام الله ﷻ، ولا بد للإنسان أن ينزه الله ﷻ عن أي نوع من الشرك، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾.

٨ ـ الشرك تحت أي عنوان وبأي شكل كان، باطل ومدان، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

إشارات

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حياة دواب البحر بالمطر، فاذا كفّ المطر ظهر الفساد في البر والبحر، وذلك إذا كثُرت الذنوب والمعاصي**»[(١)].
- ورد في الآية الثلاثين من سورة الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾، فبعض المصائب التي يُبتلى بها الإنسان في هذه الدنيا هي من كسب يديه.

التعاليم

١ ـ الشرك سبب للفساد والمعاصي في الأرض، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ... ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾.

٢ ـ لأعمال الإنسان تأثيرها في الطبيعة. فالمعاصي والعمل السيء يمنع من تأثير

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦٠.

الماء والتراب وهو سبب لما يحدث في الأرض من ظواهر كارثية، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾.

٣ ـ فساد البيئة بسبب فعل الإنسان، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ... بِمَا كَسَبَتْ﴾.

٤ ـ ليس كل العقاب يؤجّل إلى الآخرة، بل بعض أنواع العقاب قد يتحقق في هذه الدنيا، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي...﴾.

٥ ـ لما كان الهدف هو الإنذار والإصلاح، فإن أدنى أنواع العقاب تكفي، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٦ ـ الهدف من إنزال بعض العقوبات على أهل المعاصي، تحقق التوبة والإنابة منهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ يوصي الإسلام بالسياحة في الأرض إذا كانت لهدف وغاية، ﴿قُلْ سِيرُوا۟...﴾.

٢ ـ يجب حفظ بعض الآثار التي يكون فيها درس وعبرة للآتين، ﴿سِيرُوا۟... فَٱنظُرُوا۟﴾.

٣ ـ التاريخ من مصادر المعرفة، فدراسة التاريخ وحوداثه يضيء للإنسان المستقبل، ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾.

٤ ـ السنن والقوانين الحاكمة في التاريخ ثابتة، (من خلال دراسة أسباب الحوادث التي وقعت في الماضي يمكننا توقع الآتي)، ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾.

٥ ـ المجتمع الذي تسود فيه أكثريّة فاسدة، سوف يبتلى بالعذاب الإلٰهيّ، وإن كان فيه قلة مؤمنة، ﴿أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾، (قد تجب الهجرة عن البلاد التي يكثُر فيها الفساد ويُخشى فيها على الدين).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

❑ «يصدّعون» من «الصدع» بمعنى الانكسار والتشتت. والمراد هنا اليوم الذي ينفصل فيه المؤمن عن العاصي، ويذهب كلٌ في اتجاه.

التعاليم

١ ـ الدين يجب أن يكون محكماً ومنطقياً وثابتاً، وكذلك المتديّن يجب أن يكون جدياً ومحباً، ﴿فَأَقِمْ... لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾.

٢ ـ اتّباع الدين يجب أن يكون أساساً للعمل ومستولياً على كيان الإنسان، لا على الهامش وعن كره، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾.

٣ ـ دين الإسلام يفي بالقيام بكافة مصالح الفرد والمجتمع، ﴿لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾.

٤ ـ لا بد من اغتنام الفرص، ﴿فَأَقِمْ... قَبْلِ أَن يَأْتِيَ﴾.

٥ ـ إذا وضع الإنسان عذاب الآخرة نصب عينيه كان إيمانه جدياً، ﴿فَأَقِمْ... قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ...﴾.

٦ ـ الاتّباع التام للدين سبب للنجاة في يوم القيامة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ... قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ...﴾.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الآية السابقة أنه سوف يفصل الناس في يوم القيامة إلى مجموعات منفصلة، وهذه الآية تبين لنا أن أهل الإيمان سوف يصلهم ثوابهم وأهل المعاصي سوف ينزل بهم عقابهم.

❑ «يمهدون» من «المهد» وهو المكان المعد للاستراحة، وهنا بمعنى التهيؤ والاستعداد.

التعاليم

١ ـ للإنسان حرّية اختيار الإيمان أو الكفر، ﴿مَن كَفَرَ... وَمَنْ عَمِلَ﴾.

٢ ـ الجمع بين الترغيب والترهيب أمر مطلوب ومجدٍ في الدعوة إلى الله، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ... فَلِأَنفُسِهِمْ﴾.

٣ ـ لا تأثير لكفر الناس أو إيمانهم على الله ﷻ، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ... فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

٤ ـ لا يغرنّكم الإيمان والعمل الصالح؛ لأن كل نعمة هي من فضل الله ﷻ، ﴿لِيَجْزِيَ... مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٥ ـ الكفر وحده سبب للشقاء، وإن لم يعمل الإنسان سوءًا، ولكن الإيمان وحده لا يكفي بل لا بد من العمل الصالح معه، ﴿مَن كَفَرَ... ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٦ ـ الفضل الإلٰهيّ في يوم القيامة يشمل أهل الإيمان والعمل الصالح دون غيرهم، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

٧ ـ لا يكفي الإيمان وحده لدخول الجنّة، بل لا بد من العمل الصالح معه، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

❑ تستخدم كلمة «ريح» في الهواء المضر والقوي. وأما كلمة «رياح» فتستخدم في الهواء المفيد. وورد عن النبي الأكرم ﷺ قوله: **«اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعله ريحاً»**[1].

(١) تفاسير الكشاف والمنير.

□ من فوائد الرياح: نقل الغيوم، جمعها وتكثيفها، تعديل الحرارة والبرودة في المناخ، تنقية الهواء واستبدال الهواء الفاسد بالهواء السليم، توفير الأوكسجين للإنسان وثاني أوكسيد الكربون للنبات، تلقيح النبات، حركة السفن، توليد الكهرباء، نشر البذور في الأنحاء وإلى غير ذلك.

التعاليم

١ ـ ما من شيء يجري في هذا الكون صدفة، حتى حركة الرياح تخضع لإرادة الله ﷻ، ﴿...يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾.

٢ ـ ما ننتفع به من حركة الرياح، هو جزء من آيات الله ﷻ ومن رحمته، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ... مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾.

٣ ـ حركة السفن في الماء بيد الله ﷻ، فلا إنكار لوجود الله، ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾، فالله ﷻ هو الذي وضع قوانين الطبيعة بالنحو الذي تتوافر فيه عوامل حركة السفينة على الماء.

٤ ـ مما يوصي به القرآن الكريم، السعي في كسب الرزق الحلال، ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٥ ـ الرياح نعمة تستحق الشكر منا أيضاً، وإن كنا لا نلتفت إلى ذلك، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ تعرضت هذه الآية لأربعة من السنن الإلٰهيّة:

أ ـ سنّة بعثة الأنبياء.

ب ـ سنّة معجزات الأنبياء.

ج ـ عقاب المجرمين.

د ـ نصرة المؤمنين.

□ مسألة نصرة المؤمنين تكرر التعرض لها في القرآن الكريم من ذلك:

أ ـ ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1].

ب ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2].

ج ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[3].

د ـ ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

□ النبيّ ﷺ خاتم الأنبياء، وقد تكررت كلمة «من قبلك» في القرآن ولم ترد كلمة «من بعدك» أبداً.

التعاليم

١ ـ الاطلاع على التاريخ يولّد الطمأنينة في النفوس، ﴿مِن قَبْلِكَ رُسُلًا... فَانتَقَمْنَا... نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ التثقيف والإرشاد أولاً ثم عقاب المجرمين، ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا﴾.

٣ ـ من يكفر بالأنبياء هم المجرمون والمدانون، ﴿فَانتَقَمْنَا... أَجْرَمُوا﴾.

٤ ـ الانتقام من المجرمين مصداق من مصاديق نصرة المؤمنين، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا... نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ نصر المؤمنين وعد إلهي حتمي، (فهم وإن نالوا الشهادة ولكنهم سوف يصلون إلى هدفهم)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾.

٦ ـ لا يتوقّف النصر الإلٰهيّ على السؤال، فقد ينصر الله المؤمنين ولو لم يسألوه ذلك؛ لأنّه كتب على نفسه نصرتهم، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾.

---

(١) سورة محمّد: الآية ٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٣) سورة غافر: الآية ٥١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

- «كسف» جمع «كسفة» وهي القطعة، والمراد منها هنا القطعة من الغيم.
- «الودق» هو الذرات الصغيرة، والمراد منها هنا قطرات الماء.

التعاليم

١ ـ المتغيّرات الطبيعية، آية القدرة الإلٰهيّة، والحكمة، والتدبير، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ...﴾.

٢ ـ الإرادة الإلٰهيّة تتحقق عن طريق الأسباب الطبيعية، ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾.

٣ ـ لتكوين الغيوم لا بد من الرياح المتعدّدة من الحارة والباردة، (الرياح وردت بصيغة الجمع).

٤ ـ من فوائد الرياح توفير أسباب نزول المطر، ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ... فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾.

٥ ـ حركة الغيوم ونزول المطر أمران خاضعان للإرادة الإلٰهيّة، ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ المصاعب والابتلاءات تضاعف من الإحساس بلذة النعم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ... وَإِن كَانُوا۟... لَمُبْلِسِينَ﴾.

٢ ـ المطر رحمة من الله ﷻ، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ نزول المطر والحياة المتجددة للأرض، أدلّة على قيام القيامة، ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ... لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ فمشهد الموت والحياة يتكرر أمام عين الإنسان في كل لحظة،

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، والقبضة نموذج من الحمل (مثل يضرب لدلالة القليل على الكثير)، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ الريح المهلكة ليست أمراً عبثياً ولا تتحقق صدفة، ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾.

٢ ـ الريح المدمرة محدودة قياساً إلى الرياح المثمرة والمفيدة، ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ (أما في مورد الرياح المفيدة فقد استخدم الجمع).

٣ ـ قد يخرج الإنسان عن مدار التوحيد بحادثة مريرة واحدة تصيبه، ويدخل بذلك في مدار الكفر والشرك، ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ (فقد تؤدي ريح مدمرة إلى انتقالهم من حالة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ إلى حالة: ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

٤ ـ لا يكفي للدعوة والإرشاد كمال المرشد والداعية ولا أسلوب الإرشاد والدعوة؛ بل لا بد من توافر القابلية لدى المدعوّ، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٥ ـ الأصم قد يفهم المراد من خلال النظر إلى حركة الشفتين، ولكن المشكلة أن الإنسان لا يسمع ويُعرض عما يُدعى إليه، وبهذا لا يفهم حتى الإشارة. وهذا مَثَلٌ يُطلق على من يُعرض عن الحق، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

٦ ـ الإعراض عن الحق يصبح خطراً متى ما كان هذا الإعراض عن التفات، وعن عناد، وكان سيرة مستمرة لدى الفرد، ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ وظيفة الأنبياء إرشاد الناس إلى الحق لا إلزامهم باتّباع الهدى، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾.

٢ ـ استجابة الناس محدودة، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ﴾.

٣ ـ اتّصاف الروح بالتسليم أمام الحق سبب لنيل المعنويات، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا... مُّسْلِمُونَ﴾.

٤ ـ لا يكفي الإيمان وحده، بل التسليم لازم أيضاً، ﴿مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ الإنسان ضعيف منذ أن خلق، ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾.

٢ ـ ملاحظة بدء الخلقة سبب للتذكر والشكر، ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ...﴾.

٣ ـ لا تؤنب أحداً على ضعفه أو كبر سنه، فإن هذا من تدبير الله الحكيم، ﴿ٱللَّهُ... جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾.

٤ ـ مراحل الضعف والقوة في الإنسان خاضعة لتدبير الله ﷻ الحكيم، (يُستفاد هذا المعنى من تكرار كلمة جعل).

٥ ـ بداية الإنسان ونهايته من ضعف، فلا بد من أن يقدّر أيام قوّته وشبابه، (قوة بين ضعفين) ﴿ضَعْفٍ... قُوَّةً... ضَعْفًا﴾، فالضعف في الصغر يتحول إلى قوة ولكن الضعف الثاني يبقى، لأن كلمة شيبة وردت إلى جانب كلمة ضعف وهذا يدل على أن الضعف مقارن للكهولة وأنه أمر ثابت).

٦ ـ لا ينبغي لذي القوة بين ضعفين أن يصاب بالغرور، ﴿ضَعْفٍ... قُوَّةً... ضَعْفًا﴾.

٧ ـ إذا كنا من أهل الرأي والنظر فإن علينا أن ندرس كتاب عالم الوجود، (الريح، والمطر، وحياة الأرض، ومراحل الطفولة والشباب والهرم)، ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

٨ ـ ضعف المخلوق لا يدل على ضعف الخالق، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

□ تطلق مفردة «ساعة» على الجزء من الزمان، ومتى أطلقت هذه المفردة على يوم القيامة فذلك إما لسرعة حدوثها أو لسرعة حساب الأعمال[1].

التعاليم

١ ـ من اعتاد على الحلف كذباً في هذه الدنيا، سوف يسعى لذلك في يوم القيامة، ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٢ ـ يعتذر المجرمون يوم القيامة بأن فرصة الإيمان لم تكن متاحة لهم في الدنيا، ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

٣ ـ الانحراف الفكري والسلوكي من المجرمين أمر دائم ومستمر، ﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾.

٤ ـ الكذب سبب للعديد من الانحرافات، ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾، أي بهذا النوع من الكذب كانوا ينحرفون عن الحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

□ هذه الآية جواب أهل الإيمان لأهل المعاصي على مقولتهم التي تعرضت لها الآية السابقة. فهؤلاء تحدثوا عن قصر العمر في الدنيا أو قصر مدة البرزخ، ولكن جواب أهل الإيمان أنكم قد عشتم في ما جعله الله لكم من العمر في هذه الدنيا وفي البرزخ ولا فائدة مما تعتذرون به عن كفركم.

---

(١) تفسير نمونه.

□ سبب تقدم العلم على الإيمان يرجع بحسب الظاهر إلى أن العلم أساس الإيمان.

التعاليم

١ ـ يتحاور المؤمنون والمجرمون يوم القيامة، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ...﴾.

٢ ـ تظهر آثار العلم والإيمان الإيجابية حتى في يوم القيامة، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ (فالعالِم المؤمن يدفع الشبهات حتى في يوم القيامة).

٣ ـ العلم والإيمان هبتان إلهيتان تُعطيان للناس، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن ندرك أن العلم والإيمان توفيق من الله ﷻ وأن لا نغتر بذلك، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾.

٥ ـ مدة الحياة الدنيا مع البرزخ محددة ومقدرة مسبقاً، ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

إشارات

□ «يستعتبون» من «العتبة» وهي بمعنى الانزعاج وكلما وردت بصيغة الاستعتاب فالمراد منها التوبة وزوال السوء والعذاب.

□ وإن لم يؤذن للذين كفروا بأن يعتذروا في يوم القيامة: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1]؛ ولكن لو فرض أنهم اعتذروا فذلك لن ينفعهم ذلك، ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

التعاليم

١ ـ مصير الإنسان والصورة التي يحضر عليها في يوم القيامة تابعة لعمله، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾.

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٦.

٢ ـ الظلم سبب للحرمان من اللطف الإلٰهيّ. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾.

٣ ـ التوبة والاعتذار لا ينفعان إلا في هذه الدنيا، ولا ينفعان في الآخرة، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم
بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ القرآن الكريم خطاب للناس كافة، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾.

٢ ـ القرآن كتاب هداية وإرشاد، والمثل أفضل وسيلة لإفهام الحقائق، ولذا ذكر الله ﷻ فيه أمثالاً في مختلف المجالات، ﴿ضَرَبْنَا... مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٣ ـ مضامين القرآن الكريم سبب لإتمام الحجة ومن يدرك الحق فالحجة تتضح له، ولا يُقبل منه عذر بعد ذلك، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ... وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ...﴾.

٤ ـ الكافر المعاند لا يقبل أي دليل أو آية، ﴿بِـَٔايَةٍ﴾.

٥ ـ لا بد من أن يتوقع الإنسان ردة فعل الكافر وأن يستشرف أهدافه، ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾.

٦ ـ عناد الكفار لا بدّ من أن يكون درساً وعبرةً لنا وأن نكون أكثر ثباتاً في طريق الحق، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

٧ ـ الإنسان عندما يكون في مدار الكفر والعناد يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

٨ ـ حيث لا يملك الكفار الدليل يلجأون إلى الاستهزاء بالحق، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

٩ ـ الكفار لا يخضعون للحق، بل يصفونه بأنه باطل، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾.

١٠ ـ لا يكتفي الكفار بوصف نبيّ الإسلام بأنّه مبطل، بل يصفون الأنبياء كافة أو المؤمنين معه بأنّهم جميعاً على الباطل. (فعلى الرغم من أنّ نبي الإسلام ﷺ

هو الذي جاءهم بالمعجزة؛ ولكنهم يصفون الجميع وبخطاب «أنتم»، بما يشمل الأنبياء والمؤمنين، بأنهم مبطلون).

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات

□ المراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ من لا يريد أن يعلم، كما ورد في الآية السابقة أن النبي كلما جاءهم بآية أو بمعجزة نسبوها إلى الباطل كفراً وعناداً. نعم من يميل من الناس إلى الجهل يكون مستحقاً لعذاب الله لا من يكون جهله ناتجاً عن قصور وعجز.

التعاليم

١ ـ عقوبة العناد خسارة الهداية، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ﴾.

٢ ـ من السنن الإلٰهيّة، الطبع على قلوب من لا يستحق، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ...﴾.

٣ ـ الانسان هو سبب الطبع على قلبه، وهو الذي يودي بنفسه إلى ذلك، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

□ بداية سورة الروم كانت إخباراً عن النصر المستقبلي، وختامها وعد بالنصر لأهل الحق.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن يتحلّى قادة الدين بصفة الصبر، ﴿فَٱصْبِرْ﴾.

٢ ـ الإيمان بالوعد الإلٰهيّ سبب للصبر، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ لا ينبغي لما يقوم به غير المؤمنين أن يكون له تأثيره على عزم المؤمنين، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ...﴾.

٤ ـ لولا اللطف، والإنذار، والتعليم الإلٰهيّ لكان الأنبياء معرضون للتأثر أيضاً، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ...﴾.

٥ ـ من الأهداف التي يسعى إليها أعداء الدين الاستخفاف بقادة الدين، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ...﴾.

٦ ـ من يسعى للاستهانة بقادة الدين لن يجد اليقين بطريق الحق، ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

٧ ـ من لا يصبر يصاب بالاستخفاف، ﴿فَاصْبِرْ... وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ لُقْمَانَ

السورة: ٣١ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٣٤

ملامح سورة لقمان

سورة لقمان مكية، وسميّت بهذا الاسم للحديث عن لقمان فيها. ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم سوى مرّتين إحداهما في هذه السورة. وهي السورة السادسة من السور السبع التي يطلق عليه (اللامات) والتي تبدأ بالحروف المقطّعة: ﴿الٓمٓ﴾.

مضمون السورة يتلخص في النقاط الآتية:

١ ـ بيان عظمة القرآن الكريم وأهميته في هداية البشرية.

٢ ـ تقسيم الناس إلى المحسن والمستكبر وبيان مصيرهما.

٣ ـ بيان بعض المعاجز العلمية في القرآن كقانون الجاذبية والزوجية في النباتات.

٤ ـ نصائح لقمان الحكيم لابنه ومواعظه.

٥ ـ أدلة الإيمان بالمبدأ والمعاد

٦ ـ بيان العلوم التي خص الله ﷻ بها نفسه: أَجَلُ الموت وقيام الساعة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

إشارات

- من بين تسعٍ وعشرين سورة في القرآن الكريم تبدأ بالحروف المقطعة ورد في أربعٍ وعشرين منها بعد هذه الحروف ذكر عظمة القرآن. ولعل ذلك لأجل أن يبين للناس أن القرآن مؤلّف من هذه الحروف التي بين أيديكم، ولكن أياً منكم لا يتمكن من الإتيان بمثله.

- كل مؤلّف يرى أن كتابه لا يخلو من نقص؛ لذا يعتذر في بداية كتبه من النقص ويرحب بكل نقد أو اقتراح؛ ولكن الله ﷻ يصف كتابه بأنه حكيم، فتمام آياته محكمة وتقوم على أساس الحكمة، فهو كتاب لا مجال فيه للنقص والعيب.

- تجمع الصلاة كافة الكمالات المعنوية مثل: الطهارة، تلاوة القرآن، الإقرار بالتوحيد والنبوة والولاية، الذكر والدعاء، السلام، القيام، الركوع، السجود، والتوجه للحق. والزكاة تجبر كل نقص مادّي، ومعناها في القرآن الكريم أوسع من المعنى المستخدم في الفقه؛ لأنها تشمل مضافاً إلى الزكاة التي يصطلح عليها الفقهاء، كل صدقة.

- يصف الله ﷻ في موضعٍ القرآن بأنه سبب هداية المتقين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]، وفي موضع آخر يصفه بأنه: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)]، وفي هذه السورة يصف القرآن بأنه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، فالقرآن الكريم يشمل المراحل الثلاث من التكامل الإنساني، فهو سبب للهداية، والبُشرى، والرحمة[(٣)].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.
(٢) سورة النمل: الآية ٢.
(٣) تفسير نمونه.

التعاليم

١ ـ الإرشاد والهداية لا بدّ من أن يقوما على أساس الحكمة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ هُدٗى﴾.

٢ ـ القرآن عين الهداية والرحمة ولا وجود لأي نقص أو قصور فيه من هذه الجهة، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾، (المفردتان: «هدى» و«رحمة»، وردتا بصيغة المصدر وذلك للمبالغة).

٣ ـ الإرشاد والهدى لا بدّ من أن يقترنا بالرحمة والمحبة، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾.

٤ ـ يتحلّى المحسنون بخصال حسنة عدّة منها، استعدادهم لقبول الحق، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٥ ـ الصلاة والزكاة توأمان لا ينفصلان، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٦ ـ إقامة الصلاة وأداء الزكاة لا بدّ من أن يكونا سيرة دائمة، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، (ويُستفاد هذا المعنى من صيغة المضارع الدالّة على الاستمرار).

٧ ـ بما أن الإسلام دين جامع، فالتكاليف التي يحويها هي أيضاً جامعة وذات أبعاد عدة، (التكليف البدني: الصلاة، التكليف المالي: الزكاة، والقلبي: اليقين)، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ، ٱلزَّكَوٰةَ، يُوقِنُونَ﴾.

٨ ـ الارتباط بالله ﷻ (إقامة الصلاة) والارتباط بالناس (أداء الزكاة) فعلان ممدوحان متى اقترنا بالإيمان بالمعاد، ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

٩ ـ المحسن هو الذي يهتم بالقضايا الاقتصاديّة وبالقضايا المعنوية، ﴿لِّلۡمُحۡسِنِينَ ▪ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ... يُؤۡتُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

إشارات

□ المستفاد من هذه الآية أن الاستقامة إنما تكون بتوفيق وهدى من الله ﷻ، نعم لا

تكون إلا في ظل السعي ومجاهدة النفس، كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

التعاليم

١ ـ المحسنون موفقون للهدى من الله ﷻ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

٢ ـ الهدى شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

٣ ـ التوفيق لعمل الخير من لطف الله ﷻ، ﴿لِّلۡمُحۡسِنِينَ... هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

٤ ـ إقامة الصلاة وأداء الزكاة يفتحان باب الاستفادة من هدى القرآن الكريم، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ... وَيُؤۡتُونَ... أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾.

٥ ـ الفلاح مختص بأهل الصلاة، والزكاة، واليقين بالآخرة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾

إشارات

□ تطلق كلمة «لهو» على كل شيء يحرف الإنسان عن هدفه المهم. و«لهو الحديث» هو الكلام الباطل الذي ينطق به الإنسان فيصرفه عن الحق، كالقصص الخرافية أو تلك التي ترغّب الإنسان في الفساد والمعصية. وهذا الانحراف تارة ينشأ من مضمون الكلام وأخرى بسبب المقارنات والملازمات، كالموسيقى ونحوه(٢).

□ قال بعض المفسرين: إن الآية الأولى من هذه الآيات نزلت في «النضر بن الحارث»، فقد كان تاجراً يسافر إلى إيران، وكان يحدث قريشاً بقصص الإيرانيين وأحاديثهم، وكان يقول: إذا كان محمد يحدثكم بقصص عاد وثمود،

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.

فإني أحدثكم بقصص رستم وإسفنديار، وأخبار كسرى وسلاطين العجم، فكانوا يجتمعون حوله ويتركون استماع القرآن. وقال بعضٌ آخر: إن هذا المقطع من الآيات نزل في رجل اشترى جارية مغنية، وكانت تغنيه ليل نهار فتشغله عن ذكر الله[١].

❑ تتعرض هذه الآية لأحد أهم أسباب الضلال وهو الكلام الباطل. وفي آيات أخرى من القرآن الكريم ورد ذكر أسباب أخرى موجبة للضلال من قبيل:

أ ـ الطاغوت، الذي يضلُّ الناس تارة من خلال الاستهانة بهم: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾[٢]، وأخرى من خلال الوعيد والتهديد، ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[٣].

ب ـ الشيطان هو الذي يضل الإنسان بوساوسه وتزيينه، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾[٤].

ج ـ العالِم أو الفنان المنحرف هو الذي يضل الناس مستخدماً في ذلك ما يمتلكه من علم وفن، ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[٥].

د ـ أصحاب القوة والنفوذ والأموال هم الذين يردعون الناس عن الحق باستخدام قوتهم وأموالهم، ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[٦].

هـ ـ أصحاب الكلام الباطل الذين يصرفون الناس عن الحق باستخدام لهو الحديث، ﴿يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

التعاليم

١ ـ صرف الأموال لأجل محاربة الحق موغل القِدَم في التاريخ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾.

٢ ـ كل ما يضاد الحكمة فهو لهو يمنع الإنسان من الوصول إلى الكمال،

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٤.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٩.
(٤) سورة النساء: الآية ٦٠.
(٥) سورة طه: الآية ٨٥.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ... لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ (العجب من الذين يتركون الحكمةَ التي يقدمها لهم النبي ﷺ، دون مقابل، ليشتروا لهو الحديث من أهل الباطل).

٣ ـ المعاندون لطرق الحق لا يملكون وسيلة توصف بالحكمة والمنطق، بل كل ما لديهم هو اللهو والباطل، ﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ شراء وسائل اللهو وما يمنع الإنسان من الوصول إلى الكمال علامة على الجهل وافتقاد المعرفة، ﴿يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ... بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٥ ـ مناسبة الجزاء للعمل آية العدل. فمن يستهزئ بالحق فإن عذابه الاستهزاء به وإذلاله، ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا... لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

الابتعاد عن الباطل ومجالسه

يحرم في شريعة الإسلام من الغناء ما يتناسب مع مجالس أهل الفسق والفجور مما يوجب إثارة الشهوات، وإذا لم يكن اللحن بتلك الصورة ومع هذه المفاسد فإن بعض الفقهاء يرون جواز استماعه.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أن الغناء من الذنوب التي أوعد الله عز وجل عليها بالنار، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ...﴾[(١)]. وبناء عليه فالغناء من الذنوب الكبيرة؛ لأن الذنوب الكبيرة تُطلَق على الذنوب التي أوعد القرآن الكريم فيها بالعذاب.

وقد ورد في الآية ٣٠ من سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[(٢)]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام تفسير ذلك بأنه الغناء[(٣)].

وورد عن الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام أن من مصاديق لهو الحديث، الوارد في سورة لقمان الغناء.

وفي الروايات نجد:

---

(١) الكافي، ج ٦، ص ٤٣١.

(٢) الزور بمعنى الباطل، والكذب، والانحراف عن الحق؛ والغناء مصداق من مصاديقه.

(٣) وردت هذه الرواية في أبواب حرمة الغناء في المكاسب المحرمة والكتب الروائية.

- إياكم واستماع المعازف والغناء، فإنهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

- المغنية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون، ومن علمها الغناء ملعون.

- الغناء بيتٌ لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا تدخله الملائكة[(١)].

آثار الغناء السلبية

١ ـ نشر الفساد الأخلاقي، والابتعاد عن روح التقوى، وإثارة الشهوات، والحث على ارتكاب الذنوب، حتى إن أحد شخصيات بني أمية يعترف بأن الغناء يحدُّ من الحياء، ويزيد من الشهوات، ويكسر النفوس، ويفعل بها ما يفعل بها الخمر. فبعض الناس يدخل في عالم الخيال من خلال شرب الخمر أو الإدمان على المخدرات، وبعض الناس عن طريق الاستماع إلى الغناء والكلام المثير للشهوات، وبذلك تموت الغيرة في نفسه.

٢ ـ الغفلة عن الله ﷻ، والغفلة عن الواجب، والغفلة عن الفقراء، والغفلة عن المستقبل، والغفلة عما لديه من استعدادات وقابليات، والغفلة عن النفس وعن الشيطان، فالإنسان اليوم على الرغم مما يعيشه من تطوّر علمي وتكنولوجي، فإنه يعيش في جحيم الغفلة ويحترق بها.

نعم، الغفلة عن الله ﷻ تهبط بالإنسان إلى مصاف الحيوانات؛ بل إلى ما هو أدنى من ذلك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[(٢)].

والمستعمرون اليوم يسعون للاستفادة من كافة الإمكانات المتاحة أمامهم لإضلال الشباب وتخدير هذا الجيل القادم، ومن ذلك؛ الترويج للغناء المبتذل وبمختلف الوسائل المتاحة، سعياً منهم للوصول إلى أهدافهم الاستعمارية.

---

(١) ميزان الحكمة. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

٣ ـ لا تخفى الآثار السلبية المترتبة على الغناء، المثير للشهوات والمبتذل، على أعصاب الإنسان. وفي كتاب تأثير الموسيقى على النفس والأعصاب نُكاتٌ مهمة تتعرض لنهاية حياة المغنين وابتلائهم بأنواعٍ من الأمراض النفسية، والسكتات المفاجئة التي تصيبهم، والأمراض القَلبية بنحو يمكن للناظر والمتأمّل ملاحظته بسهولة.

عزيزي القارئ!

إن الله ﷻ خلق العالم لأجل الإنسان، وخلق الإنسان للتكامل والقرب المعنوي. وقد سخر العالم كلّه لنا وأمر الملائكة بتدبير أمورنا. وأرسل إلينا أنبياءه ورسله لهدايتنا، وقد أدوا ذلك حتى قُتلوا أو ماتوا. أمر الملائكة بالسجود لآدم ونفخ في الإنسان من روحه، وخلق الإنسان على أفضل صورة، وأعطاه القابليات التي لا حد لها، ووهبه العقل، الفطرة وأنواع من الاستعدادات ولذا قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[(١)].

فهل كل عالم الوجود هذا بكل ما فيه من خصائص مادّية ومعنوية يعطى لكل أحد؟ ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ؛ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ»**[(٢)]. أليس من الظلم أن نصبح عبيداً للمغني الفلاني؟!

هل أنت حاضر لأن تسجل على شريط الكاسيت كافة الأصوات؟ فكيف بنا ونحن نحفظ في ذهننا كلَّ صوت؟ العمر، والدماغ، والتفكير أماناتٌ من الله ﷻ وهبنا إياها لكي نتصرف بها في الطريق الذي رسمه لنا، وإذا استخدمنا هذه الأمانة في غير طريق الله ﷻ فقد أهنّا الأمانة ولا بدّ من أن نُسأل عن ذلك في يوم القيامة.

قال تعالى، وبعبارة صريحة في سورة الإسراء، في الآية ٣٦ منها: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فلا ينبغي للإنسان أن يسمح

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.
(٢) الكافي، ج٦، ص ٤٣٥.

للعين أن ترى ما لا يأذن الله به ولا للأذن أن تسمع ما نهى الله عنه. وقد ورد في في الحديث أنّ «**القلبَ حرمُ الله فلا تسكن حرم الله غير الله**»(١).

والإسلام جعل طرقاً مناسبة للترويح عن النفس واستعادة النشاط، فحثَّ الإنسان على السياحة، وعلى الرياضة، والسباحة، ومختلف الأعمال المفيدة والمتنوّعة، كالتزاور، والحوار العلمي، والارتباط بأهل العلم. والأهم من ذلك كله الارتباط بالخالق وذكره الذي فيه سكينة القلوب. فلماذا نصرف طاقاتنا في اللذات التي تكون نهاياتها الذلة والنار. وقد ورد عن علي عليه السلام: «**لا خير في لذة من بعدها النار**»(٢)، وعنه عليه السلام: «**من تلذذ لمعاصي الله أورثه الله ذلاً**»(٣).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

إشارات

- كلمة «وقر» بمعنى «الثقل»، والوقار هو صفة في الشخص الذي له مكانة بين الناس.
- المستفاد من هذه الآية أن الشخصيات المتكبّرة لا تملك الاستعداد لسماع الحق. فكيف بالاستماع إليه، والتفكير فيه، والتسليم له بعد الاقتناع بكونه منطقياً.

التعاليم

١ ـ الاستماع إلى لهو الحديث يسلب من الإنسان الاستعداد للتسليم للحق، ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ... وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾.

٢ ـ بعض الأفراد لا يخضع لآيات الله عزّ وجلّ بأي لسان جاءت به، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٥.
(٢) ديوان الإمام علي، ص ٢٠٤.
(٣) غرر الحكم، ٣٥٦٥.

٣ ـ روح الاستكبار تمنع الإنسان من قبول الحق والحقيقة، ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾.

٤ ـ عدم الاستماع إلى كلام الحق علامة على الاستكبار، ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

٥ ـ من يشتري لهو الحديث لا يملك استعداد الاستماع إلى القرآن، ﴿يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ... إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ... لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

٦ ـ الاستهزاء بالمستكبرين ليس إلا حق وليس افتراءً، ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾.

٧ ـ الاستفادة من المَثَل والتمثيل هو أحد أساليب التربية والتبليغ التي استخدمها القرآن الكريم، ﴿كَأَن... كَأَنَّ﴾.

٨ ـ من لا يخضع للحق هو كمن يضع في أذنيه وقراً، ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أن بعضهم يتوسل بالكلام الباطل ليصرف الناس عن اتّباع الحق وليضلّهم، ويلجأ هؤلاء ومن خلال روح الاستكبار الذي يعيشونه في نفوسهم وعدم استماعهم لآيات الله، إلى الاستهزاء بالمؤمنين. والله عز وجل يعد المؤمنين في هذه الآية ويبشرهم بالنعم التي سوف يفيضها عليهم.

التعاليم

١ ـ الجنّة هبة خاصة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ...﴾.

٢ ـ جبران ما صدر من المستكبرين من استهزاء واستحقار بحق المؤمنين يتحقق بالوعد الإلٰهيّ والبشارة للمؤمنين الحقيقيين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... لَهُمْ جَنَّاتُ...﴾.

٣ ـ الإيمان مع العمل الصالح شرط لنيل النعم والألطاف الإلٰهيّة، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

٤ ـ تكبر المعاندين وإعراضهم لا استمرارية له؛ ولكن ثواب أهل الإيمان أبدي، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

٥ ـ الوعد الإلٰهيّ بالثواب هو صدق وحق، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾.

٦ ـ القدرة والحكمة الإلٰهيّة هي أساس الوعد الإلٰهيّ، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٧ ـ قدرة الله وعزته تتحققان على أساس الحكمة الإلٰهيّة، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، (نعم اليوم كثير من أعمال الأقوياء بعيدة عن الحكمة).

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

□ إن أي موضوع وإن أمكن النظر إليه من زوايا عدة؛ ولكن العادة جرت بأن يكون لكل شيء، ومن زاوية ما، أهميته الخاصة.

وفي هذه الآية ورد أن ما تمتاز به السماء هو أنها معلقة دون أعمدة مرئية. وما تمتاز به الجبال أنها تثبت الأرض وتمنع من اهتزازها. وما تمتاز به الحيوانات تنوعها وانتشارها في الأرض، وما تمتاز به النباتات نظام الزوجية وما يترتب عليها من فوائد.

□ تعرضت الآية الكريمة لأكثر من نموذج من نماذج الإعجاز العلمي في زمان لم يكن البشر يتوقع ذلك أو حتى يتصوّره:

أحدها الإشارة إلى العمد غير المرئية لاستقرار السموات، أي قوة الجاذبية والقوة المقابلة لها، فهاتان القدرتان هما الأساس في حركة الكواكب في مدارها.

والإعجاز الآخر الإشارة إلى الحفاظ على الأرض من حالة عدم الاستقرار بواسطة الجبال، وأخيراً الإشارة إلى قانون الزوجية في النباتات.

التعاليم

١ ـ عدم الرؤية ليست دليلاً على عدم الوجود، (السماوات لها عمد وإن كنا لا نراها)، ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

٢ ـ الاستقرار والسكينة ضرورة في الحياة قبل أي شيء، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

٣ ـ النظام الحاكم على الأرض هو لأجل هذا الإنسان، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

٤ ـ الماء نعمة كبرى وله أهميّة كبرى، فهو أساس حياة كثير من الموجودات ونموّها، (وردت كلمة «الماء» منكّرة منونةً، وفي هذا دلالة على الأهميّة).

٥ ـ لا بدّ من أن ننظر إلى النباتات والبيئة نظرة كريمة؛ لأن الله ﷻ الكريم وصفها بأنها كريمة، ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا بد في الحوار والبحث من استخدام بعض النماذج الخارجيّة، ﴿هَٰذَا﴾.

٢ ـ لا بد أولاً من بيان طريق الحق، ثم بعد ذلك توجيه النقد إلى منكري الحق، ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا﴾.

٣ ـ من طرق معرفة الله المقارنة بين قدرته وقدرة غيره، ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن ننصت للدعاوى فقط بل علينا أن نعتمد على دليل وسند لذلك، ﴿فَأَرُونِى﴾.

٥ ـ العناد في مقابل الحق ظلم، ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (فهم يرون هذه الآثار كافة ولكنهم يصرون على عداوتهم لله ﷻ ومع طريق الحق).

٦ ـ من يذهب إلى غير الله ﷻ هم أهل الضلال وهم الظالمون، ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ﴾.

٧ ـ الانحراف شرك وهو مبين لا يخفى على أحد، ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ الحكمة عطاء إلهي، وليست أمراً اكتسابياً، (وإن كانت مقدماتها مكتسبة)، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

٢ ـ النعمة إذا كانت خاصة تستحق شكراً خاصاً، ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ... ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ كما أمر الله ﷻ نبيه الأكرم ﷺ أن يشكره شكراً خاصاً على نعمة الكوثر التي خصه بها، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

٣ ـ أول ما أمر به موسى بعد النبوة الأمر بالصلاة، وأول ما أمر به لقمان بعد أن وهبه الله الحكمة شكر الله، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾.

٤ ـ شكر نعمة الله ﷻ تعود بالنفع على هذا الإنسان، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾، كما نقرأ في آية أخرى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

خصائص لقمان الحكيم

ذكر في تفسير الميزان بحثاً حول لقمان نتعرض هنا لذكر قسم منه:

عن رسول الله ﷺ يقول: **«حَقّاً أَقُولُ لَمْ يَكُنْ لُقْمَانُ نَبِيّاً وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْداً كَثِيرَ التَّفَكُّرِ حَسَنَ الْيَقِينِ أَحَبَّ اللَّهَ فَأَحَبَّهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ»**[2].

عَنْ حَمَّادٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ لُقْمَانَ وَحِكْمَتِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ، فَقَالَ: **«أَمَا وَاللَّهِ مَا أُوتِيَ لُقْمَانُ الْحِكْمَةَ بِحَسَبٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا أَهْلٍ وَلَا بَسْطٍ فِي جِسْمٍ وَلَا جَمَالٍ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا قَوِيّاً فِي أَمْرِ اللَّهِ مُتَوَرِّعاً فِي اللَّهِ، سَاكِتاً سَكِيناً عَمِيقَ النَّظَرِ طَوِيلَ الْفِكْرِ حَدِيدَ النَّظَرِ مُسْتَعْبِراً بِالْعِبَرِ لَمْ يَنَمْ نَهَاراً قَطُّ... وَلَمْ يَمُرَّ بِرَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ أَوْ يَقْتَتِلَانِ إِلَّا أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا»**[3].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية، ٧.
(٢) بحار الأنوار، ج١٣، ص ٤٢٤.
(٣) تفسير القمي، ج٢، ص ١٦٢.

«وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء»(١).

«الأَظْهَرُ أَنَّ لُقْمَانَ لَمْ يَكُنْ نَبِياً وَكَانَ حَكِيماً وَقِيلَ كَانَ نَبِياً، وَقِيلَ خُيِّرَ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ، وَكَانَ ابْنَ أُخْتِ أَيُّوبَ أَوْ ابْنَ خَالَتِهِ وَقِيلَ إِنَّهُ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ وَأَدْرَكَ دَاوُدَ ع وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْم»(٢).

«وقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى الغنم معنا؟ فقال: نعم. فقال من أين أوتيت ما أرى؟ قال: قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني»(٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُهُ وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ قَالَ أُوتِيَ مَعْرِفَةَ إِمَامِ زَمَانِهِ»**(٤).

«وذكر أن مولى لقمان دعاه، فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان، ثم أمره بذبح شاة فقال له: ائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان. فسأله عن ذلك؟ فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا»(٥).

ويكفيه عظمة أن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام ينقلون حكمته.

بعض نصائح لقمان

- إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً.
- إياك والكسل عنه (عن العلم) بالطلب لغيره فان غَلبتَ على الدنيا فلا تُغْلَبنَّ على الآخرة، وإذا فاتك طلبُ العلم في مظانِّه فقد غُلِبْتَ على الآخرة. واجعل في أيامك، ولياليك، وساعاتك نصيباً في طلب العلم؛ فإنك لن تجد له تضييعاً أشد من تركه، ولا تمارِ فيه لجوجاً، ولا تجادلن فقيهاً، ولا

(١) تفسير القمي، ج٢، ص ١٦٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) بحار الأنوار، ج١٣، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.
(٤) تفسير القمي، ج٢، ص ١٦١.
(٥) نعمة الله الجزائري، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، ص ٣٢٩.

تُعادينَ سلطاناً، ولا تُماشينَ ظلوماً ولا تصادقنه، ولا تُواخينَ فاسقاً، ولا تُصاحبنَ متَّهماً.

- لو استخرج قلب المؤمن يوجد فيه نوران نور للخوف ونور للرجاء، لو وُزِنا لما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرة.
- واعلم أنك ستُسألُ غداً إذا وقفت بين يدي الله ﷻ عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، ومالك مما اكتسبته، وفيما أنفقته.
- لا يعدمنَّكَ حسنُ الخلق، اقطع طمعك مما في أيدي الناس.
- يا بني، إذا سافرت مع قوم فأكثِرْ استشارَتَهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم.
- اجهد رأيك إذا استشاروك، وإذا استعانوا بك فأعنهم، واسمع لمن هو أكبر منك سناً[١].
- وإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخّرها لشيء، صلِّها، واسترحْ منها، فإنها دينٌ.
- إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.
- وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك.
- وان كنت بين الناس فاحفظ لسانك.
- واذكر اثنين وانس اثنين، أما اللذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك[٢].

الحكمة والمعرفة والطاعة

الحكمة هي العلم الذي يحصل عليه الإنسان في ظل معرفة الله ﷻ، ويصل إليه من خلال التفكير في أسرار عالم الوجود، وأيضاً من خلال الوصول إلى الحق، والنور، والتقوى.

عَنْ الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

---

(١) تفسير كنز الدقائق. (٢) تفسير روح البيان.

﴿كَثِيرًا﴾ قَالَ: «مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ وَاجْتِنَابُ الْكَبَائِرِ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا النَّارَ»[١].

وعنه عليه السلام: «وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ»[٢].

ويذكر الراغب في تفسير مفردة الحكمة: الحكمة هي الوصول إلى الحق من خلال العلم والعقل[٣].

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب»**[٤]، وورد في عددٍ من الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم بابُ الحكمة ومفتاحها[٥].

أهميّة الحكمة

من وظائف الأنبياء تعليم الكتاب والحكمة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٦].

الحكمة عِدْلُ الكتاب السماوي، وهي لا تُعطى لكل أحد، وفيها الخير الكثير: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[٧].

وطبقاً للرواية فإن الحكمة كالنور المستقر في نفس الإنسان وتظهر آثارها في اللسان والأفعال[٨].

يا بني، تعلّم الحكمة تَشْرُف بها؛ فإن الحكمة تدل على الدين، وتُشَرِّفُ العبدَ على الحر، وترفعُ المسكين على الغني، وتُقَدِّمُ الصغيرَ على الكبير.

«الحكمة ضالة المؤمن»[٩]. وعن علي بن الحسين عليه السلام: **«لا تحقر اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة فإن أبي حدثني قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام**

---

(١) الكافي، ج٢، ص ٢٨٤.
(٢) تفسير القمي، ج١، ص ٢٩١.
(٣) المفردات في غريب القرآن.
(٤) العمدة، ص ٢٩٥.
(٥) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٤٤.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٩؛ وسورة آل عمران: الآية ١٦٤؛ وسورة الجمعة: الآية ٢.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٨) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣١٦.
(٩) نهج البلاغة، الحكمة ٨٠.

يقول: إن الكلمة من الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن فيكون أحق بها وأهلها، فيلقفها»(١).

والحكيم لا يقف عند ظاهر الأمور بل يلحظ عواقبها وما يترتب عليها. لا يطمع في ما عند غيره ولا يحتقر من هو دونه، لا يتكلم بغير علم، ولا تجد تناقضاً في فعله.

لا يضيع نعم الله، يحب الناس كما يحب نفسه، ويتمنى لهم ما يتمنى لها، ولا يمكر بالناس.

كيف نصل إلى الحكمة؟

الحكمة عطية إلٰهيّة للمخلصين من العباد وقد ورد في روايات عدّة: **«من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**(٢).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»**(٣).

ومما يورث الحكمة: حفظ اللسان، وعفة البطن والفرج، والأمانة، والتواضع، وترك ما لا يفيد(٤).

نماذج من الحكمة

ورد في سورة الإسراء من الآية ٢٢ حتى الآية ٣٨ بعض الأوامر والإرشادات، ثم في ختامها وصف الله عز وجل هذه الأوامر والإرشادات بأنها من الحكمة التي أوحى بها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله، وهي:

التوحيد وعدم الشرك، الإحسان واحترام الوالدين لا سيما عند كبرهما، القول الكريم والتواضع لهما، الدعاء بالخير لهما، أداء حق الله لأولياء الله والفقراء وابن السبيل، عدم التبذير والإسراف، الاقتصاد في المصرف، عدم قتل

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٩٧ ـ ٩٩.
(٢) الشيخ الصدوق، جامع الأخبار، ص ٩٤.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٤٨.
(٤) ميزان الحكمة.

الأولاد خشية الخوف، عدم ارتكاب الفاحشة، عدم التصرف في مال اليتيم، أداء حق الناس، الوفاء بالكيل والميزان، أن لا يقتفي ما ليس له به علم، عدم التكبر.

ثم يقول تعالى بعد ذكر ما تقدّم: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

- الموعظة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الحق ولا أحد من الناس في غنىً عنها، ومن أسماء القرآن الكريم أنه موعظة: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(١)، وفي كتب الحديث فصول خاصة بالموعظة.
- ورد في بعض الروايات أنّ النبي ﷺ كان يقول لجبرائيل: «عِظني»(٢). وكذلك كان أمير المؤمنين يأمر أحد أصحابه بأن يعظه؛ لأنّ في السماع أثر لا يحصل بغيره.

التعاليم

١ ـ نتلقى أسلوب تربية الأبناء من الكبار، ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾.

٢ ـ لا بد في الموعظة من جعل المستمع يتجه إلينا بعقله وحواسه، ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

٣ ـ لا بدّ من أن تبنى الموعظة على أساس الحكمة، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ... وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾.

٤ ـ الولد بحاجة إلى النصيحة فلا ينبغي أن نغفل عن أبنائنا، ﴿قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾.

٥ ـ لا بد في العمل التبليغي من أن نبدأ بأنفسنا، ﴿قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾.

٦ ـ من أفضل أساليب التربية الصحيحة للأبناء حوار المحبة معهم، ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾.

٧ ـ من رسالات الأب لابنه الموعظة، ﴿قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾.

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٧.
(٢) مواعظ الصدوق، ص ٩٢.

٨ ـ لا بدّ من أن نتحدث مع الشباب بلغة الموعظة لا التأنيب، ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾.

٩ ـ الموعظة لا بدّ من أن تكون مقرونة بالمحبة والعاطفة، ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

١٠ ـ من شروط تأثير الموعظة احترام شخصيّة الطرف المقابل، ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

١١ ـ في الموعظة والإرشاد لا بد من ترتيب الأولويات والبدء بالأهم، ﴿يَعِظُهُۥ... لَا تُشْرِكْ﴾.

١٢ ـ التوحيد من أهمّ الأمور التي يمكن أن يوعظ بها، بل هو الأساس الذي يرتكز عليه الوعظ، ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ... قَالَ... لَا تُشْرِكْ﴾.

١٣ ـ الشرك أعظم خطر وهو المسألة الأساس، والدنيا عند الله ﷻ متاع قليل: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[(١)]؛ ولكن الشرك ظلم عظيم، ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي إن الدنيا كلها لو أعطيت على أن تشرك فلا ينبغي القبول.

١٤ ـ لا بدّ من أن تكون الموعظة بالمنطق والدليل، ﴿لَا تُشْرِكْ... إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

معنى الشرك

للشرك معنى واسع وأبرز مصاديقه ومعانيه عبادة الأصنام، وهذا النوع من الشرك موجب، طبقاً لفتوى الفقهاء، للخروج عن الدين، وهو سبب لارتداد الإنسان.

وللشرك معان أخرى منها: الطاعة العمياء لغير الله واتّباع هوى النفس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[(٣)].

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٢) سورةالنحل:الآية ٣٦.
(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

وقد وردت عبارة «دون الله» و«دونه» مائة مرة في القرآن الكريم. أي إن طاعة غير الله وعبادته شرك. والمؤمن الذي يخرج عن أوامر الله ﷻ يخرج عن مدار التوحيد، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١].

وورد في الرواية أن هذا النوع من الشرك أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء. وبناء عليه فالشرك لا ينحصر بعبادة الأصنام بل مطلق الارتباط بأي قوة، مقام، مال، عشيرة وأي أمر لا يكون لله ﷻ.

آثار الشرك

١ ـ حبط العمل

الشرك مبطل لأثر العمل الصالح، كالنار التي تحرق الحقول. وقد خاطب القرآن الكريم الرسول ﷺ بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢].

٢ ـ القلق والاضطراب

إن الهدف الذي ينشده الإنسان الموحِّد هو رضا الله الواحد وهو سريع الرضا؛ وأما من يفكر في رضا الآخرين بدل التفكير في رضا الله ﷻ فهو دائماً يعيش القلق والاضطراب؛ لأن الناس الذين يسعى لرضاهم كثر ولكل واحد منهم هواه ومراده الخاص.

ولذا خاطب النبي يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن بقوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[٣].

وللقرآن وصف للمشرك وفيه ورد قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٤].

نعم التوحيد والعبودية الخالصة لله ﷻ سدٌّ محكم يمنع الإنسان من الهويّ، والتعلق بأي أحد، والدوران في فلك أحد، وتملق أي أحد وعبادته، والخوف

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٢) سورة الزمر: الآية ٦٥.
(٣) سورة يوسف: الآية ٣٩.
(٤) سورة الحج: الآية ٣١.

من أي أحد. وقد ورد في الحديث: **«كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»**[١].

٣ ـ الاختلاف والتفرقة

المحور في المجتمع التوحيدي هو الله ﷻ فقط، وإمامُ المجتمع وظيفتهُ بيان الطريق إلى الله ﷻ وإبلاغ القانون الإلٰهيّ، والكل يدور حول هذا المحور، وأما في مجتمع الشرك فإنه وبدل عبادة الله الواحد تكون العبادة للطاغوت والرغبات، ولهذا طرق متعدّدة، والناس في ذلك مختلفون ومتفرقون. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ... مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾[٢].

٤ ـ الذل في يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[٣].

علامات الشرك

من علامات الشرك عصيان الأوامر الإلٰهيّة والاعتراض عليها. وقد تعرض القرآن الكريم لبعض نماذج ذلك منها:

- ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[٤].
- متى جاء الأمر بالجهاد، تساءلوا عن ذلك الفرض؟ ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾[٥].
- عندما جاءهم الطعام رفضه بنو إسرائيل: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[٦].
- كلما ضرب الله مثلاً، اعترضوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[٧].

ومن علامات الشرك تقديم الأهل، والمال، والجاه، والمقام على إطاعة

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٢٧.
(٢) سورة الروم: الآيتان ٣١ و٣٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧
(٥) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٦) سورة البقرة: الآية ٦١
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦.

أوامر الله ﷻ. ففي الآية ٢٤ من سورة التوبة نقرأ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

نعم خطرُ الشرك يصل حداً عبَّر عنه القرآن الكريم بالنهي عن طاعة الوالدين إن أمرا ابنهما بالشرك، مع أن الله ﷻ قَرَنَ طاعة الوالدين بتوحيده في أربع مواطن من القرآن الكريم[1].

دوافع الشرك وأسبابه

الناس إما ان يتجهوا إلى غير الله بسبب امتلاكه القوة، والله ﷻ يصفه بقوله: ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[2].

أو أن يتجهوا إلى غير الله طلباً للعزة، والله ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[3].

أو أن يتجه إلى الجماعة ليتخلص من بعض المشكلات التي يواجهها، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾[4].

وفي موضع آخر يقول واصفاً من يتجه الناس إليهم بقوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[5]، أو يثير أمامهم التساؤل عن سبب تركهم لله ﷻ: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[6].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٨؛ وسورة لقمان: الآية ١٥.
(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٦.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.
(٦) سورة الصافات: الآية ١٢٥.

مواجهة الشرك

مواجهة الشرك والدعوة إلى التوحيد هي أول رسالة بلّغها الأنبياء وهي الهدف من بعثتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

وكل الذنوب قد تشملها المغفرة الإلهيّة إلا الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾[2]، وقد أمر الأنبياء عليهم السلام بالبراءة من الشرك[3]. ولا يصح جعل شريك لله عزّ وجلّ حتى لو كان ذلك بأدنى درجاته، أي لو جعل لله عزّ وجلّ ٩٩ بالمائة من الأعمال وترك واحداً لغير الله فهذا شرك باطل؛ لذا قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[4].

فلا يصح جعل أحد شريكاً لله عزّ وجلّ حتى الأنبياء والأولياء فضلاً عن الأصنام والطواغيت؛ لذا خاطب الله عزّ وجلّ نبيه عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[5]، كما يصف الشرك بالله عزّ وجلّ بالافتراء العظيم: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[6].

ومبغوضية الشرك تصل حداً يُمنع فيه المؤمنون من الاستغفار للمشركين، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[7].

ويحارب الإسلام الشرك بالمنطق والبرهان ويبين لهم عجز غير الله، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾[8] ومن بيده الموت والحياة؟ ومن بيده العزة والذلّة؟

نعم ترك الإله العالم والقادر المطلق، والتعلق بالأسباب الفانية، والاعتماد على المخلوقات، وطلب العون من العاجز ليست من فعل العقلاء. ومن الأهداف التي قصدها القرآن الكريم في نقله لقصص الأمم السالفة قلع جذور الشرك.

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٢) سورة النساء: الآيتان ٤٨ و١١٦.
(٣) سورة هود: الآية ٥٤.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٥) سورة المائدة: الآية ١١٦.
(٦) سورة النساء: الآية ٤٨.
(٧) سورة التوبة: الآية ١١٣.
(٨) سورة فاطر: الآية ٤٠.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

- كلمة «وهن» بمعنى الضعف الجسماني، كما إن كلمة توهين بمعنى الاحتقار المعنوي.
- دائرة الإحسان أوسع من دائرة الإنفاق، فالإحسان يشمل كل نوع من المحبة والخدمة؛ ولكن الإنفاق يطلق عادة على المعونة المالية. وقد قرن القرآن الكريم مسألة الإحسان إلى الوالدين بالتوحيد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1].
- وردت الوصية في الآية المذكورة أولاً بالأمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم أشارت إلى فترة حمل الأم لكي تحرك الوجدان الأخلاقي عند الإنسان وتوقظه وتذكره ماضيه. فعليه أن يتذكر دائماً أنها حملته وتحملت الأذى في ذلك، وكانت لأجله تترك طعامها وشرابها ولا أحد يقدر على تحمل ذلك. ونظراً إلى كون حق الأم أكثر عرضة للتضييع أو لكونه أعظم من حق الأب خصه الله ﷻ بالوصية.
- للوالدين والأولاد حقوق متبادلة، ففي الآية السابقة كانت موعظة الأب لولده، وأما هذه الآية فتتعرض للإحسان والرحمة بالوالدين.

التعاليم

١ ـ لا بد من اتّباع كلام الحق سواء أكان موعظة من عبد لله: (لقمان)، أو كان وصية من الله ﷻ، ﴿وَوَصَّيْنَا﴾.

٢ ـ الإنسان مهما علا شأنه ومهما كانت ظروفه مدين لوالديه، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ (كلمة «إنسان» تشمل الناس كافة).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

٣ ـ احترام الوالدين حق إنسانيّ وليس دينيا إسلامياً فقط، بل ينبغي الإحسان حتى إلى الأبوين الكافرين، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

٤ ـ من يتحمل المشاق أكثر لا بد من تقديره بشكل أخص، وذكر اسمه بشكل مستقل، ﴿بِوَٰلِدَيْهِ... أُمُّهُۥ﴾.

٥ ـ في الأوامر العامة لا بدّ من أن يكون الاستدلال عاماً أيضاً، (لما كان المخاطب هم الناس كافة، كانت ذكر صفة حمل الأم وهي الصفة التي يشترك فيها الناس جميعاً)، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾.

٦ ـ كون العمل وظيفة طبيعية للشخص لا يبرر عدم التوجه إليه بالشكر والإحسان، (فالحمل أمر طبيعي للأم، ولكن علينا مسؤولية الإحسان إليها واحترامها وتقديرها)، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾.

٧ ـ تذكر الماضي دافع لإحياء روح الشكر في أنفسنا، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾.

٨ ـ مرحلة الحمل والإرضاع من موجبات ثبوت حقوق للأم على ولدها وهي من أهم المراحل تأثيراً على شخصيّة الطفل، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ... وَفِصَٰلُهُۥ﴾

٩ ـ قد يفطم الطفل عن الرضاع خلال الحولين، فلا وجوب لأن يكون ذلك بعد الحولين، (كلمة «فصال» بمعنى فطام الطفل عن الرضاع، وتعبير: «في عامين» يدل على أن بالإمكان فطام الطفل خلال عامين أيضاً، وإن كان من الأفضل أن يكون بعد الحولين).

١٠ ـ تحمل المشاق في سبيل أداء الوظيفة سبب لثبوت حقوق كبرى. فمن يتحمّل المسؤولية على الرغم مما فيه من الضعف والمرض له حق أكبر على الإنسان، ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾.

١١ ـ شكر الوالدين عمل له مكانته السامية عند الله ﷻ، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

١٢ ـ في النهاية سوف نعود جميعاً إلى الله ﷻ، فلنحذر من عدم الإحسان وشكر الوالدين، ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

١٣ ـ الإيمان بالمعاد دافع يدفع بالإنسان إلى العمل الصالح ومن ذلك الإحسان إلى الوالدين، ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

١٤ ـ حق الله ﷻ مقدّم على حق الوالدين، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ فالشكر والإحسان إلى الوالدين لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن شكر الله ﷻ.

وفي ختام هذه الآية نتعرض بشكل موجز لعنواني الإحسان إلى الوالدين وشكر الله ﷻ.

الإحسان إلى الوالدين

ورد الأمر بالإحسان إلى الوالدين في الآيات ٨٣ من سورة البقرة، ٣٦ من سورة النساء، ١٥١ من سورة الأنعام، و٢٣ من سورة الإسراء، ولكن في سورة لقمان كان الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعنوان كونه وصية من الله ﷻ.

وفي مواطن عدة من القرآن الكريم ورد الأمر بشكر الوالدين إلى جانب الأمر بشكر الله ﷻ، وأشير في بعض هذه المواطن إلى المشاق الكبيرة التي تتحملها الأم.

ولعظم منزلة الإحسان إلى الوالدين فإن الآية التالية تأمر بالإحسان إليهما حتى لو سعينا لجعل ولدهما يتبعهما في شركهما بالله ﷻ، أي ينبغي إكرامهما والإحسان إليهما حتى في الموارد التي لا يجوز طاعتهما فيها.

نعم فاحترام الوالدين حق من الحقوق الإنسانيّة فضلاً عن كونه من الحقوق الإسلاميّة، وهو من الحقوق الثابتة والمستمرة لا الآنية الموقتة.

ورد في الروايات أن الإحسان إلى الوالدين لازم على كل حال سواء أكانا مؤمنين أم كافرين وسواء أكانا حيين أم ميتين.

وورد في رواية أنّ رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سُرَّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله

صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟! فقال: «**لأنها كانت أبر بوالديها منه**»[١].

وقد ورد الأمر في القرآن الكريم إذ وُجّه الأمر ببرّ الوالدين إلى نبيّين هما عيسى ويحيى عليهما السلام[٢].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ ـ وقد سأله ابن مسعود عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ـ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»[٣].

وورد أن شاباً خرج في يوم كربلاء واستأذن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: «**هذا شاب قُتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أمي أمرتني بذلك**»[٤].

سعة معنى الوالدين:

يطلق، في الثقافة الإسلاميّة، على أنبياء السماء، والمعلم، والمربي، ووالد الزوجة تسميةُ الأب أيضاً.

وفي رواية الأصبغ بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: «**يَا أَصْبَغُ أَنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَائِداً كَمَا جِئْتُ السَّاعَةَ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ اخْرُجْ فَنَادِ فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً وَاصْعَدِ الْمِنْبَرَ وَقُمْ دُونَ مَقَامِي بِمِرْقَاةٍ وَقُلْ لِلنَّاسِ أَلَا مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَلَا مَنْ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَلَا مَنْ ظَلَمَ أَجِيراً أُجْرَتَهُ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَا أَصْبَغُ فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَامَ مِنْ أَقْصَى الْمَسْجِدِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ تَكَلَّمْتَ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ وَ أَوْجَزْتَهُنَّ فَاشْرَحْهُنَّ لَنَا فَلَمْ أَرُدَّ جَوَاباً حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ مَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ قَالَ الْأَصْبَغُ ثُمَّ أَخَذَ عليه السلام بِيَدِي وَقَالَ يَا أَصْبَغُ ابْسُطْ يَدَكَ فَبَسَطْتُ يَدِي فَتَنَاوَلَ إِصْبَعاً مِنْ أَصَابِعِ يَدِي وَ قَالَ يَا أَصْبَغُ كَذَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِصْبَعاً مِنْ أَصَابِعِ يَدِي كَمَا تَنَاوَلْتُ إِصْبَعاً مِنْ أَصَابِعِ يَدِكَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَلَا وَ إِنِّي وَ أَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَمَنْ عَقَّنَا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَلَا وَ إِنِّي وَ أَنْتَ مَوْلَيَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَعَلَى مَنْ أَبَقَ عَنَّا لَعْنَةُ اللَّهِ أَلَا وَ إِنِّي وَ أَنْتَ أَجِيرَا هَذِهِ الْأُمَّةِ فَمَنْ ظَلَمَنَا أُجْرَتَنَا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ**»[٥].

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦١.
(٢) سورة مريم: الآية ١٤ و٣٢.
(٣) ميزان الحكمة.
(٤) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٧.
(٥) بحار الأنوار، ج٤٠، ص ٤٦.

شكر الله ﷻ

الله ﷻ غني عن عبادة عباده وشكرهم له، وقد أشار القرآن الكريم مكرراً إلى هذه الحقيقة، فوصف نفسه بالغني الكريم[(١)]. وشكرنا له ﷻ سبب لنيلنا مقام العزة ورفعة الدرجة، فالشمس ليست بحاجة إلينا ولكن نحن إن اطلعنا على منازلها أمكننا أن نستفيد من نورها.

مما أثنى به الله ﷻ على أنبيائه في القرآن الكريم أنهم كانوا شاكرين لله ﷻ. فوصف الله ﷻ نبيه نوح عليه السلام مع ما تحمله من الصبر والاستقامة على خيانة زوجته، وكفر ابنه، وأذية الناس له بأنه: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[(٢)].

وقد ذم الله ﷻ، وبشكل مكرر، أكثرَ الناس لأنهم لا يشكرون.

نعم لا بدّ من أن نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لشكره، كما سأل ذلك سليمان عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[(٣)]، ونحن في الغالب لا نلتفت إلى الكثير من النعم الإلٰهيّة التي وصلت إلينا عن طريق الآباء، أو كثير من البلاءات التي أنجانا الله ﷻ منها، أو النعم المعنوية كالإيمان بالله ﷻ وأوليائه، أو النفور من الكفر والفسق والمعصية والتي وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[(٤)].

مضافاً إلى ما تقدّم فإنّ بعض أدعية المعصومين عليهم السلام أيضاً تهتم ببيان النعم الإلٰهيّة وضرورة شكر الله ﷻ على ذلك؛ وذلك لإحياء روح الشكر في الإنسان.

والشكر الإلٰهيّ تارة يكون بالقول، وأخرى بالفعل، والعمل، والسلوك.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا ذكر أحدكم نعمة الله ﷻ**

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٠؛ وسورة لقمان: الآية ١٢؛ وسورة الزمر: الآية ٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٣) سورة النمل: الآية ١٩؛ وأوزعني بمعنى ألهمني واجعلني أرغب وأحب شكر نعمتك.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٧.

فليضع خده على التراب شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خده على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه، وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه»[1].

نماذج من الشكر العملي

١ ـ الصلاة أفضل نموذج للشكر المعنوي، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

٢ ـ الصوم: فقد كان أنبياء الله ﷻ يلجأون إلى الصوم شكراً لله ﷻ[2].

٣ ـ خدمة الناس: كما لو طلب الأمي من العارف بالكتابة أن يكتب له شيئاً فليكتب له وليشكر الله ﷻ، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾[3].

٤ ـ القناعة: ورد عن النبي الأكرم ﷺ، **«كن قنعاً تكن أشكر الناس»**[4].

٥ ـ إكرام اليتيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[5].

٦ ـ مساعدة المحرومين والمحتاجين وقد خاطب الله ﷻ نبيه الكريم بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[6].

٧ ـ شكر الناس، وقد قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[7].

فشكر الناس هو شكر لله ﷻ وقد ورد في الرواية: **«من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله»**[8].

---

(١) الكافي، باب الشكر، حديث ٢٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٤٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٤) مستدرك الوسائل، ج ١١، الحديث ١٢٦٧٦.

(٥) سورة الضحى: الآية ٩.

(٦) سورة الضحى: الآية ١٠.

(٧) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٨) عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٤.

شكر الله حتى على المصائب

ورد في الآية الكريمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾(١).

إذا علمنا أنّ غيرنا يعاني بلاءً أعظم وأشد؛

إذا علمنا أن البلاءات تجعلنا نلتفت إلى الله أكثر؛

إذا علمنا أن البلاءات تكسر الغرور في الإنسان وترفع قسوة القلب؛

إذا علمنا أن البلاء يذكّرنا بأهل البلاء من الناس؛

إذا علمنا أن المصائب تدفعنا لكي نبتكر الجديد؛

إذا علمنا أن المآسي تذكرنا بالنعم الإلهيّة السابقة؛

إذا علمنا أن الشدائد كفارة للذنوب؛

إذا علمنا أن البلاء سبب لنيل الثواب الأخروي؛

إذا علمنا أنّ البلاء يحذّرنا من يوم القيامة؛

إذا علمنا أنه [أي البلاء] سبب معرفة مقدار صبرنا، وسبب معرفتنا الأصدقاء الحقيقيين؛

إذا علمنا أن من الممكن أن نتعرض لبلاءات أكثر وأصعب، إذا علمنا ذلك كله، سوف ندرك أن تحت الظاهر المر حلاوة.

نعم الطفل يشعر بحلاوة التمر وحدّة طعم البصل والحر، أما بالنسبة إلى الأبوين فالحلو والحامض كلاهما لهما طعمهما الخاص.

وقد ورد عن علي عليه السلام في معركة أحد: **«ولكن من مواطن البشرى والشكر»**(٢)، وخاطبت السيدة زينب عليها السلام ظَلَمَةَ بني أمية بقولها: **«ما رأيت إلا جميلاً»**(٣).

وقيل لأحد أولياء الله عزّ وجلّ هل أديت حق شكر الله عزّ وجلّ. فقال: أنا عن شكر الله عزّ وجلّ عاجز. وورد أنّ: أفضل الشكر الإقرار بالعجز عن شكر الله عزّ وجلّ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٦.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا
مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾

إشارات

❑ تعرض القرآن الكريم لثلاث أنواع من الطاعة:

أ ـ الطاعة المطلقة لله ﷻ وللرسول ولأولي الأمر: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1].

ب ـ عدم طاعة الكافر مطلقاً، وكذا المنافق، والمفسد، والعاصي، والظالم، وإلى غير ذلك، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾[2]، ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[3]، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[4].

ج ـ الطاعة المشروطة وهي طاعة الوالدين، وهو طاعتهما في ما أمرا به إذا كان طاعة لله ﷻ، وعدم طاعتهما في ما كان فيه معصية الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ عند الإنسان ميلٌ فطري إلى توحيد الله ﷻ، والآخرون هم الذين يدعونه إلى الشرك، ﴿جَٰهَدَاكَ﴾.

٢ ـ لا بد، مضافاً إلى بيان القضايا العامة، من بيان بعض الأحكام والقضايا الجزئية، (فمع الوصية بطاعة الوالدين: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ نجد الاهتمام بما يحتمل وقوعه من انحراف عند الوالدين)، ﴿جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ﴾.

٣ ـ ليس في الشرك أي منطق علمي، ﴿لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾.

٤ ـ التقليد الأعمى ممنوع، ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾.

٥ ـ حق الله ﷻ مقدّم على كل حق حتى حق الوالدين، ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ١.
(٣) سورة الإنسان: الآية ٢٤.
(٤) سورة ص: الآية ٢٦.

٦ ـ عند النهي عن الاقتداء بشخص، لا بد من تقديم قدوة ونموذج بديل، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا... وَٱتَّبِعْ﴾.

٧ ـ لا تجوز طاعة الوالدين في معصية الله ﷻ؛ ولكن لا بد من مصاحبتهما بالمعروف، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا... مَعْرُوفًا﴾.

٨ ـ تجوز معاملة غير المسلمين بالحسنى شرط عدم التبعية لهم، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

٩ ـ لا ينبغي ترك فعل الخير والمعروف على أي حال، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

١٠ ـ لا بد من الإحسان إلى الوالدين إلى آخر العمر، (حتى المشركين) ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

١١ ـ القدوة هم الذين أنابوا إلى الله ﷻ، ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾.

١٢ ـ الفصل لازم في اختيار العقيدة والسلوك، فالإحسان يكون إلى الوالدين ولكن الاتّباع يكون للصالحين، ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾.

١٣ ـ الإيمان بالمعاد ضمانة لإصلاح الأمور وإطاعةِ الإنسان لطريق الله ﷻ، ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

١٤ ـ القيامة ساحة لحضور الإنسان في محضر الله ﷻ، ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم﴾.

﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ
أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

□ «الخردل» نبتة فيها بذرة سوداء اللون غاية في الصغر، وتصل في صغرها حدا يضرب بها المثل.

التعاليم

١ ـ تعليم الأبناءِ الاعتقادَ بسعةِ العلمِ والقدرةِ الإلٰهيّةِ دليلٌ على الحكمة، ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ... يَٰبُنَىَّ...﴾.

٢ ـ لا بد في الموعظة من تكرار اسم المخاطب عند كل وصية، (لاحظ تكرار كلمة «يا بني» في هذه السورة، ولاحظ أيضاً تكرار كلمة «يا أبت» في سورة مريم، من الآية ٤٠ إلى الآية ٤٥).

٣ ـ إيمانُ الإنسان بأن عمله سوف يُحْضَر في يوم القيامة باعثٌ له على الإصلاح، ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ... يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ عند عمليّة التقييم والإشراف لا بد للإنسان من أن يلحظ حتى صغار الأمور، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.

٥ ـ لا تأثير لصغر الخردل ولا لبُعد الصخرة وكونها غير بينة، ولا للسموات والأرض على العلم الإلٰهيّ بها وقدرته على إحضارها، ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾.

٦ ـ الله ﷻ بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ... لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

٧ ـ أعمال الإنسان لا تفنى في هذا العالم، ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾.

٨ ـ الحساب الإلٰهيّ في منتهى الدقة؛ لأنه تعالى لطيف، ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

- المراد من العزم هنا إما العزم والإرادة الإلٰهيّة الحتميّة على فعل هذه الأمور أو لزوم العزم والتصميم الجدي من قبل الإنسان على ذلك.
- على الرغم من تكرر ذكر الزكاة بعد الصلاة في ثمانية وعشرين مورداً في القرآن الكريم، إلا أنه، هنا، بعد ذكر الصلاة، جاء ذكر الأمر بالمعروف، ولعل ذلك لأن المخاطب هنا هو الابن، وليس لدى الولد مال حتى يوصى بأداء الزكاة، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.
- ورد عن علي عليه السلام: **«واصبر على ما أصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»**[1].

---

(١) تفسير مجمع البيان.

□ الصبر قد يكون عند المصيبة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾[1]، وقد يكون على الطاعة: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾؛ وقد يكون عن ارتكاب الذنب كما قال يوسف عليه السلام في السجن: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ من واجبات الأبوين أمرهما أولادهم بالصلاة، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٢ ـ طهارة النفس بالابتعاد عن الشرك، والبناء المعنوي يبدأ بالصلاة، ﴿لَا تُشۡرِكۡ... أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٣ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينفرد به دين الإسلام، (قبل الإسلام أيضاً نجد لقمان يوصي ابنه بالصلاة والأمر بالمعروف)، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

٤ ـ يجب تربية الأبناء من خلال الأمر بالصلاة لكي يكونوا مؤمنين وربّانيين، ومن خلال الأمر بالأمر بالمعروف لكي يكونوا أفراداً يتحملون المسؤولية الاجتماعية، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

٥ ـ لا بد من تعليم الأبناء بنحو يبيّن لهم المعروف والمنكر حتى يتمكنوا من الأمر والنهي، ﴿يَٰبُنَيَّ... وَأۡمُرۡ... وَٱنۡهَ﴾.

٦ ـ الصلاة هي أهم الأعمال بعد الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٧ ـ من يريد القيام بوظيفة الأمر والنهي في المجتمع سيواجه حتماً الاصطدام بهوى الناس، فلا بد له من أن يبني ذاته ويملأ نفسه بالإيمان، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

٨ ـ اجعلوا أبناءكم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ...﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٥٥ ـ ١٥٦. (٢) سورة يوسف: الآية ٩٠.

٩ ـ الأمر بالمعروف دائماً يسبق النهي عن المنكر، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾؛ لأن انتشار المعروف بين الناس بنفسه يكفي للردع عن كثير من المنكر.

١٠ ـ لا يكفي أن يكون الإنسان في طريق الحق، بل لا بد له من دعوة الآخرين إلى السير في طريق الحق، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ كما نقرأ في سورة العصر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

١١ ـ لا بدّ من أن يتحلى الإنسان بالصبر وبسعة الصدر في أدائه لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾، لأن في النهي عن المنكر سيواجه مصاعب يضعها أمامه أهل المعاصي، فلا ينبغي له أن يتراجع.

١٢ ـ الأب الحكيم يتقبل ما ينزل بابنه من مصاعب ويأمره بالصبر عليها، ولكنه لا يرضى له أن يسكت أمام ما يتعرض له الدين من هجوم، ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾.

١٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من المسائل المهمة، وللصبر على ما يصيب الإنسان في هذا الطريق قيمته الخاصة، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

خصائص الصلاة

بمناسبة الحديث عن فريضتين إلهيتين هما الصلاة والأمر بالمعروف نتعرض هنا لبحث موجز عنهما:

- الصلاة أبسط علاقة بين الإنسان وربه وأعمقها وأجملها، وهي مشرعة في الأديان كافة.

- الصلاة هي العبادة الوحيدة التي وردت الوصية بالنداء بها قبل الإتيان بها، بأن يخرج أفضل الناس صوتاً لينادي: (حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل) فبالأذان يُكسر السكوت ويُعلن عن الفكر الإسلامي الأصيل، وبه يُنَبَّهُ الغافلون.

- نظراً إلى أهميّة الصلاة قال إبراهيم عليه السلام إنه إنما أسكن ذرّيته وادياً غير ذي زرع ليقيموا الصلاة، لا لأجل مراسم الحج.
- جعل الإمام الحسين عليه السلام نفسه في معرض السهام ليقيم ركعتي صلاة ظهر يوم عاشوراء.
- يأمر القرآن الكريم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت للمصلين. ولأهميّة الصلاة كان إبراهيم عليه السلام، وزكريا، ومريم، وإسماعيل خداماً للمسجد ولمحل إقامة الصلاة.
- الصلاة باب قبول الأعمال كافة، ويأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحد عماله بقوله: «**صلِّ الصلاة لوقتها الموقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. وعلم أن كل شيء من عملك تبعٌ لصلاتك**»(١).
- الصلاة ذكر الله، وبذكر الله وحده تطمئن القلوب.
- تعرض القرآن الكريم للحديث عن الصلاة في غالب سوره من أكبر سورة (البقرة) إلى أصغرها (الكوثر).
- تتمثل الصلاة في حياة الإنسان من لحظة الولادة بالأذان والإقامة في أذن الطفل إلى ما بعد موته بالصلاة عليه قبل دفنه.
- ورد الأمر بالصلاة عند كل مخوف أرضي كالزلزلة وعند كل مخوف سماوي كالخسوف والكسوف، وهي صلاة الآيات، كما إن الصلاة يؤتى بالاستسقاء المطر.
- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر(٢).

في الصلاة تتجلى كافة الكمالات ونذكر نماذج منها:

- النظافة والسلامة الصحية في استخدام السواك، الوضوء، الغسل، وطهارة البدن واللباس.
- نتعلم من الأذان الجرأة، والصدح بالحق.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب، ٢٧.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

- نتعلم من الصلاة الحضور مع الناس بالاجتماع في المساجد.
- الاهتمام بالعدالة في اختيار إمام الجماعة.
- الاهتمام بالقيم وبالكمالات ممن يقف في الصف الأول في صلاة الجماعة.
- الاتجاه المستقل في القبلة. نعم لليهود قبلتهم وللنصارى قبلتهم، والكعبة قبلة مستقلة للمسلمين، ولا بد للمسلمين من أن يعيشوا حالة الاستقلال، ولذا ورد الأمر في القرآن بالتوجه إلى الكعبة القبلة المستقلة للمسلمين، لحفظ استقلالهم.
- احترام حقوق الآخرين، إذ لا تصح الصلاة حتى بخيط مغصوب.
- الاهتمام بالسياسة، إذ نقرأ في الروايات أن الصلاة لا تقبل مع عدم الولاية.
- الاهتمام بنظم الأمور، إذ تنظم الصفوف في صلاة الجماعة، والاهتمام بالشهداء بالسجود على التربة الكربلائية، والاهتمام بسلامة البيئة، إذ وردت الوصية بحفظ طهارة المسجد ونظافته ومكان السجود.
- الالتفات إلى الله ﷻ في الصلاة بتمامها، الالتفات إلى المعاد، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، الالتفات إلى اختيار الطريق المستقيم ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، اختيار الرفيق المؤمن ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، التحرز عن عشرة أهل الضلال والمعاصي ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، الالتفات إلى النبوة وإلى أهل بيت النبي ﷺ في التشهد، والاهتمام بالصالحين في «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».
- الاهتمام بالطعام الحلال، وقد ورد في الحديث أن من يشرب الخمر لا تقبل منه الصلاة أربعين يوماً.
- بالجمال الظاهري، فقد ورد الأمر بأن يلبس المصلي أفضل الثياب، أن يتعطر، وأن يأخذ زينته عند الصلاة، بل حتى النساء يأخذن زينتهن عند الصلاة.
- عدم أذية الزوجين بعضهما لبعضهما الآخر، فقد ورد في بعض الروايات أن الزوجين إذا آذيا بعضهما بالكلام، لا تقبل صلاتهما.

هذه بعض الأمور والآثار التي يمكن للإنسان أن يتذكرها في الصلاة وقد ورد عن الإمام الخمينيّ قوله: الصلاة تصنع الإنسان.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا سنَّ خاص لأداء هاتين الفريضتين المهمتين، ولذا كانت وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ...﴾.

الأمر بالمعروف علامة التعلق بهذا الدين، ومحبة الناس، والاهتمام بسلامة المجتمع، ودليلٌ على حرّية التعبير، والغيرة الدينية، والارتباط بعلاقة صداقة مع الناس، وعلامة على يقظة الفطرة، والحضور في الساحة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لترغيب المحسنين، وتعليم الجاهلين، والتحذير لمنع المعاصي، ولإيجاد نوع من الانضباط الاجتماعي. ولذا قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[(١)].

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «**في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة العامة**»[(٢)]. كما ورد في حديث آخر تشبيه من لا ينهى عن المنكر بمن يرى المسلم مجروحاً في قارعة الطريق فلا يعينه حتى يهلك.

وقد صدر اللعن من بعض الأنبياء كداود وعيسى عليهما السلام على من لا ينهى عن المنكر[(٣)].

ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «**إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[(٤)].

وفي حديث: «**إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض**»[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢.
(٣) سورة المائدة: الآية ٧٨.
(٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٨.
(٥) الكافي، ج ٥، ص ٥٥.

وفي آيات القرآن الكريم ورد الأمر بترك المجلس اعتراضاً إذا كان فيه استهزاء بآيات الله إلى أن يخوضوا في حديث غيره[1].

لا بد للإنسان من أن يكون ممن ينزعج قلباً من ارتكاب المعاصي، وأن ينهى عن ذلك بلسانه وأن يمنع من وقوعها بالقوة.

دعوة الآخرين إلى فعل الخير تجعلنا شركاء في الثواب، ولكن السكوت أمام فعل المنكر والمعاصي يؤدي إلى نشر الفساد؛ ليصبح المفسدون هم الحكام على الناس.

السكوت واللامبالاة إزاء ارتكاب المعاصي موجب لصيرورة المعصية فعلاً عادياً، ولجرأة أهل المعاصي، وقسوة القلوب، ورضا الشيطان وغضب الله ﷻ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة إلٰهيّة، فلا تتوهم التالي لأنه باطل:

ذنوب الآخرين عليهم، لا تسلب الناس حريتها، نحن أهل الخوف والخجل، بوردة واحدة لا يكون الربيع، عيسى على دينه وموسى على دينه، لسنا في قبر واحد، غير موجود، فلماذا أنا آمر بالمعروف؟ بالنهي عن المنكر أفقد الأصدقاء والزبائن، ونحو ذلك، فهذا كله لا يرفع عنا التكليف والواجب. نعم لا بدّ من أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علم، ومن القلب، وعن طريق عقلائي، وبالخفاء بالقدر الممكن.

قد يجب علينا أن نتكلم نحن، ولكن إذا لم يكن لكلامنا أثر فالتكليف لا يسقط، بل علينا أن ندعو الآخرين ليتكلموا.

لو أمكن الوقوف أمام الفساد ولو إلى حين وجب ذلك، وإذا استلزم التكرار فلا بد من التكرار لنصل إلى النتيجة المطلوبة.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠؛ وسورة الأنعام: الآية ٦٧.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

- «التصعير» نوع من المرض تصاب به الإبل فيمنعها من تحريك عنقها بعد التوائها. ويوصي لقمان ابنه بأن لا يتعامل مع الناس بتكبر فيميل بعنقه عن الناس كالأبل المريضة.
- «المرح» هو الفرح الزائد الذي يحصل للإنسان بسبب امتلاكه المال والمقام. «المختال» يطلق على من يرى نفسه أفضلَ من غيره، تخيلاً منه لا على نحو الحقيقة، و«الفخور» بمعنى المتفاخر.
- في التكبر استهانة بالناس، وهو سبب للعداوة، وإثارة للأحقاد الداخليّة السابقة.

ورد في الحديث: **«من مشى على الأرض اختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها»**[١].

التعاليم

١ ـ بِشْرُ الوجه سلوك المؤمن مع المسلم وغير المسلم، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

٢ ـ التكبر ممنوع حتى في المشي، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

٣ ـ علينا الاستفادة من حبِ اللهِ ﷻ لأمرٍ لترغيبِ الناسِ فيه، ومن بغضه لأمر لتحذير الناس منه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾.

٤ ـ علينا أن ننزه أنفسنا في سلوكنا من الخيلاء ومن العيش في الوهم، ﴿مُخْتَالٍ﴾.

٥ ـ لا تتفاخر على الناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

التواضع

يوصي لقمان ولده في هذه الآية بعدم المشي متكبراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) تفسير نور الثقلين.

مَرَحًا﴾، وفي سورة الفرقان ورد أن أول صفات عباد الرحمن أن مشيهم التواضع، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾(١).

من أسرار الصلاة أن الإنسان يضع أعلى عضو من جسده على التراب (٣٤ مرة في اليوم كحد أقل في سبعة عشر ركعة واجبة)، وهذا لأجل تربية النفس على الاحتراز عن التكبّر، والغرور، وعلى التواضع أمام الله ﷻ.

التواضع، وإن كان أمراً لازماً أمام الناس جميعاً، ولكن الأكثر إلزاماً هو التواضع أمام الوالدين، والمعلم، والمؤمنين. والتواضع لأهل الإيمان من أهم علامات الإيمان، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

خلافاً لما طلبه المتكبرون من إبعاد الفقراء عن مجالسة الأنبياء، كان جواب الأنبياء: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾(٣).

لماذا يتكبر الإنسان وأوله نطفة وآخره جيفة؟!

أليس علمه المحدود في معرض الزوال بالنسيان؟!

أليس الجمال، والقوة، والشهرة، والثروة في معرض الزوال؟!

ألا يشاهد المرض، والفقر، والموت في المجتمع؟!

ألا يلاحظ كيف أن قدراته تضمحل؟!

فلماذا يتكبّر وقد وصف الله ﷻ المتكبر بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾(٤).

نماذج من تواضع أولياء الله ﷻ

١ ـ أفضل خلق الله ﷻ، أي النبي الأكرم ﷺ، كان يجلس مع الناس دون أن يتمكن أحد من التمييز بينه وبينهم، فإذا دخل أحدهم مجلسه كان يسأل: أيكم رسول الله(٥).

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٣) سورة هود: الآية ٢٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٤٧.

٢ ـ عندما كان يسافر مع أصحابه كان يساعدهم في إعداد الطعام كواحد منهم وكان يتكفل جمع الحطب(١).

٣ ـ وكان ﷺ إذا رأى أن أحدهم لم يجد مجلساً يجلس فيه رمى له بثوبه ليجلس عليه(٢).

٤ ـ كان يلبس الثياب البسيطة، يركب على الحمار العاري، يجلس مع العبيد، يسلم على الأطفال، يرتق نعله وثوبه، يقبل دعوة الناس، يكنس البيت، يمد يده إلى الناس كافة، لا يكثر من الطعام(٣).

٤ ـ عن أبي بصير قال: دخل أبو عبد الله عليه السلام الحمام فقال له صاحب الحمام: أُخليه لك؟ فقال: **«لا حاجة لي في ذلك، المؤمن أخف من ذلك»**(٤).

٥ ـ كان أصحاب الإمام الرضا عليه السلام يصرون على أن يجعلوا مائدة طعام الغلمان منفصلة عن مائدته، ولكنه لم يكن يقبل منهم ذلك(٥).

٦ ـ دخل الرضا عليه السلام الحمام فقال له بعض الناس: دلكني فجعل يدلكه فعرّفوه، فجعل الرجل يعتذر منه، وهو يطيب قلبه ويدلكه(٦).

ومن علامات التواضع قبول النقد والرأي المعارض من الغير والجلوس في مكان أقل من شأنه.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

❑ عن أبي الحسن عليه السلام: **«سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»**(٧).

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧، سيرة النبي ﷺ.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٣٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١٥٥؛ وج ٧٣، ص ٢٠٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٤٧.

(٥) محمد تقي فلسفي، كودك (الطفل)، ج ٢، ص٤٥٧.

(٦) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٩٩.

(٧) تفسير نور الثقلين.

❑ ورد في الحديث: **«الرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلّا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن»**[1].

❑ في كلام لقمان تسع وصايا بصيغة الأمر، ثلاثة بصيغة النهي، وسبع أدلة لهذه الأوامر والنواهي:

الأوامر التسع:

١ ـ الإحسان إلى الوالدين.

٢ ـ شكر الله ﷻ والوالدين.

٣ ـ مصاحبة الوالدين بالمعروف.

٤ ـ اتّباع سبيل المؤمنين والتائبين.

٥ ـ إقامة الصلاة.

٦ ـ الأمر بالمعروف.

٧ ـ النهي عن المنكر.

٨ ـ التواضع في المشي.

٩ ـ غضّ الصوت.

وأما النواهي الثلاثة:

١ ـ النهي عن الشرك.

٢ ـ النهي عن تصعير الخد للناس.

٣ ـ النهي عن المشي متكبراً.

وأما الأدلة السبعة فهي:

١ ـ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.

٢ ـ لأن الشرك ظلم فلا تشرك، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٣ ـ لأن الناس كلهم يعودون إلى الله ﷻ وسوف يحاسبون، فيجب الإحسان إلى الوالدين، ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾، ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

٤ ـ لأن الله بكل شيء عليم فإن على الإنسان أن يراقب نفسه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

٥ ـ لأن الصبر مهم فعليك بالصبر، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

٦ ـ لأن الله لا يحب المتكبرين فلا تتكبر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

٧ ـ لأن أنكر الأصوات صوت الحمير، فلا ترفع صوتك، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

التعاليم

١ ـ الإسلام دين جامع، ولذا تضمّن الأمر حتى بكيفية المشي، ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

٢ ـ العقائد والأخلاق إلى جانب بعضهما في التعاليم الإلٰهيّة، ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ... وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

٣ ـ يوصي القرآن الكريم بالقصد في المشي، فلا إفراط ولا تفريط، ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

٤ ـ القصد ليس في المشي فقط بل في كل عمل تقوم به، ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

٥ ـ غض الصوت مطلوب، فاحترز عن الصياح وليكن كلامك هادئاً ومعتدلاً، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾.

٦ ـ الصياح ورفع الصوت أمران مذمومان وقبيحان، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ «الإسباغ» بمعنى «التوسعة».

□ أشارت هذه الآية إلى نوعين من النعم: النعمة الظاهرة: كالصحة، الرزق، الجمال ونحو ذلك، والنعمة الباطنة كالإيمان، المعرفة، الطمأنينة، حسن الخلق، المدد الغيبي، العلم، الفطرة، الولاية.

□ لعل من الممكن القول إن المراد من العلم في هذه الآية الاستدلال العقلي. والمراد من الهداية، الهداية الفطرية. والمراد من الكتاب الوحي الإلٰهيّ. وبعض الناس، دون استناد إلى أي من العقل، والفطرة، والوحي يبدون رأيهم في الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ الغفلة عن الظواهر الطبيعية ودورها في حياة البشر سبب موجب للمذمة والتقريع، ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾.

٢ ـ كل ما خلقه الله ﷻ كان لهدف ولكي يستفيد منها الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾.

٣ ـ الإنسان قادر على تسخير ما في السموات وما في الأرض، ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾.

٤ ـ النعم الإلٰهيّة وافرة وواسعة، ﴿وَأَسْبَغَ﴾؛ وتقع تحت يد العباد، ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ وهي متنوّعة، ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

٥ ـ لا ينبغي بنا أن نغفل عن النعم الإلٰهيّة الباطنة، بل علينا الالتفات إليها، ﴿أَلَمْ تَرَوْا... وَبَاطِنَةً﴾.

٦ ـ على الرغم من سعة النعم الإلٰهيّة ووفرتها فإن الإنسان يجادل في الله وهذا نوع من كفران النعمة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ... يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ الجدال المنطقي حسن، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، ولكن الجدال بغير علم، وبعيداً عن هدى الله ﷻ، وبما يخالف كتاب الله أمر مذموم[2]، ﴿يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) يقول الملّا صدرا في كتابه الأسفار: «تباً لفلسفة تخالف الكتاب والسنة».

٨ ـ العقل، والفطرة، والوحي، فقط دون غيرهم من مصادر المعرفة في الرؤية الإلٰهيّة الكونية، ﴿عِلْمٍ، هُدًى، كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

□ تدل كلمة «قيل» على شدة تعصب الكفار؛ لأنهم لا يقبلون كلمة الحق من أي قائل، بل يلجأون إلى الجدال والعناد مع أي قائل كان، ﴿قِيلَ لَهُمُ﴾.

التعاليم

١ ـ من نماذج الجدال بالباطل التعصب للمعتقدات الباطلة لدى الآباء، ﴿يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ... قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

٢ ـ يجب اتّباع الوحي وما أُنزل من عند الله ﷻ، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ من خلال دعوة المنكرين إلى الحق نلقي الحجة عليهم، ﴿قِيلَ لَهُمُ﴾.

٤ ـ أمام الإنسان طريقان:

أ ـ طريق الله: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

ب ـ طريق الشيطان: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

٥ ـ لعقائد الآباء تأثيرها على الأجيال القادمة، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

٦ ـ التقليد والتعصب الأعميان منهيٌّ عنهما، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ... أَوَلَوْ كَانَ﴾ (التعصب بغير حق يمنع الإنسان من قبول الحق).

٧ ـ للبيئة والمحيط، والمجتمع، والتاريخ تأثيرهم على اختيار الطريق، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ (على الإنسان أن يتبع العلم، والعقل، والوحي، لكي يحترز بها عن أي انحراف يقع في البيئة والمحيط، والمجتمع، والتاريخ).

٨ ـ الأساس هو منطق الحق، لا القوميّة ولا عقائد الآباء وعاداتهم، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ...﴾.

٩ ـ يعمل الشيطان باستمرار على دعوة الإنسان إلى الباطل، ﴿كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾.

١٠ ـ كل طريق عدا طريق الوحي ضلال، يفضي بالإنسان إلى عذاب جهنم، ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

١١ ـ عاقبة اتّباع المعتقدات الباطلة للآباء عذاب جهنم، ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- ورد في القرآن الكريم مائة وأربعين مرة كلمات تعود إلى مادة (سلم) نحو: سلام، إسلام، ومسلم.

- ورد في الآية السابقة أن طائفة من الناس كانوا يتبعون أهل الضلال ويوالونهم؛ وفي هذه الآية يتحدث عن المؤمنين بالله ﷻ الذين يسلمون وجههم إلى الله ويتبعون آياته. وفي الآية السابقة يتعرض لدعوة الشيطان للناس إلى عذاب السعير، وفي هذه الآية يشير إلى طريق النجاة من وساوس الشيطان وذلك من خلال التسليم لله ﷻ والإحسان.

- التسليم لغير الله فيه عبودية وأسر، وأما التسليم لله ففيه الحرّية والصواب والرشد. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾[1]، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقد صدر الأمر الإلٰهيّ للبشر بأن يسلموا ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾[3]، والنبي أيضاً

(١) سورة الجن: الآية ١٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٣.
(٣) سورة الحج: الآية ٣٤.

أمر بالتسليم لله ﷻ: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾[١]، وكذا في هذه الآية: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، ويقول ﷻ كذلك: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[٢]، وكذلك ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾[٣].

- ☐ يعتمد الإنسان للنجاة والوصول إلى ما يريد على العديد من الأمور: كالسلطة، والثروة، والمقام، والعائلة، والأصدقاء، النسب و...، ولكن هذه كلها سوف يأتي يوم لا يمكن الاعتماد عليها، وتفقد أي قدرة على التأثير. وما ينفع الإنسان في ذلك اليوم، ويبقى، ويكون سبباً في نجاته هو التسليم لله ﷻ والعمل الصالح الذي جاء به.

- ☐ ورد في الروايات أن الأنبياء المعصومين وأهل بيت النبي ﷺ، ومودتهم هي العروة الوثقى التي بها يكتب للإنسان النجاة: **«نحن العروة الوثقى»**[٤]، **«العروة الوثقى المودة لآل محمد»**[٥].

التعاليم

١ ـ التسلم لله ﷻ أمر اختياري ولا إكراه فيه ولا إجبار، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾.

٢ ـ التسليم لله ﷻ لا بدّ من أن يقترن بالعمل، ﴿يُسْلِمْ... وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

٣ ـ لا يكفي أن يكون الإنسان من المحسنين؛ بل لا بدّ من أن يكون ذلك عن إخلاص في العمل، ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُ... وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

٤ ـ عليكم ببيان المجردات عن طريق تمثيلها وتشبيهها بالمحسوسات والمادّيات، (العمل الخالص يشبه بالعروة الوثقى)، ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

٥ ـ اختر الطريق الذي تريده مع الالتفات إلى المعاد والتفكير بالمستقبل، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

٦ ـ الخلق كله يسير إلى هدف واحد وفي اتجاه واحد، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٢.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٥
(٤) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦٠.
(٥) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٨٥.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

- تنهى هذه الآية النبي ﷺ عن الحزن بسبب كفر بعض الناس وعدم إيمانهم، وهذا يدل على أمور منها:

أ ـ إنهم لا قَدْرَ لهم بنحو يستدعي أن يحزن النبي ﷺ على كفرهم.

ب ـ الحزن على كفرهم قد يعيقك عن القيام بالأعمال الأخرى.

ج ـ كفرهم لن يضرك شيئاً.

د ـ إنك لم تقصر في وعظهم ودعوتهم فلا تقلق عليهم.

هـ ـ لأن مرجع الكفّار إلينا، ولا طريق لهم للفرار فلا داعي للحزن.

- المستفاد من تقديم كلمة «إلينا» على كلمة «مرجعهم» أن المرجع فقط إليه. والمستفاد من كلمة «مرجع» أنه المبدأ أيضاً؛ لأن «المرجع» بمعنى رجوع الشيء إلى مبدئه. مضافاً إلى أن جملة «إلينا مرجعهم» هي جملة اسمية، وهي تدل على حتميّة المعاد.

التعاليم

١ ـ المقارنة بين المحسن والمسيء باب للمعرفة وللاختيار، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ... وَمَن كَفَرَ﴾.

٢ ـ النبي ﷺ حريص على الناس جميعاً؛ لذا كان يشعر بالأذى من كفر بعض الناس، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾.

٣ ـ الأنبياء يحتاجون أيضاً إلى ما يسليهم ويعزيهم، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾.

٤ ـ مهمة أئمة الدين هي إرشاد الناس لا الوصول إلى نتيجة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾.

٥ ـ كفر الناس له تأثيره على مصيرهم هم، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

٦ ـ لا ينبغي للكافر أن يسرّ لأن مرجعه إلى الله ﷻ، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

٧ ـ مرجع الإنسان ومبدؤه إلى الله ﷻ فقط، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

٨ ـ أمران يبعثان على سعة الصدر ورفع حالة الحزن لدى المؤمنين من انحراف الكفار: أحدهما: استحضار علم الله ﷻ والآخر استحضار المعاد، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ... عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (فلا داعي للحزن بعد أن علمنا أن كل شيء يرجع إلى الله ﷻ، وهو بكل شيء عليم).

٩ ـ يواجه الإنسان في يوم القيامة تقريراً عن كل عمل قام به، ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾.

١٠ ـ الله ﷻ عليم بالنوايا وبما يبعث الإنسان على الفعل، وهو ما سوف يظهره لهم في يوم القيامة، ﴿فَنُنَبِّئُهُم... إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

١١ ـ تذكر حساب يوم القيامة قد يكون سبباً لمنع الإصرار على الكفر، ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾.

١٢ ـ لا تغرّنكم النعم الدنيوية؛ لأنها أمام النعم الأخروية في غاية القلة، ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾.

١٣ ـ حساب قيمة العمل لا بدّ من أن يكون بالنظر إلى عاقبته، ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

١٤ ـ كفر الكفار اليوم اختياري، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، ولكن دخولهم إلى جهنم غداً إجباري، ﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾.

١٥ ـ النعم المادّية ليست سبباً للسعادة، ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ
قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات

❑ ورد ما يشبه هذا التعبير في مواطن أخرى من القرآن الكريم، من ذلك الآيات:

٦١ و٦٣ من سورة العنكبوت، و٣٨ من سورة الزخرف، والتي تدل على أن المشركين لم ينكروا الخالقية لله ﷻ، بل كان شركهم في عبادة الأصنام ورجائهم لشفاعتها، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1].

□ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله ﷻ خالقه، فذلك قوله ﷻ**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾»[2].

التعاليم

١ ـ لا يخفى حتى على المشركين أن الله هو الخالق. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ...لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ يقر المشركون، ضمناً، بانحرافهم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم... لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ الخلق كله من عند الله ﷻ، فالحمد له وحده، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن يكون الحمد باللسان، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٥ ـ انحراف أهل الشرك يعود إلى جهلهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ الله ﷻ غني عن العالمين، في الخلق وفي التدبير، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ... هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾.

٢ ـ الله ﷻ وحده هو الخالق والمالك للمخلوقات، ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وهو وحده الغني الذي يستحق الحمد والثناء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

(٢) تفسير نور الثقلين؛ والشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٣٠.

٣ ـ الأمر بحمد الله ﷻ والثناء عليه في الآية السابقة لا لحاجة منه إلى ذلك، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ... هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية ١٠٩ من سورة الكهف قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.
- لعل المراد من الأبحر السبعة هو الكثرة، ولا خصوصية للعدد؛ أي لو أنّ مياه البحار تحوّلت إلى حبر وكُتِبت بها كلمات الله لنفدت قبل أن تنفد كلماته سبحانه.

التعاليم

١ ـ دين الأنبياء ﷺ يخرج بالإنسان من ضيق الأفق والرؤية إلى عالم رحب، ومطلق، ولا نهاية له، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا... مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

٢ ـ الكلمات الإلٰهيّة لا تقبل العد، ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ما هي كلمة الله؟

١ ـ النعم الإلٰهيّة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ...﴾(١).

٢ ـ السنن الإلٰهيّة: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾(٢)، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾(٣).

٣ ـ الخلق الخاص من الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾(٤).

---

(١) سورة الكهف: الآية١٠٩.
(٢) سورة الصافات: الآيتان ١٧١ و١٧٢.
(٣) سورة الشورى: الآية ٢١.
(٤) سورة النساء: الآية ١٧١.

٤ ـ الابتلاءات التي يراد منها اختبار الإنسان: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾[١].

٥ ـ الآيات الإلهيّة: ففي أمر مريم نقرأ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾[٢].

٦ ـ أسباب انتصار الحق على الباطل: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٣].

والمستفاد من ملاحظة مجموع هذه الأمور أن المراد من «الكلمة» ليس مجرد لفظ، بل المراد السنن، والمخلوقات، والإرادة واللطف الإلهيين الذين يظهران في خلقه.

وبناء عليه فإن جميع الأقلام والبحار لا يمكنها أن تكتب كلمات الله ﷻ، أي لا يمكن كتابة ما خلق الله ولا كتابه الألطاف الإلهيّة والسنن الربانية على مر التاريخ. (والله العالم).

- ورد في رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«نحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى»**[٤]. نعم فأولياء الله هم واسطة في الفيض من عند الله ﷻ، وكل لطف وكمال يصل عن طريقهم.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

- التشكيك في المعاد يرجع في الأساس إلى أحد أمور ثلاثة: تارة إلى أنه كيف يمكن أن يعود الناس إلى الحياة بعد هذه المدة الطويلة من الموت، وثانية، بأنه كيف يمكن للأموات أن يعودوا إلى الحياة بعد أن أصبحوا رميماً وضلوا في الأرض، وثالثة، بأنه من الذي يمكن أن يحيط بأعمال الناس جميعاً ونواياهم؟

وفي هذه الآية جواب واحد في جملة واحدة على هذه الشبهات الثلاث،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٧.
(٤) تفسير نور الثقلين، ذيل الآية.

فالله ﷻ يقول إنّ خلق الجميع هو كخلق نفس واحدة ولا تأثير للزمان في ذلك، وهو الذي يعلم بكل ما تنطقون به، وهو البصير بكم.

التعاليم

١ ـ لا تأثير للزمان، أو المكان، أو الكم والعدد، أو الظهور والخفاء على سعة العلم والقدرة عند الله ﷻ، ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

- طول الليل والنهار وقصرهما، وبشكل تدريجي، له تأثيره على نمو بعض المخلوقات التي تحتاج إلى ظلمة أو نور أكثر.
- تعرضت هذه الآية لطول الليل والنهار وقصرهما، وتسخير الشمس والقمر من قبل الله ﷻ، ثم تعرضت لحركة كل منهما لمدة معيّنة. وأما في آخر الآية فتذكّر بأن الله ﷻ عليم بكل ما يقوم به هذا الإنسان من فعل، أي إن الهدف من عالم الوجود وما يجري فيه من متغيّرات هو عمل الإنسان، فعلى الإنسان أن يعمل لكي يكون في فعله رضا الله ﷻ.
- غالب الخطابات الواردة في القرآن الكريم لشخص النبي ﷺ لا تنحصر به، بل تشمل الناس جميعاً، ولذا ورد في القرآن الخطاب للنبي ﷺ بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[١]، مع أننا نعلم أن النبي ﷺ قد فقد والديه وهو حدث السن. فهما لم يكونا على قيد الحياة حتى يبلغا الكبر عند النبي. وكذلك الحال في هذه الآية عندما وجهت الخطاب بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، إلى النبي ﷺ ولكن في آخر الآية ورد قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وهذا يدل على شمولها للناس جميعاً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

التعاليم

١ ـ من طرق معرفة الله ﷻ التأمّل في الطبيعة وأسرار عالم الوجود، ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾.

٢ ـ طول الليل والنهار وقصرهما ليس صدفة، بل هو من فعل الله وضمن تخطيط إلهي، ﴿يُولِجُ...﴾.

٣ ـ الشمس لها حركتها أيضاً، ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾.

٤ ـ لحركات الأجرام أمد محدد، ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

٥ ـ متغيّرات الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر كله لأجل أن يستفيد منه هذا الإنسان، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، (لذا ينبغي أن يكون في فعل الإنسان وسلوكه نفع وفائدة أيضاً).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- تعرضت الآيات من ٢٣ إلى الآية ٣٠ لعشر صفات من الصفات الإلٰهيّة وهي: الغني، الحميد، العزيز، الحكيم، السميع، البصير، الخبير، الحق، العليّ، الكبير، وفي كل آية إشارة إلى فائدة، ففي الآية ٢٥ حديث عن صفة الخالقية لله ﷻ، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾، وفي الآية ٢٧ حديث عن النعم الإلٰهيّة، ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾، وفي الآية ٢٨ حديث عن القدرة الإلٰهيّة المطلقة والتي تستبين في المبدأ والمعاد: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾.

- الله ﷻ، وما كان من عند الله، وما يرتبط بالله ﷻ هو الحق فقط، وكل ما عداه وما عدا ما هو من عنده فهو باطل ومصيره الزوال والفناء.

التعاليم

١ ـ منشأ كافة الأفعال والصفات الإلٰهيّة في الخلق ثابت ودائم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

٢ ـ الحق والباطل ملاكا الاختيار، لا التقليد، أو الدعاية، أو الطمع، أو التهديد، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

٣ ـ ينبغي الحديث بلهجة حاسمة وواضحة عند بيان الحقائق، (تكررت في هذه الآية ثلاث مرات كلمة «أنّ» وفي ذلك دلالة على التأكيد).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

- حركة السفن في الماء نتيجة لمجموعة من النعم الإلٰهيّة، من ذلك: حركة الرياح، ووزن الماء وقوانين ضغط الماء هي عوامل حمل الماء للأجسام. مضافاً إلى أن البحار هي طرق طبيعية لا كلفة مادّية فيها على الإنسان وهي للناس كافة، وتصل أجزاء الأرض بعضها ببعضها الآخر، وعلى الرغم من التطوّر الكبير في النقل الجوي ولكن غالب البضائع لا تزال تنقل عن طريق البحر.
- ورد الصبر مع الشكر في مواطن عِدّة من القرآن الكريم، ولعل سرّ ذلك يعود إلى أنّ ما يجري في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان إما أن يكون مطابقاً للمراد فيستحق الشكر، وإما أن يكون مخالفاً لميل الإنسان فلا بد من الصبر، فعلى الإنسان أن يكون دائماً في حالة شكر أو في حالة صبر وإلا فهو في حالة كفران وغفلة.

التعاليم

١ ـ علينا أن نتأمّل في آيات الله في كلٍّ من الأرض والسماء، (فالآيات السابقة أشارت إلى السماء، والقمر، والشمس، وهذه الآية تشير إلى الأرض، والبحر، والفلك)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ...﴾.

٢ ـ على الداعية إلى الله أن يستفيد في دعوته من العلوم والمعارف الطبيعيّة التي هي في متناول أيدي الناس، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ...﴾.

٣ ـ لا ينبغي أن ننظر إلى مظاهر الخلقة نظرة بسيطة، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فهي آيات الله ﷻ، ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ...﴾.

٤ ـ حركة السفن في البحر هي من النعم الإلٰهيّة التي تحتوي على رموز وأسرار، ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ إذا أردنا أن نستجلي مظاهر القدرة الإلٰهيّة وأن نتنعم بالكثير من النعم الإلٰهيّة لا بدّ من أن نتملك الصبر الكبير، (الصبار: كثير الصبر)، ولا بدّ من أن نسعى لكي نستفيد من العطاء الإلٰهيّ بأفضل نحو ممكن مع الشكر المستمر، (شكور: كثير الشكر).

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

- «الظُلل» جمع «الظُلة» بمعنى الغيم التي تجعل ظلاً، وتستخدم غالباً في الموارد التي لا يكون فيها ما يسرّ. و«المقتصد» بمعنى «المعتدل» في الفعل، والموفي بالعهد.
- كلمة «ختار» صيغة مبالغة بمعنى من يكثر منه نقض العهود، ولما كان المشركون والعصاة يلجأون إلى الله ﷻ في الشدائد ويعطون عهدهم وميثاقهم، فإذا زالت الشدائد عنهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه، وإذ تكرر ذلك منهم أطلق عليهم صفة «ختار».
- إيمان جماعة من الناس يكون دائمياً وثابتاً، ولكن إيمان جماعة آخرين يكون مرحلياً ومؤقتاً، أي فقط عندما تنقطع الأسباب والوسائل المادّية فإنهم يتجهون إلى الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ الإنسان يملك معرفة فطرية بالله ﷻ، ولكن الوسائل والأسباب المادّية هي

كالحجب على الفطرة، والشدائد والمصائب تزيل هذه الحجب، ﴿غَشِيَهُم... دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾.

٢ ـ النعم المادّية سبب للغفلة، وأما الأخطار والشدائد فهي عامل تضرع وتوجه، وخلوص، وتحد من الغرور، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم... دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾.

٣ ـ من طرق الوصول إلى الإخلاص قطع الأمل عن الأسباب العادية، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

٤ ـ الغفلة أمر عارض على أولياء الله ﷻ ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾[1]، ولكن لدى بعض الناس يكون الإخلاص أمر عارضاً، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم... مُخْلِصِينَ﴾.

٥ ـ الدعاء مع الإخلاص متوقّع الإجابة، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ... نَجَّىٰهُمْ﴾.

٦ ـ الإنسان مالك لإرادته وحر في اختياره، ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (فبعضٌ بعد زوال الشدائد يبقى في طريق الحق، وبعض يرجع إلى طرق الشرك، والكفر، والانحراف، وهذا دليل حرّية الإنسان واختياره).

٧ ـ الاقتصاد والاعتدال من لوازم الإيمان، لم يقل: «فمنهم مؤمن»، بل قال: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾.

٨ ـ نقض العهود وعدم الشكر يجران الإنسان إلى الكفر، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

الإخلاص

الإخلاص هو الإتيان بالعمل لله ﷻ وحده دون أن يُقصد غيره به، فلو قُصِد غيره سبحانه بالعمل سقط عن مرتبة الإخلاص فبطل أو قارب البطلان.

ـ إذا كان اختيارنا لمكان الصلاة لغير الله كما لو وقفت للصلاة في مكان يراك فيه الناس أو تكون تحت مرأى كاميرا التسجيل.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

- إذا كان اختيارنا لزمان العبادة لغير الله ﷻ كما لو كانت صلاتك في أول الوقت لكي تجذب الناس إليك.
- إذا كان شكلك والهيئة التي تأتي بها بالصلاة لغير الله ﷻ، كلبس العباءة، وتنكيس الرأس، تغيير الصوت؛ لأجل تحصيل رضا غير الله ﷻ.

فالصلاة تقع باطلة في جميع هذه الموارد، وقد وقعتَ في الإثم بسبب الرياء.

وبعبارة أخرى: الإخلاص هو أن يتجاهل الإنسان كافة الميول والرغبات النفسانية، والطواغيت، والاتجاهات السياسيّة، وما يريده فلان أو فلان، ويكون نظره إلى طاعة الله ﷻ وأداء التكليف فقط لا غير.

نعم، الوصول إلى الإخلاص أمر غير ممكن إلا من خلال التوسل بالمدد الإلٰهيّ. وقد قال تعالى في الآية ٣٢ من سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

سبل الوصول إلى الإخلاص

١ ـ تذكر سعة العلم والقدرة الإلٰهيّين

إذا علمنا أن العزة كلها، القدرة، الرزق بيد الله ﷻ فقط، فلن نتجه إلى غيره لكسب العزة، القدرة والرزق.

إذا علمنا أنّ الموجودات إنما خلقت بإرادة من الله ﷻ، وأنها جميعاً تفنى بإرادته. وإذا علمنا أنه هو سبب الوجود وسبب الفناء، أي هو الذي جعل الشجرة تسقط رطباً جنياً على مريم، وجعل النار المحرقة برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام؛ فلن نتوسل إلا به ﷻ.

وقد دعت المئات من آيات القرآن الكريم وقصصه الناس إلى استحضار سعة القدرة الإلٰهيّة، لعلهم ينصرفون عن غيره ويتوجّهون بإخلاص إليه.

٢ ـ الالتفات إلى بركات الإخلاص

ليس للإنسان المخلص من هدف سوى الوصول إلى رضا الله ﷻ، ومن

هدفه رضا الله فقط لا ينظر إلى رضا فلان أو لوم فلان، ولا يخاف الوحدة، ولا يتراجع في طريقه، ولا يندم على ما يقوم به، ولا يزعجه تجاهل الناس، ولا طريق لليأس إليه، ولا يبالي ما دام في طريق الحق من كثرة سالكيه أو قلتهم.

وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؛ ولذا عزم الإمام الحسين عليه السلام على الذهاب إلى كربلاء؛ لأن هدفه القيام بتكليفه سواء كتبت له الشهادة أم كتب له النصر.

٣ ـ الالتفات إلى الألطاف الإلٰهيّة

الطريق الآخر الذي يجعلنا أقرب إلى الإخلاص هو الالتفات إلى الألطاف الإلٰهيّة. فلا ننسى أننا لم نكن شيئاً مذكوراً، ثم من التراب والغذاء وجدت النطفة وبقينا في ظلمات الأرحام، لنطوي مراحل الكمال مرحلة بعد أخرى، إلى أن خرجنا إلى الدنيا بشراً سوياً. ولم نكن نعلم شيئاً سوى الارتضاع من ثدي الأم، وفيه غذاء كامل لكل ما يحتاج إليه الجسم، مع عطف الأم وحنانها، والتي كانت تجعل ليلها ونهارها في خدمة أطفالها. فهل يسمح وجدان يقظ لأي إنسان بعد وصوله إلى هذه النعم أن يلجأ إلى غير المنعم عليه بها؟ فلماذا نبيع أنفسنا إلى من لا حق له علينا ولم يلطف بنا أبداً.

٤ ـ الالتفات إلى إرادة الله عز وجل

إذا أدركنا أن قلوب الناس هي بيد الله عز وجل وهو مقلّب القلوب، فإننا لن نأتي بعمل إلا لله عز وجل، وكلما احتجنا إلى معونة من الناس فإننا نسأل الله عز وجل أن يجعل لنا في قلوب الناس محبة ومكانة لكي يجعل الناس معنا.

فالنبي إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة تحت شمس الحجاز الحارة كان يسأل الله عز وجل أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذرّيته. ومضت الآلاف من السنين وفي كل سنة تجد ملايين العشاق تطوف حول الكعبة المشرفة.

فكم من الناس يوقع نفسه في الضيق والشدة لكي يحصل على رضا الناس ومحبتهم؛ ولكنه لا ينال شيئاً من ذلك، ومن الناس من لا ينظر إلى الناس،

المادّيات، الشهرة، النعم، والجاه، والمقام، ولكن قلبه تعلّق بالله ﷻ، فجاء بالعمل مخلصاً لله ﷻ، وترى له من المكانة والعظمة والدرجة في قلوب الناس، وعليه فإن الهدف ينبغي أن يكون تحصيل رضا الله ﷻ، وأما رضا الناس فإنه يطلب من الله ﷻ.

٥ ـ الالتفات إلى بقاء العمل

إن العمل الذي يؤتى به لوجه الله يبقى، وأما إذا كان لغير الله ﷻ فإنه سرعان ما يفنى ويزول؛ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[1].

٦ ـ مقارنة الثواب

ثواب الناس مهما عظم يكون محدوداً، فلو أراد الناس أن يجازوا نبياً من أنبياء الله ﷻ، فقدموا له أفضل الثياب، وأفضل الطعام، وأفضل البيوت، فإن هذا كله سوف يكون مؤقتاً ومحدوداً، ولذا تجد هذا كله حتى عند من لا يكون أهلاً لذلك، فتجد أن من لا يستحق يعيش ويتنعم بأنواع من الزينة، والقصور، والبساتين. وأما لو كان العمل لله ﷻ فإن ثواب ذلك لا حد له ولا نهاية، وهو مادّي ومعنوي.

ولو أننا التزمنا جانب التفكير الصحيح، فإن العقل لا يجيز لنا أن نستبدل الثواب الباقي وغير المحدود بالثواب الفاني والمحدود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

- عبارة «لا يجزى» تصدق على الثواب والعقاب، كما تأتي بمعنى الكفاية والكفالة، والمراد منها هنا المعنى الثاني. «الغرور» صيغة مبالغة بمعنى كثير الغرور ومصداقه الواضح هو الشيطان، ويطلق على كل أحد أو شيء يكون سبباً لاغترار الإنسان.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٦.

التعاليم

١ ـ لا بد لنا جميعاً من أن نتبع طاعة الله ﷻ، وأن نحترز عن أنواع الانحراف العقدي، والأخلاقي، والعملي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

٢ ـ التقوى هي أفضل زاد للإنسان يوم لا ينصر أحد أحداً حتى الوالد ولده والولد والده، ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ...﴾.

٣ ـ خطر القيامة عظيم؛ لذا لا بد من استمرار الإنذار به، (ورد في الآية أمران ونهيان: ﴿ٱتَّقُواْ... وَٱخۡشَوۡاْ... فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ... وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾).

٤ ـ يوم القيامة يوم عظيم، (كلمة «يوماً» وردت نكرة ومع التنوين، وهذا شاهد على العظمة) ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾.

٥ ـ كل إنسان مسؤول عن عمله في يوم القيامة، ولا أحد يحمل وزر غيره، ﴿لَّا يَجۡزِي... شَيۡـًٔا﴾.

٦ ـ الدنيا والشيطان هما سببا غفلة الإنسان عن القيامة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

٧ ـ لا ينفع الحسب ولا النسب في يوم القيامة، ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ... وَلَا مَوۡلُودٌ﴾ (عندما لا ينصر الوالدُ المولودَ ولا العكس؛ فإن حساب الآخرين يكون بيّناً).

٨ ـ الخوف من يوم القيامة يجعل الإنسان في حصن من الاغترار بالدنيا، ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا... وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

٩ ـ قد يستفيد الشيطان في بعض الأوقات حتى من أكثر الأمور قداسة لأجل إيقاع الناس، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

القيامة يوم الوحدة

الله ﷻ حكيم والحكيم لا يفنى صنعه. والدنيا بيت يخربه مهندسه ليبني ما هو أفضل منه، ولذا كان الموت وطبقاً للروايات تغييراً للمنزل، ومقدمة للتكامل والحياة الأبدية.

مضافاً إلى العدالة الإلٰهيّة فإن ضرورة وجود القيامة ترجع إلى الإنسان أيضاً،

لأننا نجد أن المحسن والمسيء لا ينالا جزاءهما في هذه الدنيا، ولذا لا بدّ من أن يجعل الله ﷻ وهو العَدِل يوماً لينال كل منهما ثوابه وعقابه.

إننا وإن شهدنا بعض أنواع الثواب والعقاب في هذه الدنيا، ولكن بعض الأعمال لا يصل ثوابها ولا عقابها إلا في يوم القيامة، لأن بعض أنواعها قد لا يكون له وجود في هذه الدنيا، فمن استشهد في سبيل الله ﷻ كيف ينال ثوابه في هذه الدنيا وقد غادرها، ومن قتل الكثير من الناس في هذه الدنيا لا يمكن أن يقتل إلا مرة واحدة في هذه الدنيا.

مضافاً إلى أن الثواب والعقاب في هذه الدنيا سوف ينال كل من يرتبط بمن يُجازى بهما، مع أنه قد لا يكون مقصراً، وهذا يعني أن العقاب سوف ينال غير مستحقه.

كما إن جمع ذرات الموتى بعد ضلالها في الأرض وانتشارها ليس أمراً مستحيلاً، فكما إن زبدة اللبن تتجمع عندما يخض السقاء، فكذلك الأرض عندما تخض خضاً تتجمع أجزاء الموتى جميعها في مكان واحد، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[(١)] هذا مع قطع النظر عن أننا قد خلقنا من خلية واحدة، وهذه الخلية قد تكونت من ذرات التراب التي استحالت قمحاً أو أرزاً أو خضرة أو غير ذلك فكانت غذاء للوالدين، ثم صار الغذاء نطفة، إلى أن صار إنسان كاملاً.

وما يلفت النظر في هذه الآية تلك الصورة الغريبة بعدم نصرة الوالد لولده وعجزه عن فعل شيء له. وقد تعرض القرآن الكريم في موارد أخرى، لبعض الصور، وجَمْعُ هذه الصور يوضح لنا كيف أن الإنسان سوف يعيش الغربة، والذلة، والوحشة:

- ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[(٢)].
- ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[(٣)].

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ١ ـ ٢.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٨.
(٣) سورة المعارج: الآية ١٠.

- ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[(١)].
- ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[(٢)].
- ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[(٣)].

فذلك اليوم هو يوم الغربة والوحشة والوحدة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات

- العلم بساعة الموت وساعة القيامة يختص بالله ﷻ. فالإنسان إذا علم ساعة موته أو ساعة القيامة وكانت بعيدة فإنه سوف يصاب بالغرور، فيغرق في الذنوب، ولو علم بساعة القيامة وكانت قريبة فسوف يصاب بالوحشة ولا ينشط في العمل، ولذا كان على الإنسان ما دام لا يعلم ساعة موته ولا ساعة القيامة أن يبقى على استعداد دائم.
- العلم بما في الأرحام مما خص الله ﷻ به نفسه. فالأجهزة الحديثة والمختبرات وإن أمكنها اليوم تحديد نوع الجنين، وأنه ذكر أو أنثى، ولكن علم الله ﷻ أزلي غير محدود؛ مضافاً إلى أن قوله: يعلم ما في الأرحام لا يختص بجنس الجنين، وأنه ذكر أو أنثى، بل يتعلق بالإمكانات والقابليات وعشرات المسائل الأخرى، التي لا يمكن معرفتها بأي جهاز أو اختبار بشري.
- ورد عن الإمام علي ﷺ: «**عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود**»[(٤)].
- ورد عن الإمام علي ﷺ في تفسير الآية: «**من قدم إلى قدم**»[(٥)] أي إن الإنسان مشى خطوة فإنه لا يدري الخطوة الأخرى إلى أين تكون.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٦.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٠.
(٥) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٣٩.

التعاليم

١ ـ العلم البشريّ محدود ولا يمكن مقارنته بالعلم الإلٰهيّ غير المتناهي، ﴿يَعْلَمُ... وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾.

٢ ـ لا بد من التخطيط والتنظيم وحسن التدبير في إدارة الأمور؛ ولكن ثمة قدرة أعلى لا يعلم الإنسان ما يجري له في غده، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٣ ـ لا يعلم أحد أين ولا متى يموت، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (وقد ورد في الروايات أن بعض أولياء الله ﷺ كان يعلم مكان موته أو شهادته وزمانهما، ولكن ذلك علم علمه الله إياه ولم يَعْلَمْهُ على نحو الاستقلال).

٤ ـ لا ينبغي الاعتماد على قارئ الحظ أو قارئ الكف أو أصحاب النبوءات فيما يرتبط بمستقبلنا، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٥ ـ الإنسان الذي لا يعلم ساعة موته، ولا ما يحدث له في غده، لماذا يصاب بالغرور؟ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ...﴾.

٦ ـ على الإنسان أن يبقى على الدوام مستعداً وحاضراً للمساءلة، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

اللهم اجعل القرآن لنا نوراً، وأملاً، ومنطقاً، وأساساً في تفكيرنا، وموعظة لنا، وشفاءً وسكينة ونجاة لنا.

آمين رب العالمين

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ السَّجْدَةِ

السورة: ٣٢ الجزء: ٢١

عدد الآيات: ٣٠

ملامح سورة السجدة

سورة السجدة مكية عدد آياتها ثلاثون. وهي إحدى السور التسعة والعشرون التي تبدأ بالحروف المقطّعة التي يأتي بعدها ذكر عظمة القرآن الكريم.

وهي إحدى السور الأربعة التي فيها سجدة واجبة. وقد ورد في الحديث المنقول في تفسير مجمع البيان أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة قبل النوم مع سورة الملك.

وكسائر السور المكية تتعرض هذه السورة لما يتعلق بالمبدأ والمعاد، ومصير الكفار لتقوية إيمان المؤمنين وتثبيتهم في مواجهة ضغوط الكفار.

ورد في الآية الخامسة عشر منها ذكر صفة المؤمنين من الركوع والسجود والناس نيام، وتجب السجدة عند قراءة هذه الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

إشارات

- تحدثنا مفصلاً في بداية سورة البقرة عن الحروف المقطّعة؛ وقد ورد في بعض الروايات أن الحروف المقطعة هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم[1].

- **سؤال**: مع ملاحظة ما تعرض له الكتاب الكريم من الشك والترديد ونسبة الافتراء والكذب إليه من قبل المنكرين فكيف تصف بعض الآيات هذا الكتاب بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؟

الجواب: الآية تتحدث عن أن حقانية القرآن وما فيه من معارف لا شك فيها ولا شبهة. ولا تتحدث الآية عن أن أحداً لم يحصل له الشك والترديد فيها. وقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى في الآية ٢٣: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾؛ وطبقاً لما يذكره صاحب تفسير في ظلال القرآن فإن الوردة الصناعية لا تصبح وردة طبيعية، لأن الوردة الطبيعية تشهد بنفسها على أنه لا شك في كونها طبيعية.

- ورد التأكيد في عددٍ من الآيات على أن القرآن من عند الله ﷻ من ذلك:

  - ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
  - ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].
  - ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3].
  - ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[4].

---

(١) تفاسير مجمع البيان ونور الثقلين.
(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٢.
(٣) سورة يس: الآية ٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ١.

- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1].
- ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2].
- ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3].
- ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[4].

نعم لقد نزل القرآن الكريم ممن بيده عالم الوجود، وكل شيء خاضع له، العزيز، الرحيم، الحكيم، العليم والحميد.

التعاليم

١ ـ لقد كان القرآن الكريم في عصر نزوله على صورة كتاب، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٢ ـ لا مجال للريب في القرآن الكريم؛ لأنه من ربّ العالمين، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣ ـ الربوبيّة الإلٰهيّة قضت بإرسال كتاب لا ريب فيه، ﴿تَنزِيلُ... مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٤ ـ كتاب التشريع منسجم مع كتاب التكوين، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥ ـ نزول الكتاب لما فيه من كمال وتربية بعالم الوجود بتمامه، ﴿رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

إشارات

□ «النذير» من «الإنذار» وتطلق على التخويف عن علم.

□ **سؤال**: مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[5]، فكيف تتحدث هذه الآية عن أن قوم النبي ﷺ ما أتاهم من نذير؟

---

(١) سورة غافر: الآية ٢.
(٢) سورة فصلت: الآية ٢.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢.
(٤) سورة طه: الآية ٤.
(٥) سورة فاطر: الآية ٢٤.

الجواب:

أ ـ قبل الإسلام لم يكن سكان الجزيرة العربيّة وأهل مكة أمة، بل كانوا فرقاً وجماعات مشتتة.

ب ـ المراد أنه قبلك لم يأتهم نبي بدعوة عظيمة وعلنية، لا أنه لم يأتهم نذير.

التعاليم

١ ـ لا مانع من نقل شبهات أهل الضلال والباطل إذا كان ذلك للرد عليهم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

٢ ـ تكذيب القرآن أسلوب يعتمده الكفار دائماً، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ولكن عليك قول الحق ولا تيأس من هداهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

٣ ـ ليس للكفار من منطق، ويستخدم هؤلاء سلاح الاتهام، ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

٤ ـ لا بد من السعي لنصرة الحق واتّباعه في مواجهة سعي الكفار لإضعاف الحق، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

٥ ـ الحق من عند الله، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

٦ ـ النبي الأكرم ﷺ محل عناية الله الخاصة، ﴿رَّبِّكَ﴾.

٧ ـ إنذار الناس من الأهداف الأساس لبعثة الأنبياء، ﴿لِتُنذِرَ﴾.

٨ ـ يجب على المبلّغ أن يطّلع على تاريخ مخاطبيه، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٩ ـ الإنذار يهدف إلى الهداية، ﴿لِتُنذِرَ... لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

١٠ ـ لا يكفي إنزال الكتاب وإرسال الرسول لتتحقق الهداية، بل لا بدّ من أن يتوافر في الإنسان الاستعداد للهدى، وأن يختار ذلك بنفسه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

إشارات

- تطلق كلمة «نهار» في اللغة العربيّة على ما يقابل الليل، وأما كلمة «يوم» فتطلق على مجموع الليل والنهار، وعلى جزء من الليل والنهار.
- على الرغم من قدرة الله ﷻ على خلق السموات والأرض في لحظة، فإنّ إرادته تعلقت بخلق الموجودات بشكل تدريجي. وتتحدث هذه الآية عن خلق السموات والأرض في ستة أيام.

التعاليم

١ ـ لنفي الشرك لا بد من الحديث عن القدرة الإلٰهيّة الأزلية وخلق السموات والأرض، ﴿خَلَقَ... ٱسْتَوَىٰ... مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾.

٢ ـ لا انفصال بين خلق العالم وتدبيره، ﴿خَلَقَ... ٱسْتَوَىٰ﴾.

٣ ـ العرش هو محل تدبير العالم وإدارته، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

٤ ـ من طرق الإنذار أن يبين للناس أن الأسباب المادّية والارتباط بها لا تأثير لها وهي هباء، ﴿لِتُنذِرَ... مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾.

٥ ـ التذكير بالنعم الإلٰهيّة من الأساليب المجدية في الإنذار، ﴿خَلَقَ... أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

٦ ـ الإنسان يدرك الحقائق بفطرته؛ ولكنه بحاجة إلى تذكير يخرجه عن الغفلة، ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

إشارات

- **سؤال:** ورد في الآية الرابعة من سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى

يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾. وفي هذه الآية ورد أن هذا اليوم هو بمقدار ألف سنة؟

الجواب:

أ ـ ورد في الحديث: إن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون، ثم تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[1].

ب ـ تتحدّث هذه الآية عن عروج الأمر، وتلك الآية تتحدث عن عروج الملائكة، فلعل عروج الأمر في يوم مقداره ألف سنة وليس هذا في يوم القيامة، وأما عروج الملائكة ففي يوم القيامة يكون بألف سنة.

التعاليم

١ ـ تُدار الأرض من السماء، فمنها ينزل التدبير وإليها يعرج الأمر، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ... يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾.

٢ ـ لا ينفصل التوحيد في الربوبيّة عن التوحيد في الخالقية، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ... يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾.

٣ ـ التدبير الإلٰهيّ دائم ومستمر وليس مرحلياً، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾.

٤ ـ كما إن الخلق كله منه وإليه يرجع، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ فكذلك تدبير الأمور منه وإليه، ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ... ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾

إشارات

❑ كلمة «سوّى» من «التسوية»، وهي بمعنى إيجاد التعادل، والتناسب، والابتعاد عن الإفراط أو التفريط.

---

(١) تفسير نمونه.

☐ العالم على نحوين: بيّن وغير بيّن؛ وأما عند الله ﷻ فلا شيء يخفى ولا يغيب.

التعاليم

١ ـ القوانين الحاكمة في هذا العالم تقوم على أساس العلم الإلٰهيّ غير المتناهي، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ... عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ (نعم، تدبير كل مجموعة وإدارتها يتوقف على العلم بها).

٢ ـ لا فرق بالنسبة إلى العلم الإلٰهيّ بين الغيب والشهادة، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٣ ـ القدرة الإلٰهيّة تكون مع الرحمة، ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٤ ـ كل خلق حسن، ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (حتى السم في الحية له أهميته، كاللعاب في فم الإنسان فإنه نعمة، ولكنّه متى خرج من الفم ووقع على شيء كان إهانة له).

٥ ـ كل شيء مخلوق هو من خلق الله ﷻ، ﴿كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾.

٦ ـ إفراد الإنسان بالذكر إلى جانب سائر المخلوقات دليل على الأهميّة والقيمة الخاصة لهذا الإنسان، ﴿كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ... خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

٧ ـ ما يصير نطفة ليس سوى سلالة (خلية) من ماء، ﴿سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ﴾.

٨ ـ جعل الله ﷻ من قطرة ماء مهين موجوداً شريفاً له قيمته، ﴿خَلۡقَ... مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾.

٩ ـ خلق آدم يختلف عن خلق بني آدم، ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ (خلق آدم كان من تراب ولكن خلق نسله كان من نطفة وماء).

١٠ ـ تلقّي الكمالات الإلٰهيّة لا بد فيه من الاستعداد والتعادل، (فأولاً يسوى الجسم، ثم تنفخ فيه الروح)، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾.

١١ ـ من علامات شرف الإنسان، نفخ الروح الإلٰهيّة فيه، ﴿مِن رُّوحِهِۦ﴾.

١٢ ـ خلق الإنسان الأول كان تدريجياً، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ... ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾.

١٣ ـ سعة دائرة نظر الإنسان أوسع من دائرة سمعه، (لا يمكن للإنسان أن يستمع إلى صوتين في وقت واحد؛ ولكنه يمكنه أن ينظر إلى أكثر من شيء في وقت واحد، مضافاً إلى أن الأذن لا يمكنها إلّا أن تسمع صوت الأشياء والموجودات، وأما العين فيمكنها أن تدرك مكانها، لونها، حجمها، حركتها وسكونها)، (كلمة «السمع» وردت مفردة، وكلمة «الأبصار» وردت بصيغة الجمع).

١٤ ـ الأكثر أهميّة في أعضاء الجسم ما يكون وسيلة للمعرفة، (لذا لم تتعرض الآية إلا للأذن، والعين، والقلب)، ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾.

١٥ ـ استذكار مراحل تكوّن الإنسان طريقٌ لمعرفة النفس ومعرفة الله وشكره، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

١٦ ـ على الإنسان أن يكون شكوراً، وإلا كان مستحقاً للذم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

□ تحدثت الآية السابقة عما أعطاه الله ﷻ لهذا الإنسان من أدوات للمعرفة (السمع، البصر، والأفئدة)، ثم تحدثت عن أن قليلاً منهم ما يشكرون. وتتحدث هذه الآية عن بعض نماذج عدم الشكر من الإنسان ومنها إنكاره القيامة مع كل ما يراه من سعة القدرة الإلٰهيّة.

التعاليم

١ ـ احفظوا إيمان المؤمنين بنقل شبهات أهل الكفر والرد الحاسم عليها، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾.

٢ ـ ما كان يتردد فيه منكرو المعاد هو المعاد الجسماني، ﴿ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾.

٣ ـ ارفع شكّك وتردّدك بالأدلة الواضحة والبينة، ولا الشك يجرّك إلى الخراب، ﴿أَءِذَا... بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾.

٤ ـ الكفار أيضاً يخضعون لتدبير الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات

❑ كلمة «توفى» تعني استعادة الشيء تاماً. ونظراً إلى كون جسد الإنسان يبقى في مكانه؛ فالمراد من الاستيفاء التام هو استيفاء الروح. والتي هي حقيقة هذا الإنسان. ولو أنها ذهبت لذهب الإنسان بتمامه. وبناء عليه فالروح هي التي لها الأصالة، والاستقلال، والبقاء. وهذه الروح هي التي تعاد إلى الجسم وبها تعود الحياة إليه.

❑ للقرآن الكريم تعابير ثلاث عن قبض الروح:

أ ـ ففي موضع يقول: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(١).

ب ـ في الآية المذكورة أعلاه ذكر أن الموكل إليه قبض الروح هو ملك الموت.

ج ـ ويقول تعالى في الآية ٤٢ من سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾.

وربّما يمكن الجمع بين هذه الآيات على النحو الآتي: إنّ الملائكة تقبض الروح وتسلمها إلى ملك الموت الذي بدوره يسلمها إلى الله ﷻ. وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام: قد يموت في الدنيا في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه الا الله ﷻ، فكيف هذا؟ فقال: «**إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة، له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاها الله تعالى من ملك الموت**»(٢).

---

(١) سورة النحل: الآية ٢٨. (٢) تفسير نور الثقلين.

ولعلّ اختلاف درجات الناس هو السبب في اختلاف قبض الأرواح، فعامة الناس تقبض أرواحهم الملائكة، وأهل الإيمان يقبض ملك الموت أرواحهم، وأما أولياء الله ﷻ فالله يتولى قبض أرواحهم.

التعاليم

١ ـ لا تتركوا الشبهات دون رد، ﴿وَقَالُوٓا۟... قُلْ...﴾.

٢ ـ حقيقة الإنسان بروحه، هذه الروح التي إن قبضت فكأن الإنسان قد قبض، ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾.

٣ ـ الملائكة لا يخيبون في أداء ما أمروا به، ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

٤ ـ موت الإنسان ودفنه، خطوة على طريق عودته إلى الحياة، كالبذرة التي تدفن لتصبح نباتاً، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

٥ ـ الله ﷻ الذي يتوفى الأنفس هو الذي يعيدها جميعاً بإرادة واحدة، ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

□ تتحدث هذه الآية عن طلب المجرمين العودة إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، ولكن الرد عليهم، كما في الآية ٢٨ من سورة الأنعام، هو: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ عناد المجرمين اليوم عاقبته أن تكون رؤوسهم منكوسة في يوم القيامة، وهذا موجب لهدوء خاطر النبي والمؤمنين، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾.

٢ ـ يوم القيامة يوم ندم المجرمين وتنكيس رؤوسهم، ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾.

٣ ـ يوم القيامة، يوم الاعتراف والإقرار، ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾.
٤ ـ يوم القيامة يوم انكشاف الحقائق، والإبصار، والسمع، (فمن سدّ سمعه وأغلق بصره عن الاستماع إلى الحقّ اليوم، سوف يقول غداً: ﴿أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾.
٥ ـ العمل الصالح في هذه الدنيا هو السبب الوحيد للنجاة في يوم القيامة، ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾.
٦ ـ سبب ارتكاب الذنوب التكذيب بيوم القيامة، (فهناك يقولون: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ ولكن ما نفع اليقين في ذلك اليوم)؟

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ الفعل الإلٰهيّ خاضع لمشيئته وإرادته، ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا...﴾.
٢ ـ الهدى لا بدّ من أن يكون عن اختيار لا عن إجبار، ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا...﴾.
٣ ـ يختلف الناس في كيفيّة اهتدائهم، فلكل شخص هدايته الخاصة به، ﴿كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾.
٤ ـ لا تمنع سعة الرحمة من تحقّق العذاب، ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾.
٥ ـ الجن كالإنسان محل للتكليف والرحمة والعذاب الإلٰهيّ، ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

□ تعرضت الآيتان السابقتان لطلب المجرمين العودة إلى هذه الدنيا، ولعل هذه الآية في مقام الرد على هذا الطلب.

❑ لا معنى لنسبة النسيان إلى الله ﷻ، ولذا فالمراد من قوله: نسينا، أننا في يوم القيامة نعامل الذين نسوا القيامة معاملة المنسيين.

التعاليم

١ ـ بينوا سبب نزول العقاب بالمجرمين، ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾.
٢ ـ العقاب الإلهيّ عادل ومتماثل، ﴿نَسِيتُمْ... نَسِينَاكُمْ﴾.
٣ ـ ذكر المعاد باب النجاة، والغفلة عنه سبب للعقاب، ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾.
٤ ـ رأس فساد الأعمال في الغفلة عن المعاد، ﴿نَسِيتُمْ... كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
٥ ـ استمرار العمل السيء موجب لاستمرار عذاب جهنم، ﴿عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
٦ ـ لكل موقف وعمل عقابه المناسب، (تكرار «ذوقوا» يدلّ على أن نسيان القيامة يترتب عليه عذاب وعلى عمل الإنسان عذاب آخر).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)﴾

إشارات

❑ يجب السجود في أربع سور من القرآن الكريم عند تلاوة آية السجدة من هذه السور، وهذه السور هي: فصلت، النجم، العلق والسجدة، وهي التي يطلق عليها سور العزائم. وفي مذهب أهل البيت ﷺ أنه لا تجوز قراءة هذه السور في الصلاة بعد الفاتحة، ولا يجوز للجنب والحائض تلاوة أيّ آية من آيات هذه السور.

التعاليم

١ ـ السجود، والتسبيح، والحمد من علامات المؤمن، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ﴾.
٢ ـ يعتمد الأسلوب التبليغي للقرآن الكريم مضافاً إلى رسم صورة المجرمين، على رسم سيماء المؤمنين، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا...﴾.

٣ ـ عدم شمول الهداية الإلٰهيّة لبعض الناس بسبب حالة التكبر في نفوسهم، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا... إِنَّمَا يُؤْمِنُ... الَّذِينَ... لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٤ ـ الآيات الإلٰهيّة في كمال الانسجام مع فطرة الإنسان وعقله، ولا يحتاج إلا إلى التذكير، ﴿إِذَا ذُكِّرُوا...﴾.

٥ ـ سجود المؤمنين لا يختص بحال الصلاة، ﴿إِذَا ذُكِّرُوا... خَرُّوا﴾.

٦ ـ العبادة تتحقّق في ظلّ مجموعة من الأمور، هي: الزمان ﴿إِذَا﴾، والأرضيّة الفكرية ﴿ذُكِّرُوا﴾، وأخيراً العمل ﴿خَرُّوا﴾.

٧ ـ لا بدّ من أن يكون السجود عن خشوع، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾؛ إذ تُصوّرُ الآيةُ الأمرَ وكأنّه انهيار للجسد وسقوط إلى التراب بين يدي الله تعالى.

٨ ـ التسبيح مع الحمد أفضل ذكر في حال السجود، ﴿سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٩ ـ للسجدة قيمتها إذا لم يلحقها تكبّر وغرور، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا... وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾

التعاليم

١ ـ من علامات المؤمن القيام في السحر، وحرمان النفس من لذّة النوم، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ...﴾.

٢ ـ العبادة التي تكون في السر والخفاء أعظم من غيرها، ﴿تَتَجَافَىٰ﴾.

٣ ـ المؤمن لا ييأس ولا يغترّ، فهو يعيش بين الخوف والرجاء، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

٤ ـ من خصال المؤمنين على الدوام: التواضع، والقيام في السحر، والإنفاق، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ... يَدْعُونَ... يُنفِقُونَ﴾ (جميعها وردت بصيغة المضارع).

٥ ـ الارتباط بالله ﷻ في السحر لا بدّ من أن يكون مع الإنفاق على أهل الحاجة، ﴿يَدْعُونَ... يُنفِقُونَ﴾.

٦ ـ لا ينحصر الإنفاق بالمال، بل يشمل العلم والجاه وغير ذلك مما يملكه الإنسان، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ في القرآن الكريم تعابير مختلفة عن الثواب الإلهيّ: ففي موضع ورد التعبير بـ: ﴿ضِعْفٌ﴾[١] أي مرتين، وفي مورد آخر ورد التعبير بـ: ﴿أَضْعَافًا﴾[٢]، أي ما يزيد عن مرّتين، وفي ثالث ورد التعبير بـ: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣]، وفي مورد ورد تشبيهها بالحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فيكون مضاعفاً سبعمائة مرة[٤]، ولكن في هذه الآية ورد ما فوق العدد والرقم، فورد التعبير بأن أحداً لا يعرف ما أخفي لهؤلاء الذين يقومون في الليل وينفقون.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن، إلا صلاة الليل، فإن الله، عز اسمه، لم يبين ثوابها، لعظم خطرها»**[٥].

التعاليم

١ ـ أعظم الأجر يترتب على قيام السحر، وصلاة الليل، والإنفاق على أهل الحاجة، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾.

٢ ـ بعض الثواب الإلهيّ لا يمكن للإنسان أن يحيط به، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾.

٣ ـ من أساليب التربية أن لا يعلم مقدار الثواب ولا نوعه، بل يبقى خفياً، ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾.

٤ ـ العبادة المخفية ثوابها مخفي، ﴿تَتَجَافَى... أُخْفِيَ لَهُم﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٥) تفاسير مجمع البيان والميزان.

٥ ـ لنيل الثواب بلا حساب لا بد من القيام في الليل وتحمل مشقة ذلك، ﴿تَتَجَافَىٰ... أُخْفِيَ لَهُم﴾.

٦ ـ الثواب على العمل وليس على القول، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ استعينوا على بيان الحق بتوجيه الأسئلة إلى وجدان الناس، ﴿أَفَمَن كَانَ...﴾.

٢ ـ أسلوب المقارنة من أفضل أساليب التعليم، ﴿أَفَمَن كَانَ... كَمَن كَانَ﴾.

٣ ـ لا يقف الكفار وحدهم في مواجهة المؤمنين، بل الفساق معهم أيضاً في ذلك، ﴿مُؤْمِنًا... فَاسِقًا﴾.

٤ ـ اطرحوا الأسئلة على الناس، ولكن أعلموهم أيضاً بالحق والصواب، ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

- تعرضت الآية الثامنة عشر، بالإجمال، لكون المؤمن والفاسق لا يستوون، وهاتان الآيتان تفصيل لذلك الإجمال.

التعاليم

١ ـ الإيمان لا ينفصل عن العمل، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟...﴾.

٢ ـ عمل المؤمن بتمامه لا بدّ من أن يكون صالحاً، ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

٣ ـ حدائق الجنّة منازل للمؤمنين، ﴿نُزُلًۢا﴾.

٤ ـ الفاسق المنكر ليوم القيامة سوف يخلد في جهنم، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ... أُعِيدُواْ﴾.

٥ ـ العذاب الجسماني لأهل جهنم يترافق مع العذاب المعنوي، ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ﴾.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

- عذاب الدنيا قريب ولكنه قليل، وأما عذاب الآخرة فهو بعيد ولكنه كبير، وطبقاً للقاعدة فإن المقابل لكلمة «أدنى» كلمة «أبعد»، ولكن لا يمكن وصف عذاب الله بأنه بعيد، ولذا وصفته الآية بأنه أكبر؛ كما إنه كان من الممكن استخدام كلمة «أصغر» مقابل كلمة «أكبر»، ولكن لأن عذاب الله لا يوصف بأنه «صغير»، جاءت كلمة «أدنى». وهذا هو سر استعمال كلمتي: «أدنى» و«أكبر».

- ورد عن رسول الله ﷺ في المراد من «العذاب الأدنى» قال: «**هي المصائب والأسقام، والأنصاب عذاب للمسرف في الدنيا**»(١).

التعاليم

١ ـ من السنن الإلٰهيّة إنزال العقاب بالمجرمين لعلهم يتوبون، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٢ ـ لا ينفع في التربية استخدام أسلوب الرحمة والمحبة في كل زمان ومكان، بل لا بد من القسوة والعقاب أحياناً، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾.

٣ ـ عذاب الآخرة أعظم من العذاب الدنيوي، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾.

٤ ـ عذاب الدنيا جرس إنذار لليقظة من الغفلة واللّجوء إلى التوبة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (فطريق العودة مفتوح حتى لأهل المعاصي).

---

(١) نور الثقلين وكنز الدقائق.

٥ ـ لا يتنافى العذاب الدنيوي مع العدل الإلٰهيّ، لأنه يقوم على أساس الحكمة ولإصلاح الناس، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٦ ـ يكفي في التربية احتمال التأثير ولا يشترط اليقين بذلك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٧ ـ على الرغم من نزول العذاب الدنيوي، فإن توبة أهل المعاصي لا تكون عن إجبار، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية الخامسة عشر أن المؤمنين إذا ذكّروا بآيات الله خروا سجداً، ومقابل هؤلاء من إذا ذكّر بآيات الله أعرض.

التعاليم

١ ـ أعظم ظلم للنفس وللمجتمع الإعراض عن آيات الله ﷻ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

٢ ـ تذكير الله ﷻ للمؤمن ولغير المؤمن كل بنحو خاص، ﴿ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾، ﴿ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ﴾.

٣ ـ الإعراض عن التذكير الإلٰهيّ أسوأ من الذنب، ﴿ذُكِّرُوا۟... أَعْرَضَ... أَظْلَمُ﴾.

٤ ـ لا تتنافى رحمة الله ورحمانيته مع العذاب، ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

٥ ـ الإعراض عن آيات الله جرم، والمجرم في معرض نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

٦ ـ لا يكفي التذكير والمحبة، بل لا بد من عقاب المجرمين والشدة معهم، ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- في المراد من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾، احتمالات عدّة، منها:

أ ـ عدم الشك في ملاقاة النبي موسى عليه السلام لربه وتلقيه الوحي منه.

ب ـ عدم الشك في لقاء القرآن والوحي (وتؤيده الآية الثالثة من هذه السورة).

ج ـ عدم الشكّ في لقاء القيامة، (وتؤيده الآية العاشرة والرابعة عشر من هذه السورة).

التعاليم

١ ـ رسالة نبي الإسلام ونزول الكتب السماوية ليس أمراً لا سابق له، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

٢ ـ الاطلاع على تاريخ الأنبياء سبب لطمأنينة خاطر النبي ﷺ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى... فَلَا تَكُن﴾.

٣ ـ لا ينبغي الشك أو التردد في وجود نبي سماوي، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾.

٤ ـ التوارة أنزلت لهداية بني إسرائيل لا الناس كافة، ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ تعيين الإمام حق من حقوق الله عزّ وجلّ، ﴿جَعَلْنَا... أَئِمَّةً﴾.

٢ ـ تحديد مضمون الهداية وأسلوبها ودائرتها، بيد الله عزّ وجلّ، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (وقد ورد في الحديث في التعليق على الآية: «**لا بأمر الناس... يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم....**»)[1].

٣ ـ اليقين والصبر شرطان ضروريان للقيادة، (لا بد للقائد من أن يكون على يقين من الهدف الذي يريد، ومن أن يصبر حتى يصل إلى ما يريد)، ﴿صَبَرُوا۟... يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٢٥﴾

إشارات

❑ ورد في الآية السابقة أن الله ﷻ هو الذي بيده حق اختيار الإمام وتعيينه. وفي هذه الآية ورد أن الله ﷻ هو الذي يفصل بينهم في ما كانوا فيه يختلفون. ولعل المراد من الاختلاف، الاختلاف في مسألة الإمامة، وأنهم لما كانوا يقفون في مواجهة من عيَّنه الله ﷻ بالعناد والجدال فإن الله ﷻ سوف يحاسبهم في يوم القيامة، وهو نوع من التهديد لمن يحمل لواء الرفض لمن عيَّنه الله ﷻ للناس إماماً.

التعاليم

١ ـ الفصل بين الناس في ما كانوا فيه يختلفون من شؤون الربوبيّة في يوم القيامة، ﴿رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾.

٢ ـ كافة الاختلافات سوف يُفصل بينها في يوم القيامة، ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

٣ ـ لا حل للاختلافات الدينيّة في هذه الدنيا، ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

٤ ـ الإنسان على مر التاريخ كان يعيش الاختلاف، ﴿كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٥ ـ لا ينبغي لأئمة الدين أن يتوانوا عن القيام بواجبهم في نشر الدين وهداية الناس؛ لأن الاختلاف أمر مستمر، ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦﴾

إشارات

❑ «القرون» جمع «قرن» وهو بمعنى القوم أو الأمة التي تعيش في زمان ما.

❑ لما بينت هذه الآية حال الأمم السابقة وهلاكهم وكانت مسألة تاريخية تتلقى

بالسماع؛ كان تعبير القرآن في آخر الآية: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾. وأما في الآية التالية إذ كان الحديث عن اخضرار الأرض بعد مواتها وهو أمر يدرك بالبصر؛ كان التعبير القرآني: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ كان لأهل مكة خبر عن انقراض الأمم السابقة وكانوا يرون آثارهم المتبقيّة، ولكنهم لم يعتبروا بذلك، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

٢ ـ المتغيّرات التاريخية تسير ضمن القانون، (هلاك الأمم السالفة من جهة والأمر بالاعتبار بذلك، علامة على أن المتغيّرات التاريخية لا تتحقق صدفة، بل لها سر لا بد أن يكون عبرة)، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

٣ ـ سقوط الأمم السابقة من أفضل العبر للآتين، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٤ ـ الأمم التي أهلكت في الماضي كثيرة جداً، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا... مِنَ الْقُرُونِ﴾.

٥ ـ يوصي الإسلام بالنظر في آثار الأمم السالفة، ولكن شرط أن يكون ذلك للاعتبار وأن لا يكون عن غفلة، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ... يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

٦ ـ أفضل مواقف العبرة حيث يكون الإنسان حاضراً، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

٧ ـ حفظ آثار الأمم السالفة ضروري لكي يعتبر بها الآتون، ﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾.

٨ ـ لا بد للإنسان من أن يبحث عن أسباب العزة والمذلة التي لحقت بالأمم السالفة وأن يعتبر بذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾.

٩ ـ انهيار الأمم والحضارات تَجَلٍّ للآيات الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾.

١٠ ـ إذا كان للإنسان قدرة على السماع فإن في الخرابة الخامدة رسالة، ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- «جرز» بمعنى الأرض القاحلة التي قلعت جذور نباتها[1].
- تعرضت الآية السابقة لكون هلاك الأمم السابقة آية على القدرة الإلٰهيّة، وفي هذه الآية حديث عن كون عمارة الأرض كذلك.

التعاليم

١ ـ يعتمد الأسلوب التربوي في القرآن الكريم على بيان المتغيّرات الطبيعية كأسلوب هداية، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

٢ ـ حركة الغيوم المثقلة بالماء، ونزول المطر في الأماكن البعيدة عن البحار لا يتحقق صدفة، بل طبقاً للإرادة الإلٰهيّة الحكيمة، ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ...﴾.

٣ ـ إنما تثمر الأرض إذا نزلت عليها الماء، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ ولكن بعض القلوب مع كل ما ينزل عليها من آيات العبرة فإنها لا تثمر، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾.

٤ ـ الحيوانات تتقدم على الإنسان في المنافع المادّية، ﴿أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾، (فهي تأكل أكثر من الإنسان، وتنام أكثر، ولا تحتاج إلى مقدّمات وإعداد ما تأكله).

٥ ـ من لا يستنير بنور البصيرة، لا يستحقّ أكثر من ذكر اسمه بعد اسم الأنعام، ﴿أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

٦ ـ لا تعبر عن نظام نزول المطر وخروج النبات دون تأمّل، ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، ولكن الكفار يسألون: متى يكون هذا الفتح لكم أيها المؤمنون؟ وهذا ما تعرضت له هذه الآية وأجابت عنه.

التعاليم

١ ـ لا بد من الرد على مقولات المنكرين والجاحدين، ﴿يَقُولُونَ... قُلْ﴾.

٢ ـ لا نفع من الإيمان في ساعة الاضطرار، ﴿لَا يَنفَعُ... إِيمَٰنُهُمْ﴾.

٣ ـ الإمهال وإن كان سنة إلْهيّة ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[1] ولكن له حد ينتهي إليه، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

٤ ـ آخر مرحلة بعد الاستدلال والإنذار الإعراض عن المنحرفين، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

٥ ـ مرور الزمان يبيّن نقاط الاختلاف بين أتباع الحق وأتباع الباطل، ﴿وَٱنتَظِرْ﴾.

٦ ـ لا بد للإمام من أن يكون حَسنَ الظن بالمستقبل وفي حالة انتظار له، ﴿وَٱنتَظِرْ﴾.

٧ ـ الكفار دائماً في حالة انتظار هزيمة المسلمين، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) سورة الطارق: الآية ١٧.

سُورَةُ الأَحزَابِ

السورة: ٣٣ الجزء: ٢١ ـ ٢٢

عدد الآيات: ٧٣

ملامح سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنيّة عدد آياتها ثلاث وسبعون.

اجتمع اليهود في المدينة، مع مشركي مكّة والمنافقين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين في السنة الخامسة للهجرة لمحاربة المسلمين وتحالفوا على ذلك، واضطرّ النبيّ ﷺ والمسلمون إلى حفر خندق حول المدينة لمواجهة هجومهم، فسمِّيت هذه المعركة باسم معركة الخندق نسبةً إلى هذه الوسيلة الدفاعيّة التي اعتمدها المسلمون.

ولما كان العدوّ في هذه الحرب مؤلَّفاً من جماعات عدّة سمّيت المعركة باسم معركة الأحزاب كذلك.

وقد تعرضت هذه السورة في سبع عشرة آية منها لمعركة الأحزاب، وقد أخذت السورة اسمها من ذكر كلمة «أحزاب» فيها ثلاث مرّاتٍ في الآيتين ٢٠ و٢١.

وتتحدّث السورة مضافاً إلى معركة الأحزاب، عن بعض القضايا كالظهار والطلاق الجاهليّين، وعن أحكام الابن المتبنّى، والحجاب والمعاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

إشارات

□ كلمة «أيّها» بعد حرف النداء «يا» يراد منها لفت غير المخاطب أيضاً؛ فعندما يقال: يا رسول الله، فإن المخاطب هو النبيّ ﷺ فقط، وأما عندما يقال: يا أيها الرسول، فكأنّه يقال: أيها الناس! أنا أنادي الرسول.

التعاليم

١ ـ لنبي الإسلام ﷺ مقام خاص عند الله ﷻ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (في موارد عدّة من القرآن نودي الأنبياء بأسمائهم: يا إبراهيم، يا نوح، يا موسى، يا يحيى، ولكن لم يرد في القرآن تعبير: «يا محمد».

٢ ـ حتى النبيّ ﷺ يحتاج إلى موعظة من الله ﷻ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

٣ ـ الأمر الموجّه إلى النبي ﷺ موجه إلى أتباعه في الحقيقة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.

٤ ـ نواجه المنكر بإحياء المعروف، (طاعة الله ﷻ أولاً ثم بعد ذلك اجتناب الكفار والمنافقين)، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

٥ ـ اتّباع المنافقين والكافرين سببه عدم التقوى، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

٦ ـ يسعى الكفار والمنافقون وبأيّ وسيلة ممكنة لجعل أئمة الدين معهم، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

٧ ـ إنما يمكن محاربة الانحراف والآراء الفاسدة متى كان عنصرا الإيمان والتقوى قويين، ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ﴾.

٨ ـ الكفار والمنافقون في جبهة واحدة، ﴿الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

٩ ـ طاعة الله ﷻ العليم الحكيم مبررة ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ ولكن اتّباع الكفار والمنافقين الذين لا علم لهم ولا حكمة ما الذي يبرّرها، ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ... عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١٠ ـ الأمر الإلٰهيّ بترك اتّباع الكفار والمنافقين يرجع إلى علمه ﷻ وحكمته، ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ كلما وجدت خطأً منحرفاً، عليك أن تفتح طريقاً واضحاً، ﴿وَلَا تُطِعِ... وَٱتَّبِعْ﴾.

٢ ـ طريق الوصول إلى التقوى لا يتحقق إلا باتّباع الوحي، (قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، وفي هذه الآية قال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾.

٣ ـ الوحي شأن من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾. (اتباع الوحي وسيلة تربية للإنسان)، ﴿رَّبِّكَ﴾.

٤ ـ الإيمان بالعلم الإلٰهيّ من أهمّ الأسباب الداعية إلى اتباع الوحي، ﴿وَٱتَّبِعْ... إِنَّ ٱللَّهَ... خَبِيرًا﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

إشارات

□ «الأدعياء» جمع «دَعِيّ» من الدعوى والادّعاء، والمقصود هنا الولد المدَّعى والمنسوب إلى غير أبويه.

❑ «الظهار» هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمّي. وكان شكلاً من الطلاق في الجاهلية، وهو حرام ويترتب عليه الكفارة المعروفة بكفّارة الظهار. ولمزيد تفصيل تُراجَع الكتب الفقهية.

❑ ينسب القرآن الكريم المشاعر، والأحاسيس، والعواطف، والميول الداخليّة إلى قلب الإنسان.

التعاليم

١ ـ في ترك طاعة الكافرين والمنافقين واتّباع الوحي مشاكل لا بد من مواجهتها بالتوكّل على الله ﷻ، ﴿وَلَا تُطِعِ... وَٱتَّبِعۡ... وَتَوَكَّلۡ﴾.

٢ ـ يجب علينا السعي لبيان دليل الأوامر، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ (ومن وجد الله لا يمكن أن يفقد شيئاً).

٣ ـ الميول القلبية والفطرية للإنسان تتجه اتجاهاً واحداً لا غير، ومهما سعى الإنسان ليخالفها في القول أو العمل كان ذلك نفاقاً شخصياً وليس إرادة إلٰهيّة، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ﴾.

٤ ـ لا يجتمع في قلب واحد حبّان متضادّان، ﴿مِّن قَلۡبَيۡنِ﴾ (لا تجتمع محبّة الوحي واتّباعه مع تولّي الكافرين والمنافقين واتّباعهم).

٥ ـ علاقة الأبوين بالولد علاقة طبيعية وحقيقيّة وليست تعاقدية وشكلية، (فلا الزوجة يمكن أن تكون أمّا) ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾؛ ولا ولد الغير يصبح ولدا لك، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾.

٦ ـ من مهام الأنبياء مواجهة الخرافات في المجتمع، ﴿وَمَا جَعَلَ... ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾.

٧ ـ الوحي الإلٰهيّ هو معيار الحق والباطل، لا العادات والتقاليد الاجتماعية، ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ يجب حفظ علاقة الأولاد بآبائهم النسبيين، ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ﴾ (ينبغي ذكر أسماء آباء الناس في وثائقهم الشخصية).

٢ ـ لا بد من معاملة من لا يُعرف أبوه باحترام مقرون بالعاطفة والأخوة، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ (هم الذين أُسروا في الحرب ثم أسلموا ولكن المسلمين لا يعرفون آباءهم).

٣ ـ الأخوة في الدين اصطلاح قرآني، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

٤ ـ العبد المحرر إذا لم يعرف أبواه فادعوه مولى، ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

٥ ـ القصد، والنية، والعلم أمور لها تأثيرها في ارتكاب المعصية، ﴿أَخْطَأْتُم... تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

٦ ـ تعمّد التلاعب في أنساب الناس جريمة محرّمة، ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

٧ ـ التجاوز والعفو عن الذنب غير العمدي والخطأ هو من آثار سعة الرحمة الإلهيّة، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

٨ ـ المغفرة الإلهيّة تقترن بالرحمة والشفقة، ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

إشارات

□ ورد في تفسير مجمع البيان: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يؤاخي بين

الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الثاني منهما دون أهله، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة. وورث الأدنى فالأدنى من القرابات[١].

❏ روي أن النبي ﷺ لما عزم على غزوة تبوك، وأمر الناس بالخروج، قال قوم: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الآية[٢].

❏ إن النبي الأكرم ﷺ عيّن في يوم الغدير، وبأمر من الله ﷻ، علياً عليه السلام خليفة له، وقبل ذلك نادى مخاطباً المسلمين: «**ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟**» قالوا: بلى. فأقروا واعترفوا فعند ذلك قال: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»[٣].

❏ أولوية النبي ﷺ بالمؤمنين من أنفسهم تشمل القضايا العامة والفردية وكافة الأمور: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ﴾، كما ورد في الآية ٣٦ من هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾. وقد ورد عن النبي ﷺ أن هذه الأولوية ثابتة للأئمة المعصومين عليهم السلام[٤].

❏ ورد في حديث عن النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**»[٥].

التعاليم

١ ـ للنبي ﷺ الولاية التامة على المؤمنين وولايته على الناس أعمق من ولايتهم على أنفسهم، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، (الدين هو الحاكم في المجتمع الإسلامي).

٢ ـ من لوازم الإيمان بالله ﷻ الإيمان بولاية رسول الله ﷺ، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ...﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير مجمع البيان.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٨٧.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(٥) تفسير نمونه، نقلاً عن (في ظلال القرآن).

٣ ـ يجب احترام زوجات النبي ﷺ، ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، (حتى بعد وفاة النبي ﷺ لا يجوز الزواج منهن).

٤ ـ جعل زوجات النبي ﷺ أمهات للمؤمنين لا يعني الإرث منهن، ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

٥ ـ القرابة والعلاقة الأسرية لها الأولوية، ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

٦ ـ القوانين الثابتة للإرث لا تعني إطلاقاً عدم الإحسان لأهل الحاجة، ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾.

٧ ـ بعد تنفيذ الوصية، الأولوية تكون للأرحام، ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟...﴾ (نعم، إذا أوصى الإنسان بتوزيع جزء من ماله على أناس معيّنين فيجب العمل بالوصية أولاً، ثم تقسيم الإرث).

٨ ـ لا بد من التعامل مع الأحكام والقضايا الحقوقية في الأسرة بدقة، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

٩ ـ تدوين الأمور وضبطها فعل إلهي، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

إشارات

□ للأنبياء أولي العزم وهم خمسة من أصحاب الكتاب، والشريعة من بين سائر الأنبياء منزلة خاصة عند الله، وهذه الآية وردت بهم.

وقد قدّم ذكر النبي الأكرم ﷺ على سائر الأنبياء وهذا يدل على العظمة الخاصة له من بينهم[1]. كما أن ذكر اسم مريم والدة عيسى عليه السلام يدلّ على مكانتها الخاصة وعلى أهمية ولادة عيسى عليه السلام منها بطريقة إعجازيّته.

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.

التعاليم

١ ـ الاطلاع على التاريخ والتعرف على السنن الإلٰهيّة أمران ضروريان؛ لأجل توفير الاستعداد الروحي والتربوي، (أخذ الميثاق منك أيّها النبيّ ليس استثناءً، فإنّها سنّة إلهيّة ثابتة مع جميع الأنبياء)، ﴿أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

٢ ـ إذا كان النبي ﷺ أولى بالمؤمنين؛ فإن المسؤولية والميثاق عليه سوف يكون أعظم: ﴿أَخَذْنَا... مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾، فصاحب المقام الأفضل تترتب عليه وظيفة أعظم، (فالله ﷻ أخذ ميثاق النبيين كافة؛ ولكنه أخذ من أولي العزم ميثاقاً غليظاً).

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

إشارات

- لعل المراد من الصادقين في هذه الآية الأنبياء، أي إن الله ﷻ أخذ منهم الميثاق لكي يسألهم عن هذا الميثاق في يوم القيامة، ولعل المراد منه أن الله ﷻ أخذ من النبيين عهداً غليظاً على إبلاغ الوحي الإلٰهيّ لكي تصح مساءلة الناس يوم القيامة عن الصدق والكفر.

- للصادقين في القرآن الكريم مكانة خاصة: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[2]، ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[3].

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا سئل عن صدقه على أي وجه قاله، فيجازى بحسبه، فكيف يكون حال الكاذب»**[4].

- جعلت الآية الصادقين لا المؤمنين في مقابل الكافرين. أي إن الصدق لازم للإيمان لا ينفك عنه.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٩.
(٤) تفاسير مجمع البيان والبرهان.

التعاليم

١ ـ العهد الإلٰهيّ هادف، والهدف منه تمييز الصادقين من الكافرين، ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ... أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ تتحدث هذه الآية وستة عشر آية بعدها عن معركة الأحزاب التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة. وفي هذه المعركة اجتمع اليهود والمشركون والمنافقون على خوض معركة يحسمون فيها مسألة القضاء على الإسلام، وقام المسلمون، وباقتراح من سلمان الفارسي على النبي الأكرم ﷺ، بحفر خندق في أطراف المدينة وثبتوا في مواجهة الكفار. وفي حفر الخندق أول ضربة معول كانت من رسول الله وكان كلما ضرب ضربة برقت ضربته بإصابة معوله للصخر، فبشّر رسول الله ﷺ المسلمين بالنصر. وقد نصر الله ﷻ المسلمين في هذه المعركة بالريح والملائكة.

التعاليم

١ ـ الإيمان والعمل شرطان لتلقي المدد الإلٰهيّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ (فالمسلمون تجهزّوا للدفاع، وحفروا الخندق فنصرهم الله).

٢ ـ يوصي الله ﷻ بتذكر النعم الإلٰهيّة، ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، فذكرُ المدد الإلٰهيّ يرفع من معنويات المجاهدين.

٣ ـ الإنسان معرض لنسيان النعمة ولا بد من تذكيره، ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾

٤ ـ الرد على الجنود يكون بإرسال الجنود، ﴿جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ... فَأَرْسَلْنَا... وَجُنُودًا﴾.

٥ ـ النصر من عند الله، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

٦ ـ بإرادة من الله تصبح الريح جنداً، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.

٧ ـ الملائكة أيضاً تدعو للمؤمنين، وتبشرهم أيضاً بالمدد الإلٰهيّ، ﴿فَأَرْسَلْنَا... وَجُنُودًا﴾.

٨ ـ متى رأى الله ﷻ من عباده أنهم يؤدون تكليفهم أنزل المدد الإلٰهيّ عليهم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾

التعاليم

١ ـ إنما يشعر الإنسان باللطف الإلٰهيّ متى كان يعيش في الضيق والشدة، ﴿إِذْ جَآءُوكُم... وَإِذْ زَاغَتِ﴾.

٢ ـ يجب على المسلمين مراقبة كافة حدود بلاد الإسلام، ﴿فَوْقِكُمْ... أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾.

٣ ـ للحالات المعنوية تأثيرها على الجسم، (الخوف من الأسباب التي تؤدّي إلى أن تزوغ الأبصار، وتسقط القلوب، وعلامة ذلك انفراج العينين وسرعة دقات القلب)، ﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾.

٤ ـ بعض المؤمنين يبتلى بسوء الظن بالله ﷻ متى أحاطت به بعض الظروف الضاغطة والشدائد، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾.

٥ ـ المؤمن معرض للابتلاء والاختبار، ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

٦ ـ الحرب، والخوف، والوحشة، والظروف الصعبة وسائل لاختبار الإنسان، ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ﴾.

٧ ـ في الشدائد يعرف الناس ويميز بينهم، ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ﴾، (فلا تجد في ساحات القتل أياً من دعاة التنوير أو المنافقين).

٨ ـ ثبات الإنسان يتحقّق باستقراره المعنوي، (إذا تلقى الإنسان ضربة في معنوياته تزلزل)، ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ الحرب الإعلامية التي يشنّها المنافقون دائمة، ﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

٢ ـ من علامات الانحراف والنفاق العمل على إلحاق تيئيس المجاهدين وإضعاف معنوياتهم، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ...﴾.

٣ ـ من بين أنصار الأنبياء من يقع في الشك والتردد، ومنهم من يقع في النفاق والكذب، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ يسعى جماعة من المنافقين من خلال بث الشائعات: ﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ... لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾، وجماعة منهم بالفرار من الزحف: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ﴾، يسعون لإضعاف معنويات المؤمنين.

٢ ـ لا ينبغي أن نغفل عن خطر الشائعات التي يبثها المنافقون لإضعاف المؤمنين، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾.

٣ ـ قائد المعركة شخص النبي الأكرم ﷺ، ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

٤ ـ لا بد للقوى المسلحة من أن تكون منظّمة بنحو لا يحقّ لأحد الخروج دون إذن، ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

٥ ـ الطمأنينة والأمن الفكري والأسري على درجة من الضرورة والأهميّة بنحو يحتج به المنافقون لكي يغادروا ساحة القتال، ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

٦ ـ من لا يخلي قلبه من التعلق بالحياة لن يكتب له التوفيق، ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

٧ ـ المنافق جبان ومتذرع، (لعدم امتلاكه الشهامة والشجاعة يلجأ إلى التذرع ولا يذكر الأسباب بصراحة)، ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

٨ ـ يستخدم الأعداء الدين لمواجهة الدين، (يتذرع المنافقون بحفظ العرض الذي هو أمر مرغوب دينيًا)، ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

٩ ـ يفضح الوحيُ أفكارَ المنافقين ويكشفهم أمام الناس، ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾

إشارات

- من شروط الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ عدم الفرار من الزحف، ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾. وقد أخبر تعالى بأنّه سوف يسأل الإنسان عن فعله، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

التعاليم

١ ـ يستعين الأعداء بمنافقي الداخل لإيجاد الفتنة بين الناس، ﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾.

٢ ـ يتخلى المنافقون عن الحق بسهولة، وكذلك يتبعون العدو ويسعون للفتنة، ﴿لَآتَوْهَا﴾.

٣ ـ الاستجابة لطلب الكفار سريعاً دون تفكير وتأمّل علامة النفاق، ﴿سُئِلُوا... وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

٤ ـ ليس المهمّ هو إعطاء العهود، وإنما المهمّ هو الوفاء بها، ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ... لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾.

٥ ـ لا تساهل في الوفاء بالعهود الإلٰهيّة؛ لأننا سوف نسأل عن ذلك ونعاقب عليه، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا يمكن للإنسان على الإطلاق أن يفرّ من قضاء الله ﷻ المحتوم كالموت، ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ... مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾.

٢ ـ لا ينبغي للإنسان أن يضيع السعادة الأبدية لأجل متاع قليل، ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات

- المراد من تعلق الإرادة الإلٰهيّة بما يلحق بهذا الإنسان من سوء، أنّ الإنسان بنفسه سوف يختار ذلك من خلال ما يصدر منه من فعلٍ ما لا ينبغي فعله كالفرار من الزحف، وبهذا يوقع نفسه في عذاب النار، ولأن كل فعل خاضع للإرادة الإلٰهيّة ينسب الفعل إلى الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ أيقظوا الوجدان من خلال توجيه السؤال، ﴿قُلْ مَن... يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ الرحمة والعذاب، والنعم، والمصاعب، تصل إلى الإنسان بإرادة من الله ﷻ، ﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا... أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، (نعم إرادة السوء أو الرحمة الإلٰهيّة خاضعة للحكمة).

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

إشارات

- «المعوّق» بمعنى «المانع»، و«البأس» بمعنى مصاعب القتال وساحة الجهاد.
- أشار القرآن الكريم إلى بعض أنواع الأخوة:

أ ـ الأخوة الطبيعية عن طريق الأبوين.

ب ـ الأخوة الدينيّة عن طريق الدين، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

ج ـ الأخوة الحزبية والسياسيّة التي أشارت إليها هذه الآية.

د ـ الأخوّة في السلوك الحاصلة من الاتّباع. كالمبذّرين الذين هم إخوان الشياطين، ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2].

□ المراد من ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ دعوة المنافقين ضعاف الإيمان من المسلمين إلى ترك القتال.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ عليم بكل ما يخطط له الأعداء وما ينشرونه من شائعات، ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ المنافقون الجبناء الذين يفرون من الزحف يعملون على منع حضور الآخرين ساحة القتال أيضاً، ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ... وَٱلْقَآئِلِينَ﴾.

٣ ـ أي تضعيف لمعنويات المجاهدين ذنب عند الله ﷻ، ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ... وَٱلْقَآئِلِينَ... هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

٤ ـ ليس المهم الذهاب إلى الجبهة، بل المهم الثبات فيها ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

إشارات

□ كلمة «أشحة» جمع «شحيح» من «الشح» بمعنى «البخل» الذي يكون عن

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٧.

حرص. «سلقوكم» من السلق بمعنى الغلبة وإلحاق الهزيمة، أي إنهم يسعون من خلال بثّ الشائعات لتحقيق الغلبة على المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم. «حداد» جمع «حديد» وهو بمعنى «الحاد» و«الخشن».

التعاليم

١ ـ لا يريد المنافقون لكم الخير أبداً؛ فعند الخطر وطلب العون منهم في القتال يبخلون بمد يد العون، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾. وبعد زوال الخطر يحرصون على المشاركة في جمع الغنائم، ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾.

٢ ـ يتهم المنافقون النبي ﷺ والمسلمين بأنهم سبب المصائب التي تحلّ بهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ... يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾.

٣ ـ يفقد المنافقون زمام أنفسهم عند الأزمات، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ... تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾.

٤ ـ للحالات الروحية تأثيرها على وجه الإنسان، ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾.

٥ ـ المنافقون قليلو العمل كثيرو الكلام. فعند الحرب وفي الشدائد هم أشد الناس خوفاً وعند الأمن أكثر الناس تطلباً، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ... أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾.

٦ ـ من العلامات البارزة في المنافقين: الخوف، والبخل، وحدة اللسان، وتوقع ما ليس في محله، ﴿أَشِحَّةً... تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ... بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

٧ ـ حبط أعمال المذنبين يقوم على أساس الحكمة وطبقاً لعمل الإنسان، ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٨ ـ النفاق سبب لحبط الأعمال وضياعها، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٩ ـ سلوك المنافقين (البخل، حدة اللسان، بث الشائعات لردع الناس عن المشاركة في القتال...) لا يمكنها أن تقف عائقاً أمام الإرادة الإلٰهيّة، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ يطلق على العرب الذين يسكنون في المدن تسمية (عربي)، وعلى العرب الذين يسكنون البادية تسمية «الأعراب». وكلمة «بادون» جمع (بادي) وتطلق على من يسكن البادية والفلاة.

التعاليم

١ ـ يتصور الجبناء وضعاف الإيمان أن أعداء الإسلام دائماً هم أقوى من المسلمين، (كان ظن المنافقين أن الأحزاب من اليهود والمشركين لن يتفرقوا حتى يدخلوا المدينة)، ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾.

٢ ـ استيلاء الخوف على الإنسان يمنعه من إدراك الواقع، ﴿يَحْسَبُونَ... لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾.

٣ ـ يفضّل ضعاف الإيمان العيش في المجتمعات البعيدة عن الثقافة على العيش في المجتمع الديني، ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾.

٤ ـ ضعاف الإيمان يستبدلون الحضور في الساحات الاجتماعيّة بقراءة الصحف والاستماع إلى الأخبار، ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾.

٥ ـ ضعاف الإيمان ليسوا من أهل الحرب ولا الثبات، ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

إشارات

□ تستعمل مفردة «الأسوة» في التأسي واتّباع الآخرين في عمل الخير. وقد وردت هذه المفردة في موضعين في القرآن الكريم في شأن نبيّين من أنبياء الله العظام: أحدهما النبي إبراهيم عليه السلام، وثانيهما نبي الإسلام ﷺ، وما يلفت النظر أن كون

إبراهيم أسوة هو في براءته من الشرك ومن المشركين، وكون النبي ﷺ أسوة في ثباته ووقوفه بوجه أعداء الدين.

- دور النبي ﷺ في معركة الأحزاب أن يكون القدوة للقادة: إرشاد الجند، بث الأمل، المشاركة في حفر الخندق، إطلاق الشعارات الحماسية، مواجهة العدو والثبات. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن منا أقرب إلى العدو منه**»[1].

- هذه الآية وردت في سياق الآيات التي تتحدث عن معركة الأحزاب؛ ولكن كون النبي ﷺ أسوة لا يختص بالحرب؛ بل النبي أسوة حسنة للمسلمين في كل شيء.

التعاليم

١ ـ لا تشكيك في كون النبي ﷺ أسوة، ﴿لَقَدْ﴾.

٢ ـ كون النبي ﷺ أسوة أمر دائم، ﴿كَانَ﴾.

٣ ـ النبي ﷺ حجة في قوله، وفعله، وسكوته الذي يدل على رضاه بأمر، ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾.

٤ ـ من أساليب التربية تقديم الأسوة، ﴿لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾.

٥ ـ ينبغي إرشاد الناس إلى الأسوة الحسنة؛ لكي لا يتجه الناس إلى التأسي بمن ليس أهلاً، ﴿رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾.

٦ ـ الدعوة بالأفعال من أفضل أساليب التبليغ، ﴿أُسْوَةٌ﴾.

٧ ـ إنما ينظر إلى النبي ﷺ كأسوة حسنة من كان قلبه مليئاً بالإيمان وذكر الله ﷻ، ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ...﴾.

٨ ـ وإن كان للأسوة مكانة في القلب؛ ولكن لا ينبغي أن ننسى ذكر الله ﷻ، ﴿رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ... وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٠.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾

إشارات

- تحدثت الآية ١٢ عن وصف المنافقين وعود النبي ﷺ بالغرور؛ وهذه الآية تتحدث موقف المؤمنين المعاكس.
- تعرضت الآيتان السابقتان لشأن جماعة من ضعاف الإيمان الذين تمنوا في قلب المعركة البعد عن أماكن القتال، وأما في هذه الآية فالحديث عن أهل الإيمان الذين تزيدهم رؤية الأعداء إيماناً وتسليماً.

التعاليم

١ ـ الإيمان سبب للقوة، ﴿رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ...﴾.

٢ ـ يرى المنافقون العدو الغائب وغير الموجود حاضراً، ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾؛ وأما المؤمنون فلا يرونه حاضراً إبّان حضوره وذلك لتجاهلهم إيّاه وعدم تأثيره فيهم، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ... هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ اجتماع الأعداء على محاربة المسلمين ليس أمراً مفاجئاً للمسلمين، ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ كلام رسول الله ﷺ مطابق لكلام الله، ﴿وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

٥ ـ أخبر النبي ﷺ المسلمين بوقوع معركة الأحزاب قبل وقوعها، ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

٦ ـ يرى المؤمنون أن تحقق وعد الله ورسوله حتمي، ﴿وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ... وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

٧ ـ الحرب والقتال للمؤمنين سبب للرقي والازدياد، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

٨ ـ لا يخاف المؤمنون من عديد المشركين ولا من عدتهم، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

٩ ـ للإيمان والتسليم درجات ومراتب، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

١٠ ـ تحقق وعد الله ﷻ ووعد رسوله يزيد من إيمان المؤمنين، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ... وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- كلمة «نَحْب» لها معان كثيرة؛ ولكن المراد منها هنا النذر والعهد الذي يؤدّي الالتزام به إلى الموت أو إلى الوقوع في خطر عظيم.
- مقابل من كان يسعى لحياة الرغد: ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾[1]، ثمة من ينتظر الشهادة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.
- تلا الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية عندما ودّع أصحابه في كربلاء[2].

التعاليم

١ ـ أصحاب النبي ﷺ والمؤمنون ليسوا على درجة واحدة، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ الحديث عن كمالات الآخرين وسيلة من وسائل التربية، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾.

٣ ـ الدفاع عن الحق حتى الشهادة دليل على صدق الإيمان، ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٤ ـ لا بدّ للإيمان أن يقترن بالعمل، والعمل بما يقتضيه علامة صدقه، ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٥ ـ تعظيم الشهداء درس من دروس القرآن الكريم، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾.

٦ ـ انتظار الشهادة خصلة حسنة أيضاً، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾، ومن صفات المؤمنين الاستعداد والتهيؤ للقاء الله ﷻ.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٠.
(٢) تفسير كنز الدقائق.

٧ ـ باب الشهادة مفتوح، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

٨ ـ استشهاد بعض المؤمنين ليس سبباً لتراجع أو ضعف سائر المؤمنين، (فالمؤمن إذ يرى أصدقاءه ومن يحبّهم ينالون الشهادة يبقى في حالة انتظار لنيلها)، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

٩ ـ المؤمن الحقيقي ثابت على العهد مع ربه، ولا يغير موقفه حتى بعد استشهاد أحبائه وأصدقائه، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

□ كلمة «توبة» إذا تعدّت بحرف (إلى)، فالمعنى المراد منها توبة العباد إلى الله ﷻ، وإذا تعدّت بحرف (على) كان المراد توبة الله على عباده وشمول لطفه لهم. ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

التعاليم

١ ـ للمصائب والابتلاءات هدف وغاية، وهدفها هو تنمية الاستعدادات وفتح الباب أمام الإنسان لنيل الثواب من خلال السعي وبذل الجهد، ﴿لِّيَجْزِيَ﴾.

٢ ـ مجازاة الصادقين سبب لترغيب الآخرين في الصدق، ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.

٣ ـ النجاة في الصدق، ﴿لِّيَجْزِيَ... بِصِدْقِهِمْ﴾.

٤ ـ نيل الثواب على الصدق في العمل، ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾.

٥ ـ البشارة قبل الإنذار، ﴿لِّيَجْزِيَ... وَيُعَذِّبَ﴾.

٦ ـ لا عمل بلا ثواب أو عقاب، (لا صدق الصادقين ولا نفاق المنافقين) ﴿لِّيَجْزِيَ... وَيُعَذِّبَ﴾.

٧ ـ اللطف الإلٰهيّ ليس بعيداً حتى عن المنافقين، شرط أن يتوبوا، ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾.
٨ ـ قبول التوبة من الله يقترن بسعة رحمة الله، ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ۝٢٥﴾

إشارات

❑ عندما قتل الإمام علي عليه السلام رأس حربة المشركين عمرو بن ود في معركة الأحزاب انهزم المشركون وردّهم الله بغيظهم.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي الخوف من اجتماع المشركين، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، فعلى الرغم من اجتماع قوى الكفر من المشركين، اليهود والمنافقين في معركة الأحزاب لمحاربة المسلمين؛ ولكنهم عادوا منهزمين دون أن يغنموا شيئاً.
٢ ـ لا تخرج أحداث الحرب عن إرادة الله عز وجل، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ... وَكَفَى ٱللَّهُ﴾.
٣ ـ المدد الغيبي كان عامل نصر في معركة الأحزاب (الخندق)، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ... وَكَفَى ٱللَّهُ﴾.
٤ ـ قد ينبغي أحياناً الحديث بلغة الأعداء، ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾. الانتصار على الإسلام وأخذ الغنائم كان خيراً في نظر الكفار.
٥ ـ الهدف الذي ينشده أعداء الإسلام من الحرب إما النصر أو اكتساب الغنائم، احتلال البلدان أو حفظ مصالحهم، ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾؛ ولكن الهدف من الحروب التي يخوضها الإسلام هو ﴿إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾[1]، أي أداء التكليف الدينيّ، ودعوة الناس إلى الحق، ورفع الموانع أمام انتشار الحق أو الشهادة ولقاء الله عز وجل.

(١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

٦ ـ الله ﷻ هو مصدر عزة المسلمين وقوتهم، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ... وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- «الصياصي» جمع «صيصة»، وهي القلاع المحصنة وتطلق على كل وسيلة دفاع كقرون الثور ومخالب الذئب.
- تشير هذه الآية إلى غزوة بني قريظة، فإن يهود بني قريظة نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ في معركة الأحزاب ظناً منهم أن الهزيمة ستلحق بالنبي ﷺ، ونقضهم كان للمعاهدة من خلال مدهم يد العون إلى مشركي مكة ولكنهم انهزموا واستسلموا.
- كانت طوائف ثلاث من اليهود تقيم في المدينة وهم: بنو قينقاع، بنو النضير، وبنو قريظة، وكانت تربطهم بالمسلمين معاهدات ومواثيق. وقد نقض بنو قينقاع عهدهم في السنة الثانية للهجرة، فحاربوا المسلمين ولحقت بهم الهزيمة وأخرجوا من المدينة وذهبوا إلى الشام. وفي السنة الرابعة للهجرة حارب بنو النضير المسلمين وانهزموا وخرجوا إلى الشام، وأخلوا المدينة وخيبر. وفي السنة الخامسة للهجرة نقض بنو قريظة عهدهم وأعانوا المشركين في معركة الأحزاب، ومع هزيمة الأحزاب سيطر عليهم الخوف. وقد حاصر المسلمون قلاعهم بعد معركة الأحزاب، وبعد حصار استمر خمسة وعشرين يوماً أخرجوا من المدينة، وبهذا تطهرت المدينة من اليهود ناقضي العهود والمواثيق[١].
- كان لمعركة بني قريظة نتائج عديدة مهمة منها:

---

(١) تفسير نمونه.

أ - إخراج بقيّة اليهود من المدينة إلى الأبد.
ب - نال المسلمون منهم أموالا وغنائم كثيرة.
ج - ثبتت قوة المسلمين، واتضح المصير السيء الذي ينتظر كل من ينقض عهده مع المسلمين.

التعاليم

١ - لا ينبغي الغفلة عن القوى التي تحاول اختراق الصفوف، ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾.
٢ - العيش بسلام مع أهل الكتاب مشروط بعدم نصرتهم لأعداء الدين، ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.
٣ - النصر من عند الله ﷻ، ﴿وَأَنزَلَ﴾.
٤ - القلاع المحصنة والمرتفعة للعدو قابلة للفتح، ﴿وَأَنزَلَ... مِن صَيَاصِيهِمْ﴾.
٥ - على الرغم من اشتراك اليهود من أهل الكتاب مع المسلمين في عبادة الله والإيمان بالمعاد؛ إلّا أنهم كانوا في نصرة المشركين، ﴿ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.
٦ - لا ينبغي أن يقصر النظر على العدو الذي يقف في المواجهة، بل لا بد من النظر إلى من يحميهم، ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾.
٧ - من أنواع المدد الغيبي المنزل من عند الله ﷻ في الحرب إنزال الرعب في قلوب الأعداء، ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾.
٨ - معنويات المقاتلين تلعب دوراً أساساً في النصر أو الهزيمة في الحرب، ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ... تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

□ بعد أن نال المسلمون الغنائم من الحرب، طلبت بعض زوجات النبي

الأكرم ﷺ أن يوسع عليهم في حياتهم. ورفض رسول الله ﷺ ذلك، وهجرهم لشهر كامل حتى نزلت الآيات.

التعاليم

١ ـ حياة إمام المسلمين لا بدّ من أن تتسم بالبساطة، (المكانة الدينيّة والاجتماعيّة للإنسان تفرض عليه تكاليف خاصة)، ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا... وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾.

٢ ـ لا ينبغي لإمام المسلمين أن يقع تحت تأثير طلبات زوجته، ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾.

٣ ـ امتلاء خزينة بيت المال لا ينبغي أن تثير طمع أقارب إمام المسلمين، ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾.

٤ ـ كما إن إمام المسلمين يخضع لمراقبة الناس فكذلك من يرتبط به يراقبه الناس، ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾.

٥ ـ التكاليف الإلٰهيّة فوق التكاليف الأسرية والعائلية، (فقد يجب غضّ النظر عن بعض العواطف والاعتبارات العائلية لحفظ مقام القيادة المقدّسة)، ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾.

٦ ـ المرأة حرة؛ يمكنها أن تعيش ببساطة؛ ولكن بسعادة، ويمكنها أن تختار طريقاً آخر، ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ... وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾.

٧ ـ في مقابل الطلبات غير المبررة للزوجة لا بد من اتخاذ موقف واضح وصريح، ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ (من خلال استخدام لغة حاسمة ولكنها مفعمة بالمحبة والعدالة يمكن رد الطلب).

٨ ـ التعامل بحسم مع الأسرة والأقارب عند وصول الأموال والغنائم إلى بيت المال يمنع الطلبات غير المبررة لسائر الناس، ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ... فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾.

٩ ـ إذا لم تتحمل المرأة حياة البساطة مع السعادة، فينبغي تطليقها مع مراعاة العدل والإنصاف، ولا يجبر الإنسان على البقاء على الحياة الزوجية، ﴿إِن كُنتُنَّ... أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾.

١٠ ـ خطر حب الدنيا يشمل حتى بيت النبوة، ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ...﴾.

١١ ـ التنعم بزينة الدنيا ليس محرماً؛ ولكنه ليس من شأن بيت النبوة، ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾.

١٢ ـ إذا اضطررت إلى الطلاق، فليكن ذلك بالعدل والإحسان، ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا يجتمع طلب الدنيا مع طلب الآخرة، ﴿تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا... تُرِدْنَ ٱللَّهَ...﴾، نعم التنعم بنعم الله في الحلال لا يتنافى مع طلب الآخرة.

٢ ـ على الإنسان أن يتخير بين التعلق بالدنيا الفانية والآخرة الباقية، ﴿وَإِن كُنتُنَّ...﴾.

٣ ـ القناعة، والزهد، وبساطة العيش لا تكفي وحدها للنجاة؛ بل لا بد من العمل الصالح معها، ﴿تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ... لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾.

٤ ـ الوعد الإلٰهيّ حتمي، ﴿أَعَدَّ﴾.

٥ ـ يصف الله ﷻ حياة البساطة لبيوت قادة الدين بأنها حسنة، ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾.

٦ ـ كون المرأة زوجة للنبي ليس كمالاً لها، بل لا بد من أن تعمل صالحاً، ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾.

٧ ـ زوجات النبي ﷺ لسن على درجة واحدة، ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾.

٨ ـ من يترك الدنيا المحدودة فإن له الأجر العظيم، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- يخاطب الله نساء النبي الأكرم ﷺ من خلال مقام الرسالة وليس وحيا إليهنّ مباشرة، خلافاً لمريم عليها السلام فقد خاطبها الوحي مباشرة، ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾[1].
- الذنوب على قسمين: كبيرة وصغيرة. والأساس في هذا التقسيم قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[2]، ولكن في بعض الموارد قد يكون للصغيرة حكم الكبيرة، كما لو ارتكب الصغيرة في زمان خاص كشهر رمضان فإن عقوبته تتضاعف. أو في مكان خاص أو مع تكرار الصغيرة والإصرار عليها، أو من أسره ذنبه، أو كان يقوم به جهراً، أو الذنب الذي يصدر من أفراد هم أسوة للناس كنساء النبي. وعليه فقد يكون لبعض الجوانب تأثيرها على الذنب وعقوبته.
- ورد في الروايات: أن لذنوب الكبار حساب خاص، حتى لو صدر من الأنبياء ترك الأولى فإنهم يؤنبون عليه؛ وقد ورد في الحديث: «**يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد**»[3].

التعاليم

١ ـ ليس للحسب ولا للنسب أثر في الثواب والعقاب، فكل عاص لا بدّ من أن يعاقب، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ...﴾.

٢ ـ كون المرأة زوجة للنبي ﷺ لا يستلزم عصمتها، ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾، (فالكون في بيت النبي لا يشكل ضمانة للإنسان، بل الالتزام بالدين هو الضمانة).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٢) سورة النساء: الآية ٣١.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٧.

٣ ـ حساب التجاهر بالمعصية يختلف عن حساب المعصية سراً، ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾.

٤ ـ العمل السيء بنفسه موجب لترتب العقاب عليه، ﴿يُضَٰعَفۡ﴾، ولم يقل: نضاعف.

٥ ـ نوع العقاب والثواب، شدةً وضعفاً، مرتبط بما يترتب على العمل من آثار فردية واجتماعية، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... ضِعۡفَيۡنِۚ﴾.

٦ ـ عقاب ذنوب أصحاب المكانة الدينيّة والاجتماعيّة والذين يشكلون القدوة في سلوكهم لدى الآخرين أشد من عقاب الآخرين، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... ضِعۡفَيۡنِۚ﴾.

٧ ـ على أُسَر المسؤولين وأقاربهم في النظام الإسلامي أن يدركوا أنه لو ارتكبوا مخالفة فإنهم ليسوا أحراراً في ذلك، بل عقابهم مضاعف، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾.

٨ ـ إذا كان عقاب المخالف من أقارب المسؤول مضاعفاً، فما هو ميزان عقوبة المسؤول نفسه؟ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ (وقد ورد في القرآن الكريم في ما يتعلق بصدور المخالفة من النبي نفسه: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ... لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾[1].

٩ ـ عقاب العصاة على الله ﷻ يسير، ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

الجزء ٢٢

﴿۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾

إشارات

❑ «القنوت» بمعنى الطاعة مع الخضوع وبأدب.

❑ روي أن رجلاً قال للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: **إنكم أهل بيت مغفور لكم، قال: فغضب، وقال: نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله في**

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٤٤ ـ ٤٦.

أزواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول، إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب، ثم قرأ الآيتين»[١].

□ عن رسول الله ﷺ: **«ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»**[٢].

التعاليم

١ ـ الترغيب والترهيب إذا انضما إلى بعضهما أثرا، ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ... وَمَن يَقْنُتْ﴾.

٢ ـ للطاعة أهميتها إذا كانت عن معرفة، وعن محبة، ومع الخشوع، ﴿يَقْنُتْ... لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

٣ ـ يجب طاعة الأوامر الإلٰهيّة وطاعة رسول الله ﷺ، ﴿يَقْنُتْ... لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

٤ ـ لا يكفي الإتيان بالعمل الصالح، بل لا بد من المداومة عليه، ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

٥ ـ لا يكفي أن تكون المرأة زوجة للنبي، بل لا بد من العمل الصالح، ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

٦ ـ لا أهميّة لكون العمل صغيراً أو عظيماً، بل المهم كون العمل صالحاً، ﴿صَٰلِحًا﴾ (وردت كلمة صالحاً منكّرة).

٧ ـ لترغيب العباد ينسب الله ﷻ الجزاء إلى العامل، ﴿نُّؤْتِهَآ... أَعْتَدْنَا﴾.

٨ ـ الأجر والجزاء يختلف تبعاً لمكانة العامل ولما يترتب على العمل من آثار فردية واجتماعية، ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ حساب عوائل قادة الدين وأسرهم مختلف عن حساب سائر الناس، ولا بد

(١) تفسير كنز الدقائق.
(٢) الغدير، ج ٧، ص ٢٠٦.

لهم من مراقبة سلوكهم أكثر من غيرهم، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (المكانة الاجتماعيّة سبب للتضييق).

٢ ـ عندما يوجه الخطاب التحذيري إلى نساء النبي اللواتي كان غالبهن من كبار السن ويعشن البساطة في الحياة بأن لا يتكلمن بالكلام المثير؛ فإن النساء الشابات والجميلات لا بدّ من أن يحسبن حسابهن في ذلك، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... فَلَا تَخۡضَعۡنَ...﴾.

٣ ـ حديث الغنج والدلال من المرأة مخالف للتقوى، ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

٤ ـ يبين القرآن الكريم آداب الكلام أيضاً، ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

٥ ـ على المرأة أن تراقب نفسها حتى لا يطمع من في قلبه مرض، فكيف بمن يكون جاداً، ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ... فَيَطۡمَعَ﴾.

٦ ـ من في قلبه مرض يطمع حتى بالمقدّسات، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ... فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

٧ ـ لا ينبغي أن يكون حديث المرأة ولا تصرّفها موجباً لإثارة الشهوة، ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

٨ ـ ليس كافة أفراد المجتمع النبوي سالمين، ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

٩ ـ لا ينبغي إيقاع الآخرين في المعصية سواء أكانوا واحداً أم أشخاصاً عدّة، ﴿ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾، ولم يقل: «الذين في قلوبهم مرض».

١٠ ـ النظرة المشتملة على الشهوة والريبة مرض روحي، ﴿فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

١١ ـ من في قلبه مرض وإن كان يعاني من مشكلة ﴿فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾، ولكن لا ينبغي فعل ما يوجب إثارته، ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ... فَيَطۡمَعَ﴾.

١٢ ـ لا بد من أن يكون الحديث بنحو يكون مضمونه جيداً، ﴿قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾، وأسلوبه صحيحاً: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

قواعد في النهي عن المنكر (مُستفادة من الآية)

١ ـ الاستفادة من مكانة أفراد الأسرة: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾.

٢ ـ الاستفادة من المكانة الاجتماعية: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

٣ ـ ذكر الصفات والألقاب المحببة: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾.

٤ ـ البدء بأبسط الأمور: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

٥ ـ البدء بالنفس وبالكبار: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾.

٦ ـ النهي عن موجبات وقوع المنكر: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ﴾.

٧ ـ لا نغفل الانحرافات والسلوكيات البسيطة: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

٨ ـ بيان الآثار والنتائج السيّئة المترتبة على الفساد والانحراف: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

٩ ـ الأمر بالمعروف إلى جانب النهي عن المنكر: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ... قُلۡنَ﴾.

١٠ ـ لأجل الحيلولة دون وقوع المنكر يجب ردع حتى الفرد الواحد: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي﴾ ولم يقل: «فيطمع الذين»..

١١ ـ ينبغي مواجهة المنكر حتّى على مستوى الرغبة فيه، فضلاً عن وقوعه: ﴿فَيَطۡمَعَ﴾.

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾

إشارات

- «قَرْنَ» من «الوقار» أو من «القرار»، والنتيجة على كلا المعنيين واحدة. أي لا تخرجن من بيوتكن للتبرج.
- «التبرج» من «البرج» وهو التباهي، كما إن للبرج من بين المباني مظهره الخاص.

□ الجاهلية الأولى تدل على ظهور جاهلية أخرى هي التي نشهدها اليوم. وقد ورد في الحديث أيضاً: «ستكون جاهلية أخرى»[١].

إذا كانت الفتاة تدفن وهي حية في تلك الجاهلية، ففي هذه الجاهلية يُجهض الجنين.

إذا كان في الجاهلية الأولى إسراف في القتل، فإننا نشهد في جاهلية اليوم قتلا للملايين في الحروب العالميّة والكبرى.

إذا لم يكن في تلك الجاهلية مدرسة فتقع الجرائم، فإننا اليوم نجد كيف تهدر حقوق الإنسان مع وجود مئات الجامعات.

في الجاهلية الأولى كان الفساد والزنا جريمة، وأما اليوم فإن اللواط في أكثر الدول رقياً يعتبر أمراً مشروعاً[٢].

كلمات في آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

- كلمة «إنما» تدل على أن هذه الآية تدل على موهبة خاصة ترتبط بأهل البيت عليهم السلام.
- المراد من «يريد» الإرادة التكوينية لا الإرادة التشريعية؛ لأن الإرادة التشريعية للتطهير لا تختص بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.
- المراد من «الرجس» كل نوع منه ظاهرياً كان أو باطنياً[٣].
- المراد من «أهل البيت» ليس كل أهل بيت النبي، بل بعض الأفراد الذين تعرضت المصادر الروائية، الشيعية والسنية، لهم. وهم عبارة عن: علي، فاطمة، الحسن والحسين عليهم السلام.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) حول الجاهلية المعاصرة كتاب لمحمد قطب عنوانه (جاهلية القرن العشرين)، وكتاب آخر للسيد مجتبى موسوي اللاري تحت عنوان (سيماي تمدن غرب) (خصائص الحضارة الغربية)، وقد ترجم إلى لغات عدّة.

(٣) تفسير البرهان.

سؤال: ما هو الدليل على الحصر؟ ولماذا لا تشمل هذه الآية كل أهل البيت النبي أو نساء النبي ﷺ.

الجواب:

١ ـ الروايات الواردة عن نساء النبي ﷺ حتى عائشة وأم سلمة حيث سألن النبي ﷺ: ألسن من أهل البيت؟ فكان جواب النبي بالنفي.

٢ ـ ورد في العديد من الروايات أن النبي وضع عباءته على رأس هؤلاء الخمسة وهو معهم وذكر أنهم هم أهل البيت ولا يدخل فيهم غيرهم.

٣ ـ ورد أن النبي ﷺ ولأجل إثبات أن أهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء الخمسة فقط، كان يمر كل يوم ولمدة ستة أشهر، وفي بعض الروايات لتسعة أشهر: كَانَ يَقِفُ عِنْدَ طُلُوعِ كُلِّ فَجْرٍ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام فَيَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُحْسِنِ الْمُجْمِلِ الْمُنْعِمِ الْمُفْضِلِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ سَمِيعٌ [سَمِعَ] سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عِنْدَنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَبَاحِ النَّارِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَسَاءِ النَّارِ الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا**»[1].

وقد ذكر في كتاب إحقاق الحق ما يزيد على السبعين حديثاً من المصادر المعروفة عند أهل السنة، ما يدل على اختصاص هذه الآية بالخمسة المذكورين، وقد ذكر في كتاب **شواهد التنزيل**، وهو من الكتب المعروفة عند أهل السنة، ما يزيد عن مائة وثلاثين رواية في هذا المجال[2].

وعلى أي حال فإن هذه الآية لا تشمل نساء النبي ﷺ لأنه:

قد تصدر منهن المعصية أحياناً، فقد ورد في سورة التحريم قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[3].

وعائشة كانت زوجة للنبي ﷺ؛ ولكنها خاضت حرب الجمل ضد الإمام علي عليه السلام ثم ندمت على ذلك، مع أن جمعاً كثيراً من المسلين قتل في تلك المعركة.

---

(١) الصدوق، الأمالي، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) تفسير نمونه؛ ونور الثقلين.

(٣) سورة التحريم: الآية ٤.

اسئلة واجوبة

١ ـ أليس معنى «يطهركم» أن أهل البيت عليهم السلام كانوا ملوثين بالذنوب فأراد الله عز وجل أن يطهّرهم؟

الجواب: لا يشترط في التطهير أن يكون المطهَّر ملوثاً؛ لأن القرآن الكريم وصف الحور العين بأنها مطهرة مع أنه لا مجال للتلوث هناك. وبعبارة أخرى: يطهركم بمعنى يحفظكم مطهرين لا أن يطهركم من لوث سابق.

٢ ـ إذا كان أهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء الخمسة فقط فلماذا جعلت هذه الآية في سياق الحديث عن نساء النبي صلى الله عليه وآله؟

الجواب:

أ ـ جملة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ نزلت بشكل منفصل؛ ولكنها جعلت هنا عند جمع القرآن.

ب ـ ورد في تفسير **مجمع البيان**: أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره، ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم.

كما لو أن المذيع في التلفزيون قال فجأة: ألفت نظركم إلى خبر عاجل وردنا الآن، فإن هذا موجب للانتباه والالتفات من قبل المستمعين. وذلك كالآية الثالثة من سورة المائدة إذ تحدّثت عن تمام الدين، وكمال النعمة، ويأس الكفار، ورضا الله عز وجل إلى جانب الآيات المرتبطة بلحم الميتة والخنزير والدم، وهذا هو سر حفظ القرآن من إرجاف المبطلين.

ج ـ إنه من ضمن الوصايا الموجهة إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، تنبيها لزوجات النبي بأنهن في بيت فيه أهل العصمة ولا بد لهن من مراعاة التقوى والمواظبة عليها.

د ـ في مورد أهل البيت عليهم السلام ورد الضمير بصيغة الجمع المذكر، وهذا دليل غلبة الرجال، وذلك خلافاً للجمل المرتبطة بنساء النبي صلى الله عليه وآله؛ فإن المستخدَم فيها ضمير المؤنث: «بيوتكن ـ أقمن، عنكم ـ يطهركم».

هـ ـ تشمل هذه الآية، وإن كان المخاطب فيها نساء النبي ﷺ، نساء المسلمين كافة، فعليهن العمل بها.

التعاليم

١ ـ المرأة إما أن تكون في البيت أو في الخارج ولكن دون تبرّج، ﴿وَقَرْنَ... وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾.

٢ ـ الرجوع إلى زمن الجاهلية ممنوع، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

٣ ـ التبرج ليس علامة على التحضّر، بل علامة على الجاهلية، ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

٤ ـ الصلاة والزكاة عنصران لا ينفكان وبينهما تلازم تام، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ... ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٥ ـ تجب طاعة الرسول إلى جانب طاعة الله ﷻ، ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ﴾.

٦ ـ الذنب رجس معنوي، وأهل بيت النبوة ينبغي أن يكونوا في بعد عن هذا الرجس، ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

إشارات

- قالوا إن لكلمة «ذكر» معنيين هما: التذكر والآخر القول باللسان. وعليه؛ فالمراد من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ إما أن على نساء النبي ﷺ أن يتذكرن أن كتاب الله أنزل في بيوتهن، أو بمعنى أن يذكرن لسائر الناس ما يتلى في بيوتهن من كتاب الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ يوصي القرآن الكريم بتلاوة القرآن في البيوت وتكراره من قبل أهل تلك البيوت، ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ... مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ بدل اتّباع ثقافة الابتذال يجب اتّباع الثقافة الدينية، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَٱذْكُرْنَ﴾.

٣ ـ جعل المرأة في بيتها والحد من خروجها لا يعني إطلاقاً تخلفها عن العلم والحكمة، ﴿وَقَرْنَ... وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَٱذْكُرْنَ... ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

٤ ـ العمل الحسن يطلب بنحو آكد من بيت النبوة، ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾؛ (العيش في بيت النبوة يولّد تكاليف خاصّة).

٥ ـ الأمر بقرار المرأة في بيتها، نهيها عن التبرّج، أداء الصلاة والزكاة، وذكر الآيات يرجع إلى اللطف الإلٰهيّ بالنساء وعلمه بالمصالح والمفاسد، ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

- بعد أن تعرّضت الآية السابقة للأوامر الموجهة إلى زوجات النبي ﷺ، تذكر الآية عشر صفات كمالية، للرجال والنساء كافة، ترتبط بالمسائل العقديّة، والأخلاقيّة، والعلمية.

- تتضح أهميّة هذه الآية عندما نلحظ ذلك التمييز الموجود لدى العرب والعجم في موضوع الرجل والمرأة.

- الفرق بين الرجل والمرأة في الجسم. فالروح لا فرق فيها بينهما، وكافة الكمالات البشرية ترتبط بالروح لا بالجسم. ولذا كانت كافة الكمالات الواردة في هذه الآية بنحو التساوي بين الرجل والمرأة.

التعاليم

١ ـ إنما يصبح الإنسان كاملاً إذا حاز على كافة الكمالات لا على بعضها فقط، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ...﴾.

٢ ـ من دلائل كون الإسلام جامعاً أنه يلحظ الكمال في كافة الأبعاد سواء العقدي منه أم الأخلاقي أم العلمي، الفردي أم الاجتماعي، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ...﴾.

٣ ـ ترغيب الآخرين بفعل الخير يكون بذكر أهل الخير بالتبجيل والاحترام، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ...﴾.

٤ ـ تطوّر الإنسان يتم بشكل مرحلي وخطوة بعد أخرى، (فالإسلام يبدأ باللسان أولاً، ثم الإيمان بالقلب، ثم الطاعة، فالصداقة، فالصبر وإلى غير ذلك، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ... ٱلْمُؤْمِنِينَ... ٱلصَّٰبِرِينَ﴾).

٥ ـ الإنسان الكامل مضافاً إلى إقراره باللسان (الإسلام) والاعتقاد بالقلب (الإيمان) لا بد له من أن يتحكم بشهوة البطن والفرج أيضاً.

- التحكم بشهوة البطن بالصوم، ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ﴾.
- التحكم باللسان بالصدق، ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.
- التحكم بالشهوة الجنسيّة بالابتعاد عن الحرام، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾.
- مواجهة الغرور بالتواضع، ﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.
- مواجهة الغفلة بذكر الله ﷻ، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ﴾.
- مواجهة المصاعب والمشاق بالصبر، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.
- عدم الغفلة عن المحرومين بالإنفاق عليهم، ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

٦ ـ يهتم الإسلام بالكم وبالنوع، (ففي مسألة الكم يقول تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وفي مورد النوع يقول تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾، (أي الطاعة مع الخشوع والخضوع).

٧ ـ للمرأة حق التملك والإنفاق، ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾.

٨ ـ يجب أن نعلم أن كل ما نوفق إليه فهو من عند الله ﷻ، (ذكر الله خاتمة الكمالات)، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

٩ ـ الرجل والمرأة سواء في تلقي الكمال المعنوي والإنساني، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾.

١٠ ـ العمل الصالح مفتاح المغفرة الإلهيّة، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾.

١١ ـ المغفرة الإلهيّة أولاً، ثم تلقي الثواب، ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- إذا كان المسلم موقناً بهذه الآية، فقد قال النبي ﷺ في غدير خم وبأمر من الله ﷻ: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»[1] فهل يُقدِّم أحداً على علي عليه السلام.
- هذه الآية توطئة للآية التالية التي تأمر النبي ﷺ بتحطيم أعراف الجاهلية، وأنه ليس للناس الحق في اتّباع ما يريدون مقابل الإرادة الإلٰهيّة.
- دلالة الآية على أنه ليس لأحد الحق في اختيار غير ما يريده الله ورسوله، لا ينبغي أن تكون مثاراً للتعجب؛ لأن ذلك كقول الطبيب للمريض ليس لك الحق في أن تأكل ما لا أسمح به، أو تشرب من الدواء ما لا أصفه لك. فهنا منعٌ إلهي من أن يكون اختيارنا طبقاً للميل الشخصي مقابل الأوامر الإلٰهيّة، لأنه أعلم بما فيه سعادتنا.

وقد ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب... ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين**»[2].

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص ١٧٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٥٤٥.

☐ المحور في نظام الدولة الدينيّة هو الله ﷻ، وهو الحاكم على الديموقراطيّة ورأي الناس؛ لأن رأي الناس إنما يكون معتبراً ما لم يكن مخالفاً لما يريده الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ العمر، والعلم، والعرق، والقوة، والثروة، والشهرة، والعشيرة، والأنصار، والمؤسّسات الدولية، جميعها، لا تكون سبباً في ثبوت حق لأحد في مواجهة القانون الإلٰهيّ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.

٢ ـ التعبد أمام الله ﷻ ورسوله علامة الإيمان، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.

٣ ـ لا فرق بين الرجل والمرأة في التسليم والتعبّد، ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.

٤ ـ كل من يأتي بقانون مخالف للقانون الإلٰهيّ ولسنة النبي ﷺ فعليكم الشك بإيمانه، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾.

٥ ـ أوامر النبي الأكرم ﷺ كالأوامر الإلٰهيّة يجب الالتزام بها، ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

٦ ـ لله ﷻ ولرسوله ﷺ الولاية التامة على أمور الناس، ﴿قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْرًا﴾.

٧ ـ الاجتهاد مقابل النص منهي عنه، (حيث يكون الحكم الإلٰهيّ واضحاً بيّناً؛ فليس لأحد حق الاعتراض وتقديم اقتراحات بديلة)، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

٨ ـ حرّية الإنسان لا بد من أن تكون ضمن إطار القانون الإلٰهيّ، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

٩ ـ العقل تابع للوحي، والطبع لا بدّ من أن يكون تابعاً للتكليف، ﴿وَمَا كَانَ... لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

١٠ ـ أي اختيار أو رأي مخالفٍ للقانون الإلٰهيّ أو لحكم الله ورسوله، فهو معصية وانحراف بيّن، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ... ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- «الأدعياء» جمع «دعي»، وهو الولد المتبنى. «والوطر» بمعنى «الحاجة».
- نزلت هذه الآيات ـعلى قول أغلب المفسرين ـ في قضيّة زواج (زينب بنت جحش) ـبنت عمة الرسول الأكرم ـ بزيد بن حارثة مولى النبي ﷺ المعتق. والقصة كما يلي: كانت خديجة قد اشترت قبل البعثة وبعد زواجها بالنبي ﷺ عبداً اسمه زيد، ثم وهبته للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ، فلما طردته عشيرته وتبرأت منه تبناه النبي ﷺ. وبعد ظهور الإسلام أصبح زيد مسلماً مخلصاً متفانياً، وأصبح له موقع ممتاز في الإسلام، وكما نعلم فإنه أصبح في النهاية أحد قواد جيش الإسلام في معركة مؤتة واستشهد فيها. وعندما صمم النبي ﷺ على أن ينتخب زوجة لزيد، خطب له (زينب بنت جحش)، فكانت زينب تظن أن النبي ﷺ يريد أن يخطبها لنفسه، فسرت ورضيت، ولكنها لما علمت فيما بعد أن خطبته كانت لزيد تأثرت تأثراً شديداً وامتنعت، وكذلك خالف أخوها عبد الله هذه الخطبة أشد مخالفة. هنا نزلت الآية الأولى من الآيات مورد البحث وحذرت زينب وعبد الله وأمثالهما بأنهم لا يقدرون على مخالفة أمر يراه الله ورسوله ضرورياً، فلما سمعا ذلك سلّما لأمر الله.

غير أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، بل انتهى إلى الطلاق نتيجة عدم الانسجام واختلاف أخلاق الزوجين، بالرغم من أن النبي الأكرم ﷺ كان مصراً على أن لا يتم هذا الطلاق.

ولكن زيد طلقها وبهذا عانت زينب مشكلتين: مشكلة زواجها من زيد إذ لم يكن المجتمع يتقبل ذلك، ومشكلة طلاقها منه.

❑ كان رسول الله ﷺ مأموراً بتحطيم سنتين جاهليتين:

أ ـ معاملة الولد المتبنى كالولد الحقيقي في زمان الجاهلية.

ب ـ الزواج من طليقة العبد المتبنى حيث كان فعلاً قبيحاً في الجاهلية.

❑ بعد ذلك تزوج النبي ﷺ من زينب وخصها بأن أطعم الناس ما لم يطعمه عند زواجه من سائرهن. ولما كان تعبير الآية هنا ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ كانت زينب تفتخر على سائر زوجات النبي ﷺ بأن زواجهن كان من رسول الله ولكن زواجها كان بأمر من الله ﷻ.

❑ **سؤال:** ما هو المراد من جملة: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؟

الجواب: ورد عن الإمام الرضا ﷺ في جوابه عن أسئلة المأمون له عن عصمة الأنبياء: «**أما محمد ﷺ وقول الله ﷻ**: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾، **فإن الله تعالى عرف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وأحد من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى ﷺ اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين**»[1]. وعليه فالنبي ﷺ لم يرتكب ما يخل بالعصمة ومقام النبوة.

❑ الأوامر على نحوين: مولوية، وهي لا بد من العمل بها، وإرشادية، وهي الأوامر التي يكون العمل بها لصالح هذا الإنسان. وقول النبي ﷺ لزيد: أمسك عليك زوجك، كان أمراً إرشاديا لا غير، وإلا لم يكن معنى لقول الله ﷻ: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ مع أنه خالف أمر النبي ﷺ هذا وطلق زوجته. كما إنه قد ورد في الآية السابقة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

❑ لم يكن النبي ﷺ عازماً على الزواج من زينب؛ لذا أمر زيداً بإمساك زوجه

---

(١) تفاسير: الميزان في تفسير القرآن؛ ونور الثقلين؛ وعيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٨١.

وعدم طلاقها، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

□ بملاحظة ما سوف يأتي في الآية التالية: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾، فإن المبلغ لدين الله لا يخاف أحداً، والمراد من خشية النبي ﷺ في: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ هو الخوف من الفشل في تحقيق الهدف المرجوّ؛ لأن الناس قد تقول إن النبي ﷺ قد تزوج من زوجة عبد، أو من زوجة ابنه المتبنى.

التعاليم

١ ـ الأنبياء هم المرجعية لحل مشاكل الناس، (رَاجَعَ زيد بن حارثة النبي مرات عدة وكان النبي يأمره بإمساكها)، ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾.

٢ ـ الله ﷻ ورسوله هم أولياء النعم، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ... وَأَنْعَمْتَ﴾.

٣ ـ عند بيان النعم لا بد أولاً من بيان النعم المعنوية، ثم النعم المادّية والدنيوية: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ والمراد من ذلك هداية زيد إلى الإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ المراد منها عتق عبد وتحريره من الرق.

٤ ـ الإسلام والحرّية نعمتان عظيمتان، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بأن وُفّق للإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن حُرِّر.

٥ ـ إذا أردت ذكر صفة شخص بدل ذكر اسمه فاختر أفضل الصفات، ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾.

٦ ـ إذا شكا أحد في مشكلة زوجية فلا تتخذ قراراً مباشراً بالتفريق والطلاق، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؛ (فالإسلام من أنصار تثبيت العلاقة الزوجية).

٧ ـ لا بد من الاستفادة من العاطفة والتقوى في الأمر بالمعروف، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

٨ ـ التقوى سبب لتقوية أواصر الأسرة، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

٩ ـ كون الإنسان ولي النعمة سبب لثبوت حق الأمر والنهي له، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.

١٠ ـ يترتب على كون الإنسان حاسماً وحازماً أن يواجه الأفكار الفاسدة

والمنحرفة حتى لو كانت أفكاراً تسود المجتمع، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

١١ ـ لا ينبغي الخوف من أقاويل الناس إذا أردنا تحطيم بعض العادات الاجتماعيّة الخاطئة، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

١٢ ـ لا ينبغي انتظار تأييد المجتمع الدولي وغيره عندما نريد إنفاذ أمر الله، ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

١٣ ـ لا ينحصر الطلاق في حالات النشوز من المرأة، (أي عدم رغبتها في الرجل وعدم تمكينها له)، ﴿قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾.

١٤ ـ الزواج من الحاجات الإنسانيّة الثابتة، ﴿وَطَرًا﴾ أي حاجة مهمة وأساس.

١٥ ـ لا بد من استخدام الكناية في المسائل الجنسية، ﴿قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾.

١٦ ـ على قادة الدين أن يكونوا سباقين إلى تحطيم العادات والسنن الباطلة، ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، (ففتح باب الحق للآخرين أمر مهم).

١٧ ـ المرأة المطلقة محترمة والزواج منها ليس معيباً، ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

١٨ ـ التمسك بالأعراف والتقاليد غير الدينيّة سبب للوقوع في الحرج، ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾.

١٩ ـ يجوز الزواج من زوجة الولد المتبنى بعد طلاقه لها، ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

إشارات

❑ هذه الآية بمثابة إعلان حاسم على أن قادة الدين لا بد لهم من تحطيم الحواجز، وعدم الخوف من ملامة الناس، وعدم انتظار رضاهم.

❑ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها (زوجة

زيد الابن المتبنى للنبي ﷺ)، فأنزل: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾[1].

التعاليم

١ ـ لا ينبغي للنبي ﷺ أن يعتني بحديث الناس إذا أراد إنفاذ أمر الله ﷻ، ﴿مَّا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾.

٢ ـ قد يكون للنبي ﷺ وظائف وتكاليف خاصة به، ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾.

٣ ـ الأنبياء كافة حطموا الحواجز وحاربوا التقاليد المنحرفة عند الناس، ﴿مِن قَبْلُ﴾.

٤ ـ السنة الإلٰهيّة قضت بتحطيم السنن الخاطئة، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ الأمر الإلٰهيّ مقدر ولا بد من إنفاذه، ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

- تحدّثت هذه الآية عن شجاعة المبلغ لدين الله وحزمه في بيان الأحكام الإلٰهيّة للناس. ولكن علينا أن ندرك أن المداراة، والليونة، والسكوت قد تكون أموراً لازمة أحياناً لجذب القلوب.

- الخشية غير الخوف. فالخشية هي التأثر القلبي الناشئ من عظمة أمر ما، ولكن الخوف هو انتظار وقوع أمر غير محبوب يجب الحذر منه. والأنبياء لا يخشون أحداً إلا الله، لأنهم لا يرون أحداً إلا الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ نجاح العمل التبليغي رهن بـ:

أ ـ استمراره ودوامه، ﴿يُبَلِّغُونَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين؛ وعيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٣.

ب ـ التقوى في العمل، ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾.

ج ـ الحزم والصلابة، ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

د ـ التوكل على الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

٢ ـ التبليغ لا يكون دائماً عن طريق الخطابة، بل لا بد أحياناً من اتّباع أسلوب العمل لبيان حكم الله ﷻ، (فقد ورد في الآية السابقة الأمر بالزواج من زوجة زيد لأجل القضاء على عرف خاطئ، وهنا: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ لأصحاب الدعوة إلى الله ﷻ أعداء على الدوام، ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾.

٤ ـ الخوف من الله مقدمة للشجاعة والشهامة، ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾.

٥ ـ على الداعية إلى الله ﷻ أن يعلم أن كل ما يتحمله ويصبر عليه فإن حسابه عند الله ﷻ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

□ وردت في هذه الآية مفردة «رسول» ومفردة «نبي»، والرسول هو من له كتاب، والنبي هو المخبر. أو أن الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، والنبي: من بعثه لتقرير شريعة سابقة[١].

□ «الخاتم» بمعنى ما يوضع للزينة، وكانوا قديماً يحفرون الاسم على فص الخاتم لكي يمهروا بها آخر رسائلهم. وهو هنا كناية عن آخر أنبياء الله ﷻ.

□ على الرغم من تعدد الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على أن رسالة النبي محمد ﷺ هي رسالة عالميّة خالدة نحو: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٢]؛ ﴿لِأُنذِرَكُم

(١) معجم الفروق اللغوية.
(٢) سورة الفرقان: الآية ١.

بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[1]؛ ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[2]؛ وعلى الرغم مما ورد في الروايات من الحديث المتواتر: **«لا نبي بعدي»**[3]، والحديث المعروف: **«حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة»**[4]، وعشرات الروايات الأخرى، إلا أن هذه الآية هي أوضح دليل على ختم النبوة بالنبي ﷺ.

□ هذه الآية هي الآية الوحيدة التي تعرضت لاسم النبي ولكونه رسول الله في صفتين: (محمد)، (رسول الله)، ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

اسئلة واجوبة

١ ـ لماذا استغنى الناس عن الحاجة إلى النبي بعد الإسلام؟

الجواب: السبب الأساس لتجديد النبوة ومجيء أنبياء جدد يعود إلى أحد أمرين: إما التحريف الذي يقع في الدين السابق، بنحو يطال التحريف الكتاب أو تعاليم النبي السابق؛ وإما تكامل البشر على مر التاريخ الموجب لنزول قوانين أشمل وأتم.

وأما بعد نبوة نبي الإسلام ﷺ فلم يحدث شيءٌ من هذا، لأنه: أولاً: لم ينل القرآن شيء من التحريف، بل هو محفوظ بين الناس دون نقص حتى بكلمة واحدة، وثانياً: إن الإسلام احتوى على القوانين التامة والجامعة، فما من حكم يحتاج إليه البشر، وبعلم من الله ﷻ إلى يوم القيامة، إلا وقد بُيِّن في الإسلام.

٢ ـ كيف يمكن الجمع بين الحاجات المتغيّرة للإنسان وخاتمية الدين الإلٰهيّ؟

الجواب: يحتاج الإنسان إلى الأستاذ في مراحله الدراسية إلى أن يصل إلى مرحلة الاجتهاد أو ينال شهادة الدكتوراه، ومتى وصل إلى ذلك استغنى عن الحاجة إلى الاستاذ، لأنه قد تعلم القواعد العامة ويمكنه من خلال ما لديه من اجتهاد أن يستنبط الأحكام الجديدة التي يحتاج إليها من القواعد العامة. نعم دوّن الفقهاء أصولاً وقواعد لاستخراج هذه الأحكام من القواعد العامة.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.
(٣) الكافي، ج٨، ص ٢٦.
(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٨.

٣ ـ لماذا انقطعت علاقة البشر بالغيب؟

الجواب: الوحي لا ينزل؛ ولكن علاقة البشر بالغيب لم تنقطع، فالإمام المعصوم عليه السلام حاضر، وتنزل عليه الملائكة[١]. فالمدد الغيبي يصل إلى من يستحق من البشر؛ حتى البشر العاديون يجدون نوراً إلهياً يبين لهم الطريق من خلال التقوى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ... وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾[٢].

التعاليم

١ ـ الولد المتبنى لا يصير ولداً نسبياً، ولا يصبح الأب أباً نسبياً له حتى يحرم عليه الزواج من طليقته، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

٢ ـ حكم أمهات المؤمنين، وهن زوجات النبي صلى الله عليه وآله (الوارد في الآية السادسة من هذه السورة)، ليس دليلاً على حكم الأبوة للنبي صلى الله عليه وآله، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ...﴾.

٣ ـ خاتمية نبي الإسلام تقوم على أساس العلم والحكمة الإلهيين، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ... اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾

إشارات

- ذكر الله عز وجل لا يقتصر على اللسان، بل لا بدّ من أن يكون السعي لرضا الله عز وجل في كل تفكير، وفعل، وعمل.

وقد تعرض القرآن الكريم لآثار ذكر الله عز وجل وبركاته، فمن حكم الصلاة أنها ذكر الله عز وجل، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[٣]؛ وذكر الله وسيلة لسكينة القلوب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٤]، وعروج النفس المطمئنة إلى بارئها ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[٥]. كما إن الإعراض عن ذكر الله موجب لضنك الحياة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٦].

---

(١) انظر: كتاب الإمامة من أصول الكافي.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٨.
(٣) سورة طه: الآية ١٤.
(٤) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٥) سورة الفجر: الآيتان ٢٧ و٢٨.
(٦) سورة طه: الآية ١٢٤.

- قالوا: إن تسبيح السيدة الزهراء عليها السلام مصداق الذكر الكثير[١].
- ورد عن رسول الله: **«أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر...»**[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِلَّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ»**[٣].

- ورد في الحديث: **«إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال ذكر الموت وتلاوة القرآن»**[٤].
- وقد ورد في عدد من الروايات أن الذكر ليس باللسان وحده؛ **«ولكن ذكر الله في كل مواطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته»**[٥].

التعاليم

١ ـ الخطاب الحسن والمليء بالمحبة وسيلة لجذب الناس وباب لتقبلهم الحديث، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢ ـ ذكر الله إنما يؤثر في الإنسان متى كان دائماً ومستمراً، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾.

٣ ـ أفضل ذكر الله عز وجل التسبيح، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ... وَسَبِّحُوهُ﴾.

٤ ـ بدء النهار ونهايته لا بدّ من أن يكونا بذكر الله عز وجل، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية السابقة الأمر بذكر الله كثيراً، وفي هذه الآية حديث عن صلاة الله عليكم، وهما معاً كقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[٦].

---

(١) ميزان الحكمة وسفينة البحار (مادة ذكر).
(٢) نهج الفصاحة، ص ٢٠٤.
(٣) الكافي، ج٢، ص ٤٩٩.
(٤) نهج الفصاحة، ص ٣٤٤.
(٥) سفينة البحار، مادة: «ذكر».
(٦) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

التعاليم

١ ـ المحبة والرحمة طريق لدعوة الناس إلى الدين، ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ... لِيُخْرِجَكُمْ﴾.

٢ ـ الملائكة يصلّون على المؤمنين، ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم﴾ ويستغفرون لهم أيضاً، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

٣ ـ العلم والعقل البشريّ لا يكفي لإخراج الإنسان من الظلمات، بل لا بد له من المدد الإلٰهيّ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي... لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

٤ ـ الظلمات عديدة، ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، ظلمة الجهل، والشرك، والتفرقة، والغفلة، والخرافات.

٥ ـ الإيمان بالله ﷻ وبالحقائق الإلٰهيّة يضيء للإنسان الطريق، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٦ ـ الإيمان مفتاح تلقي الرحمة الإلٰهيّة الخاصة، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

- كلمة «تحية» من «الحياة»، بمعنى الدعاء بالسلامة للآخرين.
- المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يوم الملاقاة وهو يوم القيامة، إذ يلاقي الإنسان ربه بعد زوال الحجب عن القلب؛ فيصل الإنسان إلى مقام الشهود الباطني[2].
- السلام:

ـ منَ الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[3].

ـ ومن الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[4].

---

(١) سورة غافر: الآية ٧.
(٢) تفسير نمونه.
(٣) سورة يس: الآية ٥٨.
(٤) سورة الرعد: الآية ٢٤.

ـ علامة السلامة: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[(١)].

ـ كلام أهل الجنّة: ﴿قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾[(٢)].

التعاليم

١ ـ السلام تحية أهل الجنّة، ﴿تَحِيَّتُهُمۡ... سَلَٰمٞۚ﴾.

٢ ـ الثواب الإلٰهيّ كريم وعظيم، ﴿أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾، ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[(٣)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾

إشارات

□ في الآيتين بيان لدور النبي الأكرم ﷺ في المجتمع. فهو يدعو الناس إلى الله ﷻ، ووسيلة هذه الدعوة التبشير والإنذار، ولكن باللسان والعمل، فهو بذلك يكون الحجة والقدوة.

التعاليم

١ ـ ينبغي إعلام الناس بدور بعض الأفراد والمسؤولية الملقاة عليهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ...﴾.

٢ ـ التعظيم والاحترام لازمان في مقابل أذى الأعداء، ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾، ونقرأ في الآية التالية: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾.

٣ ـ النبي ﷺ شاهدٌ على أعمال العباد، ﴿شَٰهِدٗا﴾.

٤ ـ من يحق له التبشير والإنذار لا بدّ من أن يكون شاهداً على أعمال الناس وأفعالهم، ﴿شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا﴾.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٦.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٢٦.
(٣) سورة النساء: الآية ٤٠.

٥ ـ التبشير والإنذار أمران لازمان في العمل التبليغي، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٦ ـ التبشير والإنذار وسيلتا دعوة الأنبياء، ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا﴾.

٧ ـ الأنبياء يدعون الناس إلى الله ﷻ لا إلى أنفسهم، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ لا استقلال للأنبياء بالقياس إلى الله ﷻ، فتكليفهم منه ونجاتهم ودعوتهم بإذنه، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾.

٩ ـ النبي نور هداية في المجتمع، وهذا النور هو سبب تطوّر المجتمع وضياء حركته، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

- تجاهل أذى الأعداء لا يعني الضعف وعدم القدرة على مواجهتهم، بل يعني التوكل والأمل برحمة الله ﷻ كي لا يؤدّي آذاهم للتراجع.
- النبي مأمور من الله ﷻ بأن يبشر المؤمنين بالفضل الإلٰهيّ الخاص الذي يشملهم، وهو بنفسه من عظيم لطف الله ﷻ.
- هذه الآية ﴿وَبَشِّرِ...﴾ هي مصداق الآية السابقة: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾.

التعاليم

١ ـ الإيمان شرط لتلقي الألطاف الإلٰهيّة الخاصة، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ على القائد أن يبشر المؤمنين، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ ـ يعامل الله ﷻ المؤمنين بفضله، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا﴾. نعم، فضل الله على العباد على درجات ومراتب، ﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

٤ ـ من يتعلق بمصدر قوة الحق تعالى يمكنه أن ينفصل عن أهل الانحراف، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا... وَلَا تُطِعِ...﴾.

٥ ـ تجاهل أذى الكفار والمنافقين والثبات في مواجهتهم تحتاج إلى توكل، ﴿وَلَا تُطِعِ... وَدَعْ أَذَىٰهُمْ... وَتَوَكَّلْ﴾.

٦ ـ الكفار والمنافقون في جبهة واحدة، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فهما معاً يؤذون المؤمنين، ﴿أَذَىٰهُمْ﴾.

٧ ـ في بعض الحالات تكون وظيفة القائد الإرشاد فقط، دون أن يسعى لمقابلتهم بالمثل أو الانتقام منهم، ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾.

٨ ـ يجب على الإنسان أن يتوكل على الله؛ لأنه وكيل كاف وواف، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾

إشارات

- المراد من النكاح عقد الزواج، والمراد من المسّ الوطء، والسراح هو الجميل الطلاق دون خصومة وعنف.
- «العدة» تطلق على المدة التي لا بد للمرأة المطلقة فيها من أن تنتظر نهايتها قبل أن تتزوج من رجل آخر. وعدة طلاق المرأة ثلاث طهور، وعدة وفاة الزوج أربعة أشهر وعشرة أيام.
- بعض النساء لا عدة لهن وهن: من لم يتحقق وطؤها، اليائسة (المرأة بين ٥٠ و٦٠).
- ورد في الآية ٢٣٦ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.
- «عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، قَالَ: **مَتِّعُوهُنَّ أَيْ جَمِّلُوهُنَّ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّهُنَّ يَرْجِعْنَ بِكَآبَةٍ وَوَحْشَةٍ**

وَهَمٌّ عَظِيمٌ وَشَمَاتَةٍ مِنْ أَعْدَائِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي وَيُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ أَشَدُّكُمْ إِكْرَاماً لِحَلَائِلِهِم»[1].

التعاليم

١ ـ من لوازم الإيمان العمل بما أمره به الله ﷻ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ...﴾.

٢ ـ حقّ الطلاق بيد الرجل، ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾؛ إلا في بعض الموارد المحددة من قبل الشارع.

٣ ـ الإيمان أهم شرط في الزواج، ﴿ءَامَنُوٓاْ... نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

٤ ـ الطلاق ليس دليلاً على عدم التدين، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ... طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾.

٥ ـ العدة حق للرجل إذا أراد الرجوع إلى الزوجة، وأما في الطلاق قبل الدخول فلا حق للرجل بالرجوع، ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ﴾.

٦ ـ لا بد من جبران الخسارة المعنوية، ففي الطلاق بعد العقد خسارة معنوية للمرأة؛ لذا لا بد من جبران ذلك بدفع المهر المناسب، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

٧ ـ الطلاق والانفصال لا يبرّران الحقد والعنف، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠﴾

إشارات

□ «أفاء» من «الفيء»، ويطلق على الأموال التي يغنمها المسلمون دون قتال. كلمتا

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ٥٠٦.

«عم» و«خال» تطلقان في اللغة العربيّة على الجنس وتشملان كل عم وخال، ولكن «العمة» و«الخالة» تأتيان بصورة الجمع (عماتك، خالاتك).

□ توجد أنواع ثلاثة من النكاح في الإسلام:

أ ـ النكاح مع المهر، (دائماً كان أو موقتاً).

ب ـ النكاح بملك اليمين (الإماء).

ج ـ النكاح دون مهر وهو أن تهب المرأة نفسها للرجل.

أما النوعان الأول والثاني فهما مشروعان للمسلمين كافة، وأما النوع الثالث فمشروعيته تختص برسول الله ﷺ. وقد ورد أن عائشة قالت للنبي ﷺ: «وإنك إن أطعت الله سارع في هواك»[1].

□ الجهاد واجب على النبيّ ولو كان وحيداً: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، كما تجب عليه صلاة الليل، فهذا الاختصاص الماديّ ليس شيئاً أمام ما تحمّله النبي ﷺ[3].

□ **سؤال**: لماذا تعددت زوجات رسول الله ﷺ؟

الجواب: **أولاً**: لم تكن الشهوة هي الأساس في زواج النبي ﷺ؛ لأن النبي الكريم عاش من سن ٢٥ حتى سن ٥٣ مع خديجة فقط، وهي امرأة كانت تكبر النبي ﷺ بخمسة عشر سنة، ولم يتزوج النبي امرأة في حياتها.

ثانياً: إن القبائل كافة قد اجتمعت على النبي ﷺ وكان عليه، وبتخطيط دقيق، أن يواجه هذا الاجتماع والتحالف ضدّه، وأفضل طرق ذلك وأبسطها كان بمصاهرته ﷺ لمختلف القبائل، وقد كانت من أعراف الناس وتقاليدهم في ذلك الزمان الدفاع عن الصهر وحمايته، وبهذا تمكن النبي من تذليل بعض العقبات أمام نشر الدين.

ثالثاً: إنّ بعض حالات زواج النبي ﷺ كان لتحطيم بعض الأعراف

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٨٠. (٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٣) ورد عن النبي ﷺ قوله: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**». بحار الأنوار، ج٣٩، ص ٥٦.

والتقاليد الخاطئة بين الناس، كما في حالة زواجه من ابنة عمته زينب، وقد تعرضنا لها في الآية ٣٧ من هذه السورة.

رابعاً: كانت بعض زيجاته ﷺ مجرّد عقدٍ، ولم تنشأ بينه وبين بعضهنّ علاقة زوجية كاملة، كما إنه لم يتجاوز حد خطبة النساء من بعض القبائل ولم يعقد عليهن، وهذا كان وسيلة ارتباط.

خامساً: لو كان الهدف جنسياً لكان ينبغي أن يكون للنبي أسرة كبيرة من هذه الزوجات المتعددات.

سادساً: إن النبي ﷺ تزوج عائشة وكانت صغيرة السن، ولم يتمكن من البناء بها إلا بعد مدة من الزمن. فلو كان الهدف جنسياً ما كان ليتزوج طفلة.

سابعاً: لا ينبغي أن نقيس النبي ﷺ بأنفسنا، فنحن قد يعيقنا وجود زوجة واحدة عن الاهتمام بالأمور المعنوية وتحصيل الكمال؛ ولكن النبي ﷺ لم يشغله هذا العدد من الزوجات عن التعبّد والاشتغال بالمعنويّات والعمل على هداية الناس حتى خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾[1]، أو قوله تعالى: ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾[2]، نعم فنسيم المعرفة يشمل وجود النبي ﷺ بنحو لا يمكن أن يعيقه من الرقي هذه الزيجات المتعدّدة.

إذاً، تعدد زوجات النبي ﷺ كان بعد سن الخمسين وكان من نساء مطلقات ومتروكات مع رغبتهن في الزواج، ولأجل تطبيق العدالة بين الزوجات من قبل النبي بما يكون درساً عملياً لكيفية إدارة حالات تعدد الزوجات، واختيار الحياة البسيطة دون إطاعة رغبات بعض الزوجات في الزينة والمباهاة. مضافاً إلى أن ذلك صدر من النبي ﷺ في زمان لم يكن تعدد الزوجات فيه عيباً، بل لعل الزوجة الأولى كانت تذهب لخطبة الزوجة الثانية. هذا مضافاً إلى ملاحظات أخرى لا بدّ من أن تؤخذ بالاعتبار.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٣.
(٢) سورة طه: الآية ٢.

التعاليم

١ ـ تعيين الحلال والحرام بيد الله ﷻ، ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ﴾، (فالنبي ﷺ تابع للقانون الإلٰهيّ في مسائله الخاصة).

٢ ـ المهر لازم للمرأة ويجب على الرجل أداؤه، ﴿ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

٣ ـ لا بد من إشباع الغريزة الجنسية، فهذه الحاجة فطرية موجودة عند الناس، ومنهم الإماء والعبيد فلا ينبغي إهمال هذا الأمر عندهم، ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾.

٤ ـ خص الإسلام النبي الكريم ﷺ ببعض الأحكام والتكاليف، ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾.

٥ ـ تحديد من يصح الزواج منها من النساء بيد الله ﷻ، ﴿فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾.

٦ ـ لا يريد الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يقع في الحرج، ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾.

﴿۞تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾

إشارات

- كلمة «ترجي» من «الإرجاء» بمعنى التأخير، وكلمة «تؤوي» من المأوى بمعنى تقديم المسكن. وهاتان المفردتان كناية عن الطلاق، أو الإمساك، أو التأخير والتقديم في المضاجعة.

- العدل واجب بين النساء، ولكن النبي ﷺ وبسبب الصعوبات التي كان يواجهها في الدعوة وجهاده أعداء الدين، كان له الحق في تغيير تقسيم الليالي على النساء، فله أن يبقى أكثر من ليلة عند إحداهن[1]. نعم ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية تتحدث عن أن الخيار للنبي ﷺ في مقدار النفقة قلة وكثرة، أو رد طلب المرأة التي وهبت نفسها النبي له القبول به، أو طلاق المرأة ثم الرجوع إليها.

---

(١) وهو المستفاد من رواية في الكافي، ج ٥، ص ٣٨٨.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن يكون لبعض أصحاب المسؤوليات العظام صلاحيات خاصة، ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾، (عندما تكون عدالة الشخص محرزةً وتقواه واضحةً، يمكنه التقديم والتأخير والتخفّف من بعض القيود الشكليّة. فأزواج النبيّ ﷺ، عليهنّ أن لا يخشين حيفه عليهنّ أو نقصه من حقوقهنّ بتقديم ليلة واحدةٍ منهنّ على غيرها).

٢ ـ ثبوت الصلاحيات للنبي ﷺ لا يعني تجاهل حق زوجاته، ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ... وَلَا يَحْزَنَّ... وَيَرْضَيْنَ﴾.

٣ ـ قرة عين المرأة في أمرين: عدم الحزن والرضا، ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ﴾.

٤ ـ تحصيل رضا الزوجة لا ينبغي أن يكون في الأيام الأولى من الزواج فقط، بل يجب أن يكون على الدوام، ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾.

٥ ـ تحصيل رضا الزوجة مائة بالمائة مستحيل بحسب العادة؛ ولكن لا بد من العمل على ما يكون قريباً من ذلك، ﴿أَدْنَىٰٓ أَن... وَيَرْضَيْنَ﴾.

٦ ـ على الرجل أن يسعى لتحصيل رضا كافة نسائه، ﴿كُلُّهُنَّ﴾.

٧ ـ الأحكام الإلٰهيّة تكاليف لإقامة العدل وحفظ الحقوق في الأسرة، وإن كان في القلوب شيء آخر، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾.

٨ ـ أحكام الأسرة في الإسلام نابعة من العلم الإلٰهيّ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

□ كان النبي ﷺ يتعرض لضغوط بعض القبائل ليتّخذ له زوجات منهم، ليكون لهم الفخر بمصاهرة رسول الله، وقد تزوج رسول الله ﷺ ببعض النساء لبعض المصالح؛ ولكن هذه الآية تمنع النبي من الاستمرار في ذلك.

التعاليم

١ ـ في القرآن أحكام ثابتة وأخرى متغيّرة، ﴿لَا يَحِلُّ... مِنْ بَعْدِ﴾، فالزمان عنصر مؤثّر في الأحكام.

٢ ـ تعدد الزوجات محدود حتى للنبي ﷺ، ﴿لَا يَحِلُّ... مِنْ بَعْدِ﴾.

٣ ـ الله ﷻ هو الرقيب على تبديل النبيّ ﷺ زوجةً بأخرى، ﴿رَّقِيبًا﴾.

٤ ـ النبي صلى الله عليه مكلف بأن يتلقى أحكامه من الحلال والحرام من الله ﷻ، ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- الاستئذان لدخول بيوت الآخرين لا يختص ببيت النبي ﷺ؛ لذا ورد في سورة النور: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾(١).
- تعرضت هذه الآية لبعض آداب الضيافة، وفي آيات أخرى آداب أخرى:
  - ـ السلام عند الدخول: ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾(٢).
  - ـ الرجوع عند عدم الإذن: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾(٣).
  - ـ الاهتمام بالضيف وتقديم ما يناسب من الطعام له خاصةً مع سبق الدعوة: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾(٤).

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧.
(٢) سورة النور: الآية٦١.
(٣) سورة النور: الآية ٢٨.
(٤) سورة هود: الآية ٦٩.

ـ وضع الطعام بين يدي الضيف، وليس أخذ الضيف إلى الطعام ونقله من مكانٍ إلى آخر: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[1].

وقد أشارت الروايات إلى عشرات الآداب الأخرى.

❑ «إناه» بمعنى الغذاء المطبوخ والمراد من قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾، أن لا يأتي الضيف قبل إعداد الطعام بالنحو الذي يجعله ينتظر إعداد الطعام.

❑ كان لبيت النبي ﷺ غرف متعدّدة، ولكل زوجة غرفة: ﴿بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾.

❑ الخطاب الموجه في هذه الآية إلى نساء النبي ﷺ هو خطاب كل امرأة مسلمة بدليل قوله تعالى: ﴿أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾.

❑ نظراً إلى خطر سوء استغلال مسألة الزواج من زوجات النبي ﷺ فإن الوقاية من ذلك الخطر أهم من حقهن الشخصي؛ لذا سُلب منهن حق الزواج بغير النبي، ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ﴾.

التعاليم

١ ـ الإيمان مستلزم لرعاية الآداب والأعراف الاجتماعية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ...﴾.

٢ ـ حق السكينة في البيوت حق محترم للجميع لا سيما لرسول الله ﷺ، ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾.

٣ ـ الأفضل أن تكون الضيافة في البيت، (لا في الفنادق ونحوها)، ﴿بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ... إِلَىٰ طَعَامٍ﴾.

٤ ـ لصاحب البيت الحق في عدم الإذن بالدخول، ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾.

٥ ـ الإذن بدخول البيت للآخرين يكفي ولا يلزم على كل شخص أن يطلب الإذن بنفسه، (كلمة «**يؤذن**» وردت بصيغة المجهول، أي بأي نحو تحقق إذن صاحب البيت بالدخول).

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥.

٦ ـ دعوة الضيف من سيرة النبي ﷺ ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ... دُعِيتُمْ﴾.

٧ ـ المهم هو أصل الضيافة، لا نوع الطعام، ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ... دُعِيتُمْ﴾.

٨ ـ الدين الجامع هو الدين الذي يمتلك حكم كل شيء سواء أكان تفصيلاً كضيافة الضيف أم أمراً عاماً ومهماً كقضايا الحكم والسلطة، ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ... غَيْرَ نَاظِرِينَ... فَانتَشِرُوا...﴾.

٩ ـ لا تذهب إلى طعام دون دعوة، ﴿إِذَا دُعِيتُمْ﴾.

١٠ ـ يتمكن حتى عامة الناس في الإسلام من التردد على بيت الشخصيّة الدينيّة الأولى فيكون ضيفاً، ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ... دُعِيتُمْ﴾.

١١ ـ من آداب الضيافة ترك البيت بعد تناول الطعام، ﴿فَانتَشِرُوا﴾، ولا نجعل من البيت مجلس أنس وحديث، ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾.

١٢ ـ يحرم إيذاء المضيف، ﴿يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ (ومن مصاديق إيذائه، اصطحاب من ليس مدعوا كالأولاد أو الأصدقاء، واستقلال الطعام وذمّه).

١٣ ـ النبي ﷺ كان يتأذى من إتلاف وقته بحديث لا فائدة فيه، ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾.

١٤ ـ الأذى لا يقتصر أمره على الأذى الظاهري والجسماني؛ بل من الأذى ما يكون معنوياً وأخلاقياً، ﴿ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي﴾.

١٥ ـ لا تجعلوا صاحب المنزل يسكت من باب الحياء، ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾.

١٦ ـ السكوت الذي يكون عن حياء ليس علامة على الرضا، ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾.

١٧ ـ النبي الأكرم ﷺ يمتاز بالحياء، ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾.

١٨ ـ لو أن شخصاً سكت حياء، فعلى الآخرين أن يكسروا الصمت ويبيّنوا الحق ويرفعوا حاجز الحياء، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

١٩ ـ لا مانع من الحديث مع النساء والتعامل معهنّ إذا كان ذلك مع حفظ الحجاب، ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

٢٠ ـ زوجة النبي ﷺ لم تكن أسيرة بيتها، بل كانت تخرج من بيتها[١]، ﴿فَسْئَلُوهُنَّ﴾.

٢١ ـ عند الاستدلال على ضرورة الحجاب لا بد من استحضار دليل متفق عليه، ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾.

٢٢ ـ علاقة الرجل بالمرأة يجب أن تقوم على أساس التقوى وطهارة القلب، ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

٢٣ ـ نظر غير المحارم إلى بعضهم له تأثيره على قلوبهم، ﴿فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

٢٤ ـ في الحجاب صلاح الرجل والمرأة معاً، ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

٢٥ ـ التحدث مع غير المحرم دون حفظ الحجاب هو الذي يؤذي النبي ﷺ، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.

٢٦ ـ إلحاق الأذى بالنبي ﷺ من كبائر الذنوب، ﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ الله ﷻ بكل شيء عليم لا بالأعمال فقط، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

٢ ـ علم الله بالعلن والسر على حد سواء، ﴿كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

٣ ـ إذا كنا ندرك أنه بكل شيء عليم فلماذا الرياء والنفاق؟ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

٤ ـ حفظ الحجاب الظاهري والعلاقة غير المشروعة، علامة على عدم الإيمان بعلم الله ﷻ، ﴿تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ... عَلِيمًا﴾.

---

(١) لعل بعضهم يتزعج اليوم حتى لو طلب أحدٌ من زوجته كأس ماء، ويعترض على تحدّث الآخرين مع زوجته، ولكن القرآن يقول إن السؤال لا مانع منه مع حفظ الحجاب.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ
وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

- تتحدّث هذه الآية عن محارم المرأة النسبيّين، وأما المحارم السببيّين فهم: الصهر والأخ من الرضاعة فهؤلاء لا يجب الاحتجاب عنهم، ويضاف إليهم الطفل الذي لم يصل إلى سنّ التميز[١].
- ذكر بعضهم أن هذه الآية خاصّة بنساء النبي ﷺ؛ ولكن يبدو أن هذه الآيات مرتبطة بالنساء كافة.

التعاليم

١ ـ ليس في الإسلام حرج، فالأقارب في الدرجة الأولى الذين يكثر التردد عليهم في العوائل والأسر هم من المحارم، ﴿لَّا جُنَاحَ...﴾.

٢ ـ لا يجب الحجاب أمام المرأة المسلمة، وأما الحجاب أمام المرأة غير المسلمة فواجب، ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾.

٣ ـ الكون من المحارم لا يعني اللامبالاة وعدم التقوى، ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ... وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾.

٤ ـ كون الله ﷻ شاهداً على أعمال العباد من أفضل الأسباب الداعية إلى التقوى، ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

---

(١) في ما يتعلق بالمحارم لا بد من الرجوع إلى فتاوى مراجع التقليد.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

- ورد في الصحاح الستة عند أهل السنة أن النبي ﷺ لما سئل عن كيفية الصلاة عليه قال: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»**.

ونقل البخاري هذه الرواية في صحيحه، في باب «كيفية الصلاة على النبيّ»، ولكنّه عندما صلّى على النبيّ حذف عبارة: «آل محمد»[١].

- ذكر الصلاة على محمد إلى جانب اسم النبي أمر مهم. فقد ورد عن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في الكتاب»**[٢].

وفي الحديث القدسيّ: **«من صلى عليك صلاة، صليت بها عليه عشر صلوات، ومحوت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات»**[٣].

- الصلاة على النبي ﷺ باب لاستجابة الدعاء وسبب لثقل ميزان عمل المؤمن في يوم القيامة.

- قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[٤]. وهنا ورد الأمر للناس بالصلاة على النبي ﷺ. نعم في الإسلام علاقة الناس بالقائد هي علاقة محبة متبادلة كما ورد في الآية ٥٤ من سورة الأنعام أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

- ورد عن الإمام الصادق: **«صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه، وصلاة الملائكة مدحهم له، وصلاة الناس دعائهم له والتصديق والإقرار بفضله»**[٥].

---

(١) صحيح البخاري، الحديث، ٥٨٨٠.
(٢) تفسير روح البيان.
(٣) تفسير مجمع البيان.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٥) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ متى أردت دعوة الآخرين إلى عمل خير، فابدأ بنفسك وبمن يرتبط بك أولاً، (فالله ﷻ قبل أن يصدر أمره للناس بالصلاة على النبي، صلى هو وملائكته عليه)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾.

٢ ـ صلاة الله ﷻ وملائكته مستمرة، ﴿يُصَلُّونَ﴾.

٣ ـ الصلاة على النبي ﷺ من لوازم الإيمان ومن الواجبات على المؤمنين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ﴾.

٤ ـ الصلوات اللفظية لا تكفي؛ بل لا بد من التسليم العملي، ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾.

٥ ـ علاقة الناس بالقائد في الدولة الدينيّة هي السلام والصلوات، (لا يكفي الارتباط القلبي، بل لا بد من إظهار ذلك)، ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝٥٧﴾

إشارات

- أذية الله ﷻ تتحقق بمعصية أوامره ونواهيه بنحو يوجب نزول غضبه ولعنته بدل نزول رحمته ورضاه.

- لعل المراد من أذية الله ﷻ أذية عباد الله، كمن يقرض الله ﷻ بإقراض عباد الله ﷻ. والمراد من أذية النبي ﷺ تكذيبه واتهامه بما لا يليق وأذية أهل بيته عليهم السلام فقد ورد في أكثر من رواية عن النبي ﷺ: **«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»**[1].

التعاليم

١ ـ العبد المخلص يصل إلى درجة يكون في أذيته أذية الله ﷻ، ﴿يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

(١) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٦؛ وصحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٠٣.

٢ ـ بعض عقوبات أذية المؤمنين وإهانتهم والاستهزاء بهم تظهر في هذه الدنيا، ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾.

٣ ـ لما كان هدف المؤذي المهانة كانت عقوبته في الآخرة المهانة أيضاً، ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- في الأضرار الجسمية يجوز القصاص والمقابلة بالمثل، ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾[1]. وأما الأذى الروحي والمعنوي فلا وجود لمبدأ المقابلة بالمثل فيه. فلم يرد في القرآن الكريم أن من رماكم بتهمة لكم اتهامه، بل ورد تحذير المذنب وإنذاره، ومع فرض الحاجة لا بد من إقامة الحد عليه عند الحاكم الشرعي.
- لعل المستفاد من قوله: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾، أن إلحاق الأذى بالمسلم المذنب في إطار القانون الإلٰهيّ جائز.

التعاليم

١ ـ الإصرار على الذنب يزيد من قبحه ومن العقوبة عليه، ﴿يُؤْذُونَ﴾ (صيغة المضارع تدل على الاستمرار في الأذى والإصرار عليه).

٢ ـ كرامة الرجل والمرأة المؤمنَين مصانة وانتهاكها ذنب عظيم، (حفظ الكرامة لا فرق فيه بين الرجل والمرأة)، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

٣ ـ الذنب الذي يترتب عليه العقوبة هو الذنب الذي يصدر عن علم وعمد، ﴿ٱكْتَسَبُوا۟﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٥.

٤ ـ الذنب موجب لثقل حمل الإنسان، ﴿ٱحْتَمَلُوا﴾.

٥ ـ أعظم الأذى هو ما كان من اللسان ومن خلال الاتهام، ﴿يُؤْذُونَ... بُهْتَٰنًا﴾.

٦ ـ إيذاء الآخرين وإزعاجهم، من الذنوب الموجبة لغضب الله، بغض النظر عن طبيعة الأذى والإزعاج، ﴿يُؤْذُونَ... إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

إشارات

- «الجلابيب» جمع «جلباب» وهو المقنعة التي تستر الرأس والرقبة[1]. أو الثوب الذي يستر تمام البدن مع الرأس والرقبة[2].
- تعرضت الآية السابقة بالحديث عن أذية المؤمنين وأذاهم من قبل المنافقين. وأمّا هذه الآية فتتحدث عن أنّ على المرأة المسلمة أن تدني من جلبابها حتى لا يؤدّي ذلك إلى إيذائها وهتك حرمتها.
- طبقاً لمفاد هذه الآية، فإن المرأة كانت تستخدم الحجاب في ذلك الزمان؛ ولكنها لم تكن تراعي الدقة في الستر عن غير المحارم. ولذا وجّه إلى النساء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، لا بأصل الحجاب لأنه كان أمراً معروفاً.
- هذه الآية التي تأمر بالحجاب لم ترد بلغة التهديد بل ببيان فلسفة الحجاب، بأن النساء عليهن أن يدنين جلابيبهن حتى لا يلحق بهن الأذى من الاتهام ونحوه.

آفات السفور

١ ـ فتح الباب أمام الفساد الخلقي واتّباع الشهوات.

٢ ـ انتشار الفساد والفحشاء.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

٣ ـ الأذى والتعدي والعنف.

٤ ـ الحمل غير المشروع والإجهاض.

٥ ـ ظهور الأمراض النفسية والجنسية.

٦ ـ الانتحار والتشرد بعد الهروب من البيوت بعد المهانة.

٧ ـ عنف الرجال مع نسائهن إذا كان الرجل ممن ينظر إلى الحرام.

٨ ـ تصاعد نسبة الطلاق وضعف العلاقات الأسرية.

٩ ـ المنافسة في التزين.

١٠ ـ إلحاق الأذى بالعوائل العفيفة، والإخلال باستقرارها.

التعاليم

١ ـ لا بد من أن يبدأ الإنسان بالمقربين أولاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ لا فرق في الأحكام الإلهيّة بين نساء النبي ﷺ وبناته وبين سائر النساء، ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ ـ لا بد للمرأة من أن ترتدي الثوب الذي يصون شخصيتها عن لحاق الأذى بها، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي إفساح المجال أمام مرضى القلوب ليلحقوا الأذى بالعفة العامّة، (في الآيات السابقة ورد التحذير من الأذى، وفي هذه الآية بيان لتكليف المرأة التي يمكن أن تتعرّض للأذى)، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٥ ـ لا مانع من خروج المرأة من بيتها إذا كان ذلك مع الحفاظ على العفة العامة، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٦ ـ لا بد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بيان سبب الأمر والنهي، ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٧ ـ نوع الثياب المتعارفة في المجتمع يعكس شخصيّة المجتمع، والدين وأهدافهما، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٨ ـ السبب في الكثير من الأذى الذي يلحق بالنساء والبنات من الشباب هو نوع لبسهن، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

٩ ـ على المرأة أن تتمسك بالحجاب لكي تحفظ العفاف العام بنحو يمنع من فتح المجال أمام إساءة أهل السوء، ﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

١٠ ـ السفور معصية قابلة للعفو، ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

١١ ـ تترافق المغفرة الإلٰهيّة مع الرحمة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

❑ «المرجفون» من «الإرجاف» وتطلق على من يبثّ الشائعات لإيجاد حالات الاضطراب والقلق في المجتمع الإسلامي. فمن لا يذهب إلى الحرب للمشاركة في القتال ويقوم ببثّ الشائعات بأن المسلمين قد أصيبوا بالهزيمة، وأن المشركين قد انتصروا، أو أن النبي ﷺ قد قتل، فإنهم بذلك يبثون القلق بين الناس.

❑ «لنغرينك» من «الإغراء» بمعنى الإلصاق، وهو كناية عن السيطرة من كافة الجوانب.

❑ هذه الآية إن كانت ضمن سياق الآية السابقة؛ فإن المراد منها أن المنافقين ومرضى القلوب، الذين كانوا يؤذون النساء المؤمنات اللواتي، أُمرن بأن يُدنين من جلابيبهن حذراً من أذيتهن، فهي تحذير لهؤلاء، وإن كانت مستقلة عن سياق الآية السابقة كان المراد منها أن عليكم مواجهة من يتآمر مع أعداء الدين ممن يبث الشائعات لإيجاد القلق والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وهذه المواجهة ينبغي أن تؤدي إلى اجتثاثهم.

❑ على الرغم من أن هذه الآية استخدمت أشد لغة تهديد، وعلى الرغم من أن

المجتمع الإسلامي تلقى أعظم الضربات بسبب الشائعات المصنوعة والمفبركة، إلّا أن الكتب الفقهية، وللأسف، قليلاً ما تعرّضت لهذا الموضوع، حتى إن أحد المجتهدين، الذي كان ولسنوات عدة يتولى منصب القضاء، بحث في ما يقرب من ٥٤ كتاباً فقهياً ولم يجد فيها باباً تحت عنوان الإرجاف.

❑ الجملة الأخيرة في الآية أي قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ...﴾ يمكن تفسيرها بأحد معنيين:

أ - إننا وإن أثرناهم عليك؛ ولكنهم سوف يجتثون ولن يبقوا إلى جانبك إلا مدة قليلة.

ب - إننا سوف نشتتهم، فلا يبقى سوى قلة قليلة منهم في جوارك.

التعاليم

١ - قبل مواجهة العصاة والمخالفين لا بد من إتمام الحجة عليهم، ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ... لَنُغْرِيَنَّكَ﴾.

٢ - لسعة الصدر حدّ لا ينبغي تجاوزه، ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فلا يثمر التسامح دائماً؛ بل قد يؤدّي إلى عكس المطلوب.

٣ - يصطفّ مرضى القلوب إلى جانب المنافقين دائماً، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ... ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

٤ - نهضة المسلمين وعزمهم على الحرب والقتال لا تستند إلى الانتقام أو التشفّي؛ بل طبقاً للإرادة والأمر الإلهيّين، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾.

٥ - على الأمة الوفية أن تذوب في قائدها وتتحد معه، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ ولم يقل: لنغرينكم.

٦ - القائد الإسلامي هو أول من عليه أن ينتفض لمواجهة من يخل بالأمن في المجتمع الإسلامي، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

٧ - لشدة اهتمام الإسلام بالأمن في المجتمع الإسلامي، فإنّه يأمر بإخراج من يثير الاضطراب بين الناس ونفيه، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾.

٨ ـ على الأعداء أن يعيشوا الخوف من قيام المسلمين وثورتهم عليهم، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

إشارات

- «ثقفوا» من «ثِقافة» بمعنى وجدوا، وهي التسلط التام والدقيق، ولذا يطلق على العلم ثقافة.
- ذهب بعض المفسرين إلى أن كافة هذه المصاعب هي في سياق الحديث عن الذين يؤذون المؤمنين الذين تعرضت لهم الآيات السابقة، ولكن الظاهر أن لغة التهديد هذه وإهدار الدم هي لمن كان قاصداً للإخلال بالأمن في المجتمع ومخالفة النظام العام، لا الذين يعتدون على أعراض الناس فقط.

التعاليم

١ ـ اللعن للمنافقين شعار قرآني، ﴿الْمُنَافِقُونَ... مَّلْعُونِينَ﴾.

٢ ـ لا حدود زمانية ولا مكانية في إنفاذ أحكام الله ﷻ بحق أصحاب الفتنة الذين يحاربون الحق، (﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾).

٣ ـ لا وجود لمكان آمن لأهل الفتنة ولمن يقوم بالإخلال بالأمن في المجتمع، ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

٤ ـ فرار أهل الفتنة لا ينبغي أن يقف حائلاً أمام مواجهتهم، ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

٥ ـ ينبغي تعبئة الناس جميعاً لإلقاء القبض على الأعداء، ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

٦ ـ لا أمان لمن يخل بأمن المجتمع، ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا﴾.

٧ ـ أحياناً لا بد من مواجهة تآمر الأعداء عن طريق الحرب الباردة وعن طريق المواجهة المباشرة أيضاً، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ... وَقُتِّلُوا﴾.

٨ ـ من يسعى لإيجاد الفتنة والاضطراب في المجتمع ولا يكف عن ذلك لا بد من قتله وإذلاله، ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾.

٩ ـ الجهاد ضد أهل الفتنة سنة إلٰهيّة ثابتة في الأديان كافة، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾.

١٠ ـ لا بد من التعرّض بالذكر في العمل التبليغي للأحكام الشديدة التي كانت في السابق وعلى مر التاريخ، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[1]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ...﴾[2]، ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا... سُنَّةَ ٱللَّهِ... قَبۡلُۖ﴾.

١١ ـ بسبب عظم مقام الإنسانيّة والأمن، فإن أعظم العقوبات فرضت وفي كافة الأديان على من يقوم بفعل ما يؤدّي إلى توجيه ضربة للمجتمع الإسلامي من هذا القبيل، ﴿قُتِلُوٓاْ... سُنَّةَ ٱللَّهِ... مِن قَبۡلُۖ﴾.

١٢ ـ قانون إعدام أهل الفتنة والمخلين بالأمن لا يقبل التغيير، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ
وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

إشارات

❑ دوافع السؤال متعدّدة منها:

تارة يكون السؤال من باب الاختبار كالأسئلة الامتحانية.

وتارة يكون السؤال من باب الاستهزاء، كسؤال المتكبر للضعيف.

وتارة يكون من باب التعجب، كسؤال الجبان الشجاع.

وتارة يكون من باب الإيقاع، كسؤال المحقق المتهم عن الجريمة.

وتارة يكون من باب فتح باب الانحراف كسؤال الأستاذ المنحرف لتلميذه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

وتارة يكون من باب إثارة الشك في نفوس الآخرين، كأسئلة المنحرفين.

وتارة يكون من باب رفع القلق، كسؤال الأم للولد.

وتارة يكون من باب تحصيل العلم كسؤال الجاهل للعالم.

وتارة يكون من باب التوبيخ كسؤال المعلم لتلميذه الكسول.

- كلمة «قريب» تستخدم للمذكر والمؤنث: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، ولم يقل قريبة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].
- ختام الآية فيه نوع من التسلية للنبي ﷺ بأن لا يقلق من إزعاج الكفار، فإن حسابهم سيصلهم قريباً، ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

التعاليم

١ ـ على الرغم من أن الله ﷻ يطلع أنبياءه على علم الغيب، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، إلا أن علم الأنبياء يبقى محدوداً، ﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ لا يجب أن نعلم كل شيء كما لا يلزم أن نجيب عن كل سؤال، ﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ الجهل بزمان وقوع القيامة لا تأثير سلبي له على الإيمان بأصل قيام القيامة، ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.

٤ ـ بعض العلوم يختص علمها بالله ﷻ، ﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ ليس كل جهل بعيب، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ (نعم لو علمنا بزمان يوم القيامة لاختل نظام حياتنا).

٦ ـ لا بد في التربية من جعل الناس يعيشون بين الخوف والرجاء، ﴿لَعَلَّ﴾.

٧ ـ لا بد من أن نتهيأ لوقوع القيامة في أي لحظة، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٢) سورة الجن: الآيتان ٢٦ و٢٧.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ العذاب الإلٰهيّ حتمي بالنسبة إلى الكفار، ﴿أَعَدَّ﴾ وجهنم مخلوقة الآن.

٢ ـ الكافرون لا مولى يمنع عنهم الدخول في النار، لا ناصر يكون سبباً لنجاتهم، ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

٣ ـ الأصنام والطواغيت لا تأثير لهم في يوم القيامة، ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

٤ ـ ينظر الكافرون في يوم القيامة في كل اتجاه؛ ولكن ذلك لا ينفعهم شيئاً، ﴿لَّا يَجِدُونَ...﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾

إشارات

□ قد يكون المراد من الآية أن وجوه الكافرين، وبسبب حرارة النار، سوف تتلون بألوان مختلفة.

التعاليم

١ ـ الكفار لا ولي لهم ولا نصير في يوم القيامة؛ بل لا يملكون اختيار صورة وجوههم، ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾.

٢ ـ المعاد جسماني، ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾.

٣ ـ يستيقظ الغافلون في يوم القيامة، ﴿يَٰلَيْتَنَآ﴾.

٤ ـ لا فائدة من الندم في يوم القيامة، ﴿يَٰلَيْتَنَآ﴾.

٥ ـ طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ أمنية يتمناها أهل جهنم، ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾.

٦ ـ إنما تنفع طاعة الله إذا اقترنت بطاعة رسول الله ﷺ، ﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

٧ ـ النبيّ ﷺ مكلّف بحمل رسالة الله إلى البشر، وهو إلى جانب ذلك مطالب بإصدار بعض الأوامر وتشريع بعض التكاليف، ﴿أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

٨ ـ يكمن طريق النجاة في طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ فقط، ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

□ «سادة» جمع «سيّد»، وهم الرؤساء والكبار من ذوي الشأن في المجتمع، والكبراء جمع كبير وهو من كان كبير السن أو ذوي الشيبة. وبحسب العادة فإن لهاتين الطائفتين من الناس تأثيرها على سلوك الناس وعاداتهم.

التعاليم

١ ـ من لم ينطق في هذه الدنيا حتى مرة واحدة بكلمة ربنا، سوف يصرخ في يوم القيامة وهو في حالة ندم بقول: ﴿رَبَّنَآ﴾.

٢ ـ يسعى العصاة لتبرير خطئهم، وإلقاء مسؤولية ذلك على غيرهم، ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾.

٣ ـ التقليد الأعمى للأباء والكبراء سبب للندامة، ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾.

٤ ـ يعترف الكفار في يوم القيامة بانحرافهم ولكن ما نفع ذلك، ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

إشارات

□ تعرضت الآية ٥٧ لمسألة إيذاء النبي ﷺ، وفي هذه الآية حثٌّ للناس على أن لا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام.

□ المراد من التهمة التي رمي بها النبي موسى عليه السلام، إما نسبة النقص الجسمي إليه، أو نسبة القتل، أو السحر أو الجنون إليه، ولا أثر لذلك في فهم المراد من هذه الآية.

□ اللعن الكبير المشار إليه في هذه الآية لعله اللعن الوارد في الآية ١٦١ من سورة البقرة؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ الدعاء المستجاب لأهل جهنم هو الدعاء بالعذاب فقط، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[1]، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[2].

٢ ـ القادة الربّانيون قد يكونون في مرمى الاتهام والأذية من قبل المؤمنين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾.

٣ ـ لا يلزم من الإيمان الابتعاد عن الاتهام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟...﴾.

٤ ـ خذوا العبرة من عدم تأثير اتهام أولياء الله عليهم، فلا تتهموهم، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾.

٥ ـ الله عز وجل هو الذي يبرّئ ساحة أنبيائه من الاتهام، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ...﴾.

٦ ـ لا يكفي تبرئة رجال الله من الاتهام بل لا بد من تبجيلهم واحترامهم، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

٧ ـ التبرئة من التهمة والوجاهة عن الله عز وجل شرطان للنجاح في القيادة، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

٨ ـ من يكلّف بمهمة وتُلقى على عاتقه مسؤولية لا بد من تأمين الحماية له والدفاع عنه، ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

---

(١) تفسير أطيب البيان.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

إشارات

□ القول السديد هو الكلام الذي لا لغو فيه، ولا نقاش، ولا كذب. فهو الكلام الذي يقف كالسد المحكم أمام الشبهات والشكوك.

التعاليم

١ ـ لا بد مع الإيمان من الاتصاف بالتقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ ولازم التقوى هو القول السديد، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾.

٢ ـ الإنسان المؤمن يليق به أن يكون من أهل التقوى والقول السديد، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ٱتَّقُواْ... قُولُواْ﴾.

٣ ـ علامات الإيمان منها ما يكون ظاهرياً، ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ ومنها ما يكون باطنياً، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

٤ ـ القول السديد ليس باللفظ فقط، بل بالمضمون أيضاً؛ أي إن التفكير لا بدّ من أن يكون محكماً وسداً منيعاً، ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾.

٥ ـ ليس كل قول قابل للمساءلة، ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾.

٦ ـ إذا التزم الإنسان بالتقوى في كل قول وفعل، فإن الله ﷻ يكفل له حل كل ما يعترضه، ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ (كالآية ٣١ من سورة النساء، إذ ورد فيها: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾.

٧ ـ مفتاح الفوز في اتّباع الله ﷻ ورسوله، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

إشارات

- ورد في الحديث أنّ علياً عليه السلام كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ، ويتزلزل، ويتلون، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «**جاء وقت الصلاة، وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**»[1].
- بين الحمل والتحميل فرق، فالإنسان حمل الأمانة الإلٰهيّة ولم يُحمَّلْها.
- لعل هذه الآية في مقام بيان واقع يتعلق بهذا الإنسان لم يصل إليه العقل البشريّ إلى الآن. ولكن ما هو الظاهر من الآية أن الله عز وجل قد أعطى البشر مؤهّلات ومواهب خاصة لم تعط لأيٍ من الموجودات في السماء والأرض، وهذه العطايا هي الأمانة الإلٰهيّة التي تلقي على الإنسان المسؤولية، ولكن الكثير من الناس خانوا الأمانة وساروا بما يخالف الإرادة الإلٰهيّة.

فالعقل والإرادة لا بدّ من أن يسيرا في طريق معرفة الحق واختياره ليكونا سبباً في تكامل البشر، ولكنهما صُرِفا في طريق الباطل، الأمر الذي أدى إلى وقوع الظلم، حتى عُدَّ الإنسان ظلوماً جهولاً.

التعاليم

١ ـ الإنسان أفضل من السموات والأرض، فالإنسان حامل أمانة الله عز وجل في عالم الوجود، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... فَأَبَيْنَ... وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

٢ ـ للوجود بكل مراتبه ومستوياته شعور بشكلٍ من الأشكال، ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ و...﴾.

٣ ـ النعم الإلٰهيّة المفاضة على هذا الإنسان (العقل، والإرادة، والفطرة، وهداية

(١) تفسير نور الثقلين.

الأنبياء، وغير ذلك) أمانة إلٰهيّة. ولا ينبغي خيانة هذه الأمانة بل هذا من أعظم الظلم، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ... ظَلُومًا﴾.

ـ ما قبله الإنسان ورفضته السموات والأرض شيء آخر غير القنوت، والتسبيح، والسجود؛ لأن التسبيح والقنوت صدرا من السموات والأرض، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1]، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[2].

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

إشارات

- توبة الله على عبادة تعني أن يعاملهم بعنايته الخاصة. عند إرادة هذا المعنى تتعدّى التوبة بـ«على»، وعند إرادة التوبة من العباد تتعدّى التوبة بـ«إلى».

التعاليم

١ ـ الأمانة الإلٰهيّة سبب للمسؤولية. فمن يحفظ الأمانة تشمله الرحمة ومن يخون الأمانة بالكفر وعدم الشكر يشمله العذاب، ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ... وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ المنافق في صف المشركين، ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ... ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٣ ـ الرجل والمرأة سواء في الرقي في سلم الكمالات أو السقوط، ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ، وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ، ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

٤ ـ وإن عاقب الله ﷻ المشركين والمنافقين ولكن الأساس في معاملته العباد هو المغفرة والرحمة، ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤. (٢) سورة الروم: الآية ٢٦.

سُورَةُ سَبَإٍ

السورة: ٣٤ الجزء: ٢٢

عدد الآيات: ٥٤

ملامح سورة سبأ

هذه السورة مكية وعدد آياتها أربع وخمسون. أُطلِق عليها اسم سبأ؛ لأنها تعرّضت لقصة قوم سبأ. وهي كسائر السور المكية تتعرض في الغالب للمسائل العقدية ولا سيما المبدأ والمعاد.

نعم تتعرض هذه السورة وعند سردها لقصص سليمان عليه السلام مع قوم سبأ لبعض النعم الإلٰهيّة ومصير الشاكرين والكافرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ①﴾

إشارات

- في القرآن الكريم خمس سور تبدأ بجملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- تبين هذه الآية الملكية المطلقة لله ﷻ دون قيد أو شرط، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وأما الآية التالية فتبين العلم الإلٰهيّ المطلق: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، لترد الآية الثالثة على منكري المعاد بأن الله ﷻ قادر على بعض الناس وحسابهم في يوم القيامة.
- ذكر الفخر الرازي أنّ العلم المرتبط بالعمل يطلق عليه الحكمة، ويطلق على من يعرف عواقب الأمور وأسرارها تسمية الخبير.

التعاليم

١ ـ نتعلم كيفية حمد الله من الله ﷻ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى...﴾.

٢ ـ الحمد لا بدّ من أن يكون أمام الكمال، والقدرة، والملكية، والعلم، والحكمة، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٣ ـ الحمد لغير الله يكون في هذه الدنيا، وأما في الآخرة فالحمد يختص به سبحانه، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

٤ ـ الحمد له لا يختص بزمان أو بحالات خاصة، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ويقول أهل الجنّة: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

٥ ـ الملكية الإلٰهيّة واسعة وهي مقرونة بالعلم والحكمة، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ... وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠.

٦ ـ حركة الوجود في الدنيا والآخرة تقوم على أساس الحكمة الإلهيّة، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ... وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

إشارات

- بعد ذكر الكليات لا بد من ذكر نماذج وأمثلة لها. فبعد كلمة خبير تأتي الآيات على ذكر نماذج من العلم الإلهيّ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾، ومصداق ما يلج في الأرض البذر في التراب، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وهو خروج النبات من التراب، ومصداق ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هو نزول المطر من السماء، ومصداق ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ هو الطيور التي تسبح في السماء.
- تكررت كلمة «غفور» وتليها كلمة «رحيم» تسعاً وأربعين مرة في القرآن الكريم، وفي هذه الموارد كافة وردت كلمة رحيم بعد كلمة غفور، إلا في هذه الآية؛ وذلك لأن المنظور في تلك الموارد كان عمل الإنسان؛ لذا كانت المغفرة سابقة على الرحمة الإلهيّة، ولكن في هذه الآية لما كانت الحديث عن العلم الإلهيّ واللطف والرحمة وكانت المغفرة متضمنة في قوله: ﴿يَعْرُجُ﴾ جاءت بصغية ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ مالكٌ لعالم الوجود وعالمٌ بكل جزئياته، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ...﴾.

٢ ـ في نظام الخلقة، الأشياء في حالة ذهاب، وإياب، وحركة، ﴿يَلِجَ، يَخْرُجُ، يَنزِلُ، يَعْرُجُ﴾.

٣ ـ علامة رحمته نزول المطر من السماء، ﴿يَنزِلُ﴾ وعلامة مغفرته ستره على قبيح ما يصدر من الإنسان، ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

التعاليم

١ ـ لا مانع من نقل كلام الكفر إذا كان للرد عليه وإبطاله، ﴿وَقَالَ... قُلْ﴾.

٢ ـ حصنوا المؤمنين بنقل آراء المخالفين وردها، ﴿وَقَالَ... قُلْ﴾.

٣ ـ ليس لمنكري المعاد سوى الدعوى، ولا دليل لهم على إنكارهم، ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾.

٤ ـ الرد على شبهات الكفر لا بدّ من أن يكون محكماً، ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ... بَلَىٰ وَرَبِّي...﴾.

٥ ـ إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء دليل على قيام القيامة، ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ﴾.

٦ ـ زمان وقوع القيامة من علم الغيب، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾.

٧ ـ محكمة يوم القيامة تقوم على أساس العلم الإلٰهيّ اللامتناهي، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾.

٨ ـ لا فرق في علم الله ﷻ بين صغار الأمور وكبارها، ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾، (فكما إنّ رؤية المسمار الصغير والبرج الكبير لا فرق بينهما بالنسبة إلى العين، فلا حاجة لرؤية أحدهما إلى الضغط على العين، فكذلك الحال في علم الله ﷻ بالأشياء، صغيرها وكبيرها).

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤﴾

إشارات

□ «الرزق الكريم» هو الرزق الذي يكون واسعاً مع العزة والكرامة لا عن منة واسترحام.

التعاليم

١ ـ القيامة لأجل الجزاء، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾.

٢ ـ إنما يمكن لمن يكون عالماً بكل شيء أن يجزي الثواب والعقاب المستحق، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ... لِيَجْزِيَ﴾.

٣ ـ رحمة الله تسبق غضبه، (تقدّم ذكر الثواب في هذه الآية على ذكر العقاب)، ﴿لِيَجْزِيَ... لَهُمْ عَذَابٌ﴾.

٤ ـ لا طريق لنيل الثواب سوى الإيمان والعمل الصالح، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم﴾.

٥ ـ المغفرة مقدمة لتلقي النعم، ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾.

٦ ـ الزرق الأخروي واسع، كبير، وكريم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

٧ ـ الثواب الإلٰهيّ معنوي، ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾، ومادّي أيضاً ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

إشارات

- من يستهدف من الأعداء المقدّسات ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ ويكون غرضه بذلك الحيلولة دون تحقق الأهداف الإلٰهيّة، سوف يناله العذاب من الله ﷻ وعذابه رجز أليم.

التعاليم

١ ـ الأعداء في حالة سعي دائم، فلا ينبغي لنا الغفلة، ﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾.

٢ ـ يصل سعي الإنسان حداً يريد إبطال الآيات الإلٰهيّة ومنع تأثيرها، ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

٣ ـ ثواب المؤمنين المحسنين عند الله ﷻ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ولكن عقاب المسيئين نتاج عملهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾.

٤ ـ لا بدّ من اقتران التهديد والترغيب، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ... لَهُمْ عَذَابٌ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ العلم يهب الإنسان الرؤية والفكر، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

٢ ـ عند نقل تاريخ الماضين لا بد من بيان عمل كل طائفة منهم، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين، ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا... وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

٣ ـ يرى العلماء أن ما أوتوه من العلم هو من عند الله، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

٤ ـ علامة العلم الحقيقي الإيمان بأن القرآن الكريم حق والتصديق به. ولا يمكن معرفة الحق دون علم ومعرفة، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ...هُوَ الْحَقَّ﴾.

٥ ـ العالم الحقيقي يصدق بما أنزل الله ﷻ، ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

٦ ـ إنزال الوحي من شؤون الربوبيّة، ﴿أُنزِلَ... مِن رَّبِّكَ﴾.

٧ ـ معيار الحق، الوحي والقرآن، ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ... هُوَ الْحَقَّ﴾.

٨ ـ طريق الأنبياء طريق عزة وشرف، ﴿صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

٩ ـ طريق الله لا يهزم، وسعي المنكرين هباء، ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ... صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾.

١٠ ـ أصحاب القوة في هذه الدنيا لا يمتلكون المحبة، وأما الله ﷻ فهو القوي الذي يحمده الناس، ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ يجهد الكفار لمحاربة الدين والمقدّسات الدينية، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ ولكن لا دليل لديهم سوى الاستهزاء والاستهانة، ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾.

٢ ـ يوجّه الكفار الإهانات للشخصيات والمقدّسات الدينيّة لإبعاد الناس عنها، ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ بعض الكفار يؤمن بالله؛ ولكنّه يفتري ولا يؤمن بالمعاد، مع أنه يدرك قبح الافتراء على الله ﷻ، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ يتبع الكفار كل طريق فيه انحراف؛ ولكنهم لا يؤمنون أبدا، ﴿أَفْتَرَىٰ... أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ... لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣ ـ إنكار الآخرة نوع من العذاب في الدنيا وفي الآخرة، (الخوف من الفناء، والخوف من الموت، وضياع جهودهم، أشدُّ عذابٍ ينالهم في هذه الدنيا)، ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾.

٤ ـ من لا يؤمن بالمعاد لا طريق له للنجاة، ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ ينبغي الاستفادة من المحسوسات للإيمان بالمعاد وسائر الأمور الغيبية، فالتفكيرُ بعظمة عالم الوجود بابٌ للإيمان بالمعاد. ففي الآية السابقة قال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ...﴾.

٢ ـ يد الله ﷻ مطلقة فتستطيع تغيير أي شيء في نظام الوجود، ﴿إِن نَّشَأْ﴾.

٣ ـ إلى جانب المنطق، لا بد من استخدام لغة التهديد، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟... نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

٤ ـ التفكر في عالم الوجود، باب للعبودية والإنابة إلى ساحة القدس الإلٰهيّ، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟... عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- لعل إنابة الجبال وتوبتها مع داود هو تسبيحها نفسه، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[1].
- وهب الله ﷻ داود اثنتي عشرة فضيلة:

١ ـ العلم الإلهيّ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[2].

٢ ـ النبوة والرسالة، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3].

٣ ـ الكتاب السماوي، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[4].

٤ ـ الخلافة، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5].

٥ ـ الملك المستقر، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾[6].

٦ ـ الإمكانات الواسعة، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[7].

٧ ـ الحكمة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[8].

٨ ـ القضاء، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[9].

٩ ـ تليين الحديد له، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

١٠ ـ علمه بمنطق الطير، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[10].

١١ ـ تسبيح الجبال والطير معه، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾.

١٢ ـ منّ الله عليه بولد كسليمان عليه السلام، ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾[11].

---

(١) سورة ص: الآية ١٨.
(٢) سورة النمل: الآية ١٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٥.
(٥) سورة ص: الآية ٢٦.
(٦) السورة نفسها: الآية٢٠.
(٧) سورة النمل: الآية ١٦.
(٨) سورة ص: الآية ٢٠.
(٩) سورة ص: الآية ٢٦.
(١٠) سورة النمل: الآية ١٦.
(١١) سورة ص: الآية ٣٠.

❑ ورد في الرواية: أوحى الله ﷻ إلى داود ﷺ إنّك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود ﷺ أربعين صباحاً فأوحى الله ﷻ إلى الحديد: أن لِنْ لعبدي داود، فألان الله ﷻ له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمئة وستين درعاً فباعها بثلاثمئة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال[1].

التعاليم

١ ـ يهب الله ﷻ لمن يصطفي من عباده عطايا خاصة، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾.

٢ ـ لعالم الوجود شعور؛ ولذا كان مورداً للخطاب الإلهيّ، ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾.

٣ ـ مناجاة الموجودات بنحو الحقيقة لا المجاز، ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾.

٤ ـ الدنيا والآخرة تجتمعان، (النبوة والتصرف في عالم الوجود جُمِعَا لداود ﷺ) ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

٥ ـ لأولياء الله ولاية تكوينية وقدرة على التصرّف في عالم الوجود، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

٦ ـ الاستفادة من الطبيعة وتسخيرها لمصلحة الإنسان من الأمور ذات القيمة، ﴿فَضْلًا... وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

٧ ـ من يُلِنْ قلبَه لله ﷻ، يُلِنِ الله ﷻ له الحديد، ﴿أَوِّبِى... وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

٨ ـ تليين الحديد أمر له سابقة تاريخية، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

٩ ـ كان لأولياء الله عمل وصنعة، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات

❑ «سابغات» جمع «سابغ»، وهو الدرع الواسع والصافي.

---

(١) الكافي، ج ٥، ص ٧٤؛ وتفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٤٦.

❑ كلمة «سرد» بمعنى الخياطة والنسج. والمراد من قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾، أي دقق في نسج الدروع بالنحو المناسب.

التعاليم

١ ـ لا بد في الصناعة من أن تكون تحت يد الصالحين وبما فيه نفع الناس، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾.

٢ ـ صناعة أولياء الله ﷻ لا بدّ من أن تكون تامة، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾.

٣ ـ الصناعة لا بدّ من أن تكون عن دقّة وبإتقان، ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾.

٤ ـ الصناعة العسكرية لا بدّ من أن تكون للعمل الصالح، (لا للدول الظالمة والمستبدة)، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ... وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾.

٥ ـ صنعة الحديد وإنتاج الأدوات الحديدية أمرٌ موغلٌ القدم في التاريخ، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ...﴾.

٦ ـ الإيمان بعلم الله ﷻ دافع للإتيان بالعمل الصالح، ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

❑ «الغدو» بمعنى الحركة أول الصبح، «والرواح» بمعنى الحركة عند الظهر وما بعده. والمراد من كلمة «عين» الظرف الذي يوضع فيه الحديد المذاب.

❑ وهب الله ﷻ سليمان، كما وهب أباه داود ﵇، ألطافاً من عنده.

❑ طبقاً لنص القرآن الكريم فالجن موجود، ومكلّف، وعاقل، ومختار، وقادر، وساع.

❑ ورد في سورة ص الآية ٣٧ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

□ المراد من تسخير الريح لسليمان عليه السلام استخدامها في حركة الغيم، حركة السفن، تلقيح النبات، تعديل المناخ وغير ذلك، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

□ تُصوِّرُ التوارة الموجودة بين أيدينا الآن سليمانَ عليه السلام بصورة ملك جبار، يصنع الأصنام، ومتبع لهوى النساء، وهذا خلاف ما وصفه به القرآن الكريم[١].

التعاليم

١ ـ للأنبياء عليهم السلام ولاية على عالم الوجود والتكوين، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي الاكتفاء لتسخير الطبيعة بالتحليل الطبيعي، (حركة الريح خاضعة للإرادة الإلٰهيّة ولكنها تخضع لاختيار ولي الله عزّ وجلّ)، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

٣ ـ القدرة الإلٰهيّة بالنسبة إلى جميع الأشياء على حدٍّ سواء، (فلداود ألَنّا الحديد ولسليمان سخرنا الريح)، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

٤ ـ ألانَ الله عزّ وجلّ لداود الحديد ولسليمان النحاس المذاب، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ (صنعة النحاس كانت في زمان سليمان عليه السلام).

٥ ـ يمكن للإنسان أن يسخر الجن، ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٦ ـ الجن وبإرادة الله عزّ وجلّ وأمره يؤمر بالقيام بالأعمال لخدمة الإنسان، ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾.

٧ ـ لا بد في الإدارة من امتلاك القوة والصلابة، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا... نُذِقْهُ﴾.

٨ ـ الجن مخلوق مختار وقد يتخلف عن إطاعة أمر الله عزّ وجلّ، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾، وفي هذا الفرض يعاقب، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

---

(١) تفسير نمونه، نقلاً عن التوراة الكتاب الأول.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

- «المحاريب» جمع «محراب» وهو إما بمعنى مكان العبادة، أو بمعنى مكان الحرب والقتال، إذ يبنى في أعلى القصر مكانٌ للدفاع عنه[١].
- «التماثيل» جمع «تمثال» وهي المجسمات. ولعل المراد منه صنع أشياء كالأشياء الطبيعية لتستخدم للزينة. كما ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن المراد من التماثيل مجسمات الشجر والنبات لا الإنسان والحيوان[٢]. «الجفان» جمع «جفنة» وهي الأواني الكبيرة جداً كالأحواض. «الجواب» جمع «جابية» وهي الحوض. و«القدور» جمع «قدر» وهي الإناء الذي يطبخ فيه الطعام. و«الراسيات» جمع «راسية» أي الثابتة.
- كثير من الناس يشكرون وهم شاكرون؛ ولكن الشكور قليل، أي من يشكر على الدوام قليل من الناس، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

سليمان والنعم

١ ـ في مقابل النعم نسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى شكرها، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[٣].

٢ ـ النعم وسيلة اختبار، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٤].

٣ ـ لا يسعى لكسب الهدايا من الآخرين، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾[٥].

٤ ـ كان يتمتع بعلم خاص، ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾[٦].

---

(١) تفسير راهنما.
(٢) الميزان في تفسير القرآن.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٤) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٥) سورة النمل: الآية ٣٦.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

٥ ـ كان يعرف لغة الطير، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[١].

٦ ـ الجند محشورة له، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾[٢].

٧ ـ الطير في خدمته، ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾[٣].

٨ ـ استفاد من كافة ما أعطي من إمكانات لأجل نشر الدين، (إرسال الكتاب بواسطة الطير)، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾[٤].

٩ ـ كانت تُطوى الأرض للعاملين بين يديه، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٥].

١٠ ـ وهبه الله ﷻ ملكاً لا نظير له، ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ﴾[٦].

١١ ـ وصل إلى حسن العاقبة والمقام العظيم عند الله ﷻ، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[٧].

١٢ ـ سُخِّرت الجن لخدمته، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[٨].

التعاليم

١ ـ الجن مخلوق فنّان عنده القدرة على العمل في الصناعة، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ... مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾.

٢ ـ لا بدّ للعامل من أن يكون تحت إشراف المدير، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾.

٣ ـ انظروا إلى المعنويّات قبل نظركم إلى الماديات، ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ وردت قبل ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾.

٤ ـ صنعة النحاس والمسبوكات موغلةُ القدم في التاريخ، (فإعداد أواني النحاس كان في زمان سليمان عليه السلام)، ﴿وَجِفَانٍ﴾.

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.
(٢) السورة نفسها: الآية ١٧.
(٣) السورة نفسها: الآية ٢٠.
(٤) السورة نفسها: الآية ٢٨.
(٥) السورة نفسها: الآية ٤٠.
(٦) سورة ص: الآية ٣٥.
(٧) السورة نفسها: الآية ٢٥.
(٨) السورة نفسها: الآية ٣٧.

٥ ـ توافر الإمكانات لا بدّ من أن يكون دافعاً إلى شكر الله ﷻ، ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

٦ ـ الشكر لا يكون باللسان فقط بل بالعمل، ﴿ٱعْمَلُوٓاْ... شُكْرًا﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

- ورد عن علي عليه السلام: **«فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سلماً أو إلى دفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفى»**[1].
- «المنسأة» هي العصا. وورد في عدد من الروايات أنّ المراد من العذاب المهين الأعمال الشاقة التي كان يقوم بها الجن[2].

التعاليم

١ ـ وقت الموت بيد الله ﷻ، ﴿قَضَيْنَا﴾.

٢ ـ الموت مكتوب حتى على من كانت له النبوة والسلطنة، ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾.

٣ ـ الحيوانات تؤدّي مهامها بأمر من الله ﷻ، ﴿دَلَّهُمْ... دَآبَّةُ﴾.

٤ ـ الجن لا يعلم الغيب، (لم يعلم الجن بموت سليمان إلا بعد أن سقط على الأرض، وهنا علم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وعلم الناس أن دعوى الجن بأنهم يعلمون الغيب غير صحيحة)، ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ... لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ...﴾.

٥ ـ يملك الجن الشعور بالعزة والذلة ويسعون للفرار من الأعمال الشاقة، ﴿مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

(٢) تفسير مجمع البيان.

الحيوانات تحت أمر الله ﷻ

١ ـ جزء من جسم البقرة سبب لإحياء المقتول وإنبائه عن قاتله، (في قصة بقرة بني إسرائيل)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾(١).

٢ ـ كلّف الله العنكبوت بحفظ النبي ﷺ في الغار، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾(٢).

٣ ـ أمر الله الغراب بتعليم الإنسان ما لم يكن يعلم، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾(٣).

٤ ـ الهدهد في عهد النبيّ سليمان عليه السلام نقل أخبار بلقيس إليه، ونقل رسالته إليها، ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا﴾(٤).

٥ ـ رمت الطير الأبابيل الحجارة على أصحاب الفيل، ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾(٥).

٦ ـ الثعبان كان معجزة موسى عليه السلام، ﴿هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾(٦).

٧ ـ الحوت كان وسيلةً لتنبيه النبيّ يونس عليه السلام، ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾(٧).

٨ ـ الحشرة هي التي كشفت عن موت سليمان، ﴿تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾(٨).

٩ ـ سخّر الله الكلب المرافق لأصحاب الكهف وكلّفه بحراستهم، ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾(٩).

١٠ ـ أربعة من الطيور كانت وسيلة لبعث الاطمئنان في قلب النبيّ إبراهيم عليه السلام، ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾(١٠).

١١ ـ وصل عُزير إلى اليقين بالمعاد بعد أن شاهد حماره كيف عاد إلى الحياة بعد موته، ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾(١١).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٣.
(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٣) سورة المائدة: الآية ٣١.
(٤) سورة النمل: الآية ٢٨.
(٥) سورة الفيل: الآية ٣.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٠٧.
(٧) سورة الصافات: الآية ١٤٢.
(٨) سورة سبأ: الآية ١٤.
(٩) سورة الكهف: الآية ١٨.
(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(١١) السورة نفسها: الآية ٢٥٩.

١٢ ـ ذبح بعض الحيوانات وتقديمها أضاحي جزء من مناسك الحجّ وشعائره، ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[١].

١٣ ـ الحيوان وسيلة من وسائل معرفة الله ﷻ، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٢].

١٤ ـ الحيوان وسيلة لاختبار الإنسان، ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾[٣].

١٥ ـ الحيوان معجزة إلٰهيّة، ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[٤].

١٦ ـ الحيوان وسيلة لعذاب الله ﷻ، ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ﴾[٥].

□ في القرآن سور عدّة سُمّيت بأسماء الحيوانات على غرار: البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

□ «سبأ» اسم أرض خصبة في اليمن. و«سبأ» اسم شخصيّة كبرى كانت في تلك المنطقة.

□ الناس على صنفين في وصولهم إلى الرقيّ، والتمدن، واستثمار النعم الإلٰهيّة:

قسم كسليمان ﷺ يتجه إلى سؤال الله ﷻ أن يوفقه على شكر تلك النعم، ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ﴾.

وقسم كقوم سبأ يكفرون بنعمة الله على الرغم مما يتمتّعون به من جنات ونعيم.

□ كلما ورد الأمر في القرآن الكريم بالأكل ورد إلى جانبه المسؤولية: ﴿كُلُوا۟... وَٱشْكُرُوا۟﴾[٦].

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٦.
(٢) سورة الغاشية: الآية ١٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٩٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٧٣.
(٥) السورة نفسها: الآية ١٣٣.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

﴿فَكُلُواْ... وَأَطۡعِمُواْ﴾[١].
﴿كُلُواْ... وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[٢].
﴿كُلُواْ... وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[٣].

التعاليم

١ ـ ما جرى على قوم سبأ أمرٌ يشتمل على الدرس والعبرة، ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ... ءَايَةٞۖ﴾.
٢ ـ خصوبة أرض سبأ كانت أكثر من المعتاد في الأراضي الخصبة، ﴿ءَايَةٞۖ﴾.
٣ ـ الجمال الطبيعي آية من آيات الله ﷻ، ﴿ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ...﴾.
٤ ـ كانت أرض سبأ بعيدة عن كل نقص، وآفة، وفوضى، وفحشاء وقحط، ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾.
٥ ـ لا بد من أن يكون الإنسان من الشاكرين في مقابل النعم الإلٰهيّة، والإنسان لا يؤدّي حق الشكر دائماً؛ ولكن الله يغفر له، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ... وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾.
٦ ـ في اختيار مكان الإقامة لا بدّ من الاهتمام بعنصر العمران، وطيب البلد ونقائها، ﴿مَسۡكَنِهِمۡ... بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾.
٧ ـ الرزق والمغفرة من شؤون الربوبيّة، ﴿رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ... وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾.

﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾

إشارات

- كلمة «عرم» إما بمعنى العنف، «وسيل العرم» هو السيل المدمر، أو بمعنى السد، فسيل العرم هو السيل الذي حصل نتيجة تحطم السد.
- «الأُكُل» بمعنى المأكول والطعام. و«الخمط» هو النبات المرّ. و«الأثل» شجر المن والذي فيه شوك.

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٨.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

❏ تحدث القرآن الكريم مرات عدة عن إعراض الناس:

فتارة يكون الإعراض عن ذكر الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾[1].

وتارة يكون عن آيات الله ﷻ: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا﴾[2].

وتارة يكون عن نعم الله ﷻ، كالآية أعلاه، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾[3].

وتارة يكون عن النبي ﷺ، ﴿هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ، أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[4].

التعاليم

١ ـ يترتّب العذاب الإلٰهيّ على الإعراض وعدم الشكر، ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا﴾.

٢ ـ السيل، الزلزلة، الطوفان، الرعد، والبرق أمور لا تحدث صدفة، ﴿أَرْسَلْنَا... سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾.

٣ ـ تخضع الطبيعة للأمر الإلٰهيّ، ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾.

٤ ـ النعم قد تزيد أحياناً، ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[5]؛ وقد تنقص: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[6]؛ وقد تتبدّل أحياناً: ﴿بَدَّلْنَٰهُم﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ سبب المصائب التي تقع علينا هو عملنا السيء، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾.

٢ ـ العقوبات الإلٰهيّة سنة وقانون يجري على المذنبين ولا تختص بقوم سبأ، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

٣ ـ ما يترتب عليه العذاب الإلٰهيّ هو الإصرار على الكفر والمداومة عليه، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.
(٢) سورة القمر: الآية ٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٣.
(٤) سورة ص: الآيتان ٦٧ و٦٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

- «الأحاديث» جمع «أحدوثة» بمعنى الخبر الذي يشغل الناس أو الذي يُنقل كَمَثَلٍ وعبرة.
- وهب الله ﷻ قوم سبأ نعم خاصة عدة:

أ ـ أراضٍ مباركة وخصبة، ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

ب ـ البيوت والمناطق السكنية القريبة والتي تُرى، ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾.

ج ـ سهولة السفر بنحو كان السفر ممكناً لهم في الليل والنهار، ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾.

د. ـ نعمة الأمن، ﴿ءَامِنِينَ﴾.

قصة قوم سبأ

- يستفاد مما ورد في القرآن الكريم والروايات، وكذلك كتب التاريخ، أنّ قومَ سبأ كانوا يقطنون جنوب الجزيرة، وكانت لهم حكومة راقية، وحضارة خلابة. ولم يكن في أرض سبأ نهر عظيم يمكن استخدام مائه في الزراعة، وكان ماء المطر يذهب هدراً لا يُستفاد منه، ففكّر أهل تلك البلاد بإنشاء سدّ يجمعون فيه الماء ويدّخرونه لوقت الحاجة في أشهر الجفاف، فبنوا سدّاً في أحد الأودية وعُرِف هذا السدّ بسدّ «مأرب». وقد تحوّل الماء الذي كان يخرج من هذا السدّ إلى نهر صناعيّ كبير، ساهم في عمران القرى والمناطق التي يمرّ فيها وحوّلها إلى جنّات خضراء. وكانت تلك القرى والمزارع متقاربةً تعيش آمنة مطمئنّة، ولكنّ أهلها نسوا ذكر الله وانشغلوا بالتفاخر والنزاعات الطبقيّة. وقد ورد في بعض كتب التاريخ أن فئران الحقل تسلّطت على السد وشرعت في نقبه واتخذت منه مساكن لها، ولما أمطرت السماء وارتفع منسوب الماء وازداد

الضغط على السدّ انفجر وتحوّلت مياهه الجارية إلى سيل عظيم أدّى إلى هدم جدران السدّ، وتدمير المزارع والمحاصيل، وقضى على الحيوانات، وهدم القصور التي كانت تقع في طريقه. فعادت تلك البلاد إلى سابق عهدها لا ينبت فيها إلا شجر الأراك المر، وشجر المن، وقليل من شجر السدر، وهاجرت الطيور المغردة ليحل محلها البوم والغربان[١]. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

التعاليم

١ ـ كان قوم سبأ قوماً يؤمنون بالله؛ لذا استخدموا في دعائهم كلمة «ربنا»، ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾.

٢ ـ عدم الشكر ظلم للنفس، ﴿بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾.

٣ ـ ذهاب قوم سبأ وزوالهم كان حديثاً في المجالس وصار مضرب مثل، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾.

٤ ـ عدم الشكر سبب لضياع حياة الإنسان، ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

٥ ـ للأفراد والأمم أن تتلقى العبر مما جرى في التاريخ، لكي تَثْبُتَ على الحق وتؤدي شكر النعم، ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ كفران النعم طريق ينفذ منه إبليس بنجاح، ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا... وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

٢ ـ لا يقين لإبليس بالنجاح في جرّه الناس إلى جادّة الانحراف، ﴿ظَنَّهُ﴾.

---

(١) التفسير الأمثل.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾

إشارات

❑ بملاحظة أن الله ﷻ بكل شيء عليم، وحفيظ، وشهيد، فالمراد من قوله: ﴿لِنَعۡلَمَ﴾، التمييز والتحديد، أي لكي يصبح معلوماً لدى الإنسان ولدى الآخرين من هو المؤمن ومن هو الكافر، أو للفصل بين أتباع إبليس وبين المؤمنين.

التعاليم

١ ـ لا يقدر الشيطان على إجبار الإنسان على طاعته، وعندما يتّبع بعضُ الناس الشيطان فإنّهم يفعلون ذلك بملء إرادتهم واختيارهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾.

٢ ـ الإيمان بيوم القيامة سد يمنع من نفوذ الشيطان، ﴿لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

٣ ـ فلسفة وجود الشيطان ووساوسه إيجاد طرق متعدّدة أمام الإنسان لكي يتمكن من الاختيار ولاختباره، ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾.

٤ ـ يفتح الإنسان الباب أمام نفوذ الشيطان من خلال حالة الشك والتردد التي يعيشها، ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ... مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾.

٥ ـ للإنسان حرّية اختيار السبيل والعمل، ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾.

٦ ـ لا مجال للسهو والنسيان في العلم الإلٰهيّ، ﴿حَفِيظٞ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ غير الله ﷻ خيال محض، ﴿زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾.

٢ ـ ليس للمشرك من منطق، ﴿زَعَمْتُم﴾.

٣ ـ غير الله لا يملك السموات والأرض ولا شريك له ولا نصير، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... مِن شِرْكٍ... مِّن ظَهِيرٍ﴾.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- كلمة «فُزّع» متى تعدت بـ«عن» فالمراد زوال الفزع والجزع عنه[1]؛ ومتى كانت بدون «عن» كان المراد منها الإصابة بالخوف والجزع.
- جملة «إلا لمن أذن له» يمكن تفسيرها بأحد معنيين:

أ ـ لا تنفع الشفاعة عند الله ﷻ إلا شفاعة الأنبياء، والأولياء، والشفاء، المأذون لهم من الله ﷻ.

ب ـ لا تنفع الشفاعة عند الله ﷻ إلا لمن يأذن الله بشمول شفاعة الأولياء لهم من المذنبين.

- ورد في تفسير أطيب البيان تفسير الآية بالآتي: لا تنفع الشفاعة في يوم القيامة إلا لمن أذن الله ﷻ له بالشفاعة. والمذنبون في ذلك اليوم يعيشون حالة فزع، وجزع، وصياح إلى أن يسكتوا ويسكن الفزع في قلوبهم، فتسألهم الملائكة أو المؤمنون: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ فيقولون: قال الحق ولم نسمع.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «فزع».

التعاليم

١ ـ ليس للمعبود الخيالي حق الشفاعة لأتباعه، ﴿لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾.

٢ ـ الشفاعة لا تعني أنّ الشفعاء أرحم من الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ يعطي الشفعاء الإذن في الشفاعة، ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

٣ ـ الشفاعة ليست فعلاً مستقلاً في مقابل الإرادة الإلٰهيّة الحتميّة؛ بل في ظل الإرادة الإلٰهيّة، ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾.

٤ ـ الشفاعة ممكنة في يوم القيامة ولكن بإذن من الله ﷻ، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

٥ ـ الإذن الذي يعطيه الله ﷻ للشفاعة أو للشفيع على أساس الحق، أي إن الشفعاء يصلون إلى هذا المقام لما لديهم من قرب من الله ﷻ، والمشفوع لهم لحفظهم الارتباط بالله ﷻ كانوا أهلاً لأن تنالهم الشفاعة، ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ في العمل التربوي والتبليغي ينبغي استخدام أسلوب السؤال لأجل إيقاظ وجدان المخاطبين وحثّهم على التفكير، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم...﴾.

٢ ـ من أسباب العبادة ملاحظة من الذي يرزق. ففكر من الذي يرزقك؟ ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾.

٣ ـ رزق السماء: النور، والحرارة، والمطر، والريح، والغيم؛ ورزق الأرض: كل ما فيها من ثمر وبركات، ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ لكافة السموات تأثيرها في الرزق الذي ينزل علينا، ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٥ ـ عند الدخول في حوار مع الآخر المختلِف، لا بدّ من اعتماد منهج الجدال بالتي هي أحسن، وذلك بمراعاة العدل والإنصاف معه، ﴿وَإِنَّآ إِيَّاكُمْ﴾.

٦ ـ المهديّون هم بمثابة من يقف أعلى المركب أو الجبل، فأفقهم يكون واسعاً ورؤيتهم تكون شاملة، ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾؛ وأما الضالون فإنهم كمن يقف في أسفل الوادي أو في عمق البحر فلا يرى شيئاً وتحيط به أسباب الضلال، ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ كلمة «فتح» تعني إزالة العقدة والإشكال، سواء أكان ذلك في أمر ظاهر كفتح القفل، أم في أمر باطن كإنهاء حالة النزاع[١]. و«الفتاح» اسم من أسماء الله الحسنى[٢].

التعاليم

١ ـ إصرار الأنبياء على هداية الناس ينطلق من محبتهم، لا لأجل أن ذنوب العباد تقع على عاتق الأنبياء أو العكس، ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾.

٢ ـ التواضع والأدب وسيلة للنجاح، (فقد وصف فعل نفسه بأنه جرم؛ ووصف فعل المخاطب بأنه عمل) ﴿أَجْرَمْنَا... تَعْمَلُونَ﴾.

٣ ـ إذا لم تؤثّر دعوتكم في هذه الدنيا فلا تقلقوا فإن في القيامة حساب جميع الخلق، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

٤ ـ يوم القيامة هو يوم الجمع، ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾؛ وهو يوم الفصل أيضاً (فصل المحسن عن المسيء)، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾.

٥ ـ الحكم في يوم القيامة يكون على أساس الحق، ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

٦ ـ ذكر المعاد يحصّن الإنسان في مواقفه وأعماله، ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ (تفتح كافة الملفات المرتبطة بالاحتيال، والنفاق، والمشاكل السياسيّة والاجتماعية، وتبدأ عمليّة الحساب).

٧ ـ لا أحد غير الله ﷻ يمكنه أن يفتح الأقفال ويحلّ العقد، ولا أحد غيره عالم بها جميعاً، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

□ في هذه الآية والآيات السابقة أسلوب تدريجي يتدرّج في خطوات، وبمداراة، في الحوار مع المنكرين لأجل بيان الحق:

أولاً: في الآية ٢٤ دعوة إلى التفكّر: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ثانياً: التعامل بإنصاف في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾، فلا ينبغي في الحوار أن تصدر حكماً قاطعاً لصالحك.

ثالثاً: في الآية ٢٥ يتحدث عن أن كل إنسان مسؤول عن عمله فلا يسأل أحد عن فعل غيره.

رابعاً: في الآية ٢٦ يشير إلى يوم القيامة وأنه يوم ظهور الحق: ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

خامساً: مطالبة الطرف الآخر بالدليل والبرهان أثناء الحوار، ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

التعاليم

١ ـ توجيه السؤال المقترن بشيء من التأنيب، وسيلة لإيقاظ الوجدان من سباته، ﴿قُلۡ أَرُونِيَ﴾.

٢ ـ لا يرى أيٌّ من المعبودات (سواء أكان هو عيسى عليه السلام، أم الملائكة، أم الأصنام) نفسه شريكاً لله عزّ وجلّ؛ بل أنتم الذين تدعون أنهم شركاء، ﴿أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾.

٣ ـ تمنع العزّة الإلهية إلحاقَ أيّ معبود خيالي موهوم بساحتها، ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾

إشارات

□ «كافة» إما بمعنى جميع، أي إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مرسل إلى الناس كافة، وهذا المعنى تؤيده الآيات والروايات الأخرى، أو بمعنى الكف والمنع، أي إن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يردع الناس عن الكفر، الشرك والمعصية، وحرف التاء في هذه الكلمة يكون للتأكيد، والمعنى الأول أفضل[(١)].

التعاليم

١ ـ رسالة نبي الإسلام عالمية، ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ... كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾.

٢ ـ أهم صفة للأنبياء في دعوتهم الناس إلى الهدى أنهم مبشرون ومنذرون، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا... بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

- ورد في آيات عدّة، أن زمان يوم القيامة لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، وذلك لحكمة إلٰهيّة كي يبقى الإنسان في حالة جهوزية تامة، مضافاً إلى أن عدم العلم بالتفاصيل والجزئيات لا يمنع من الإيمان بالكليات. فمثلاً نعلم من صوت جرس المنزل عندما يدقّ أن شخصاً يقف خلف الباب، ولكن لا نعرف من يكون ولا ندرك خصائصه؛ فهل هو رجل أو امرأة، وما هو عمره، ولكن هذا كله لا يخدش العلم بوجود شخص خلف الباب. نعم، فنحن نعلم بقيام الساعة ولكننا لا ندري متى يكون ذلك. وقد ورد في الآية ١٥ من سورة طه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أي حتماً ستأتي ولكن زمانها مخفي عنكم.

التعاليم

١ ـ لا يلزم أن نعلم بجواب كل سؤال. فقد سأل السائل في الآية عن وقت القيامة، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ وقد دعا الله نبيّه إلى أن يقول في الجواب: لا نعلم زمان ذلك: ﴿مِّيعَادُ يَوۡمٖ﴾.

٢ ـ القيامة يوم مهم جداً، (كلمة «يوم» وردت نكرة مع التنوين، وفي هذا دلالة على الأهميّة والعظمة).

٣ ـ زمان قيام الساعة لا يقبل التغيير، ﴿لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا يقدم الكفار على الإيمان أبداً بسبب حالة العناد التي يعيشونها، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾.

٢ ـ لا يؤمن الكفار بأيٍّ من الكتب السماوية، ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٣ ـ يدعو نبي الإسلام ﷺ إلى الإيمان بالكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم، والكفار يتجاهلون دعوته هذه، ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٤ ـ محكمة القيامة غاية في الصعوبة، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾.

٥ ـ يظلم المشركون أنفسهم، ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٦ ـ حساب المشركين عند ربهم، ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

٧ ـ أفضل أسلوب للتربية رسم مشاهد يوم القيامة، ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

٨ ـ المستضعفون الذين يتبعون المستكبرين مؤاخذون أيضاً، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾.

٩ ـ ساحة القيامة ساحة حوار وجدال، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ...﴾.

١٠ ـ يُخاطِب المجرمون في يوم القيامة كبراءهم بقولهم: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

١١ ـ الإيمان سبب النجاة في يوم القيامة، ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا يجبر المجتمع الفاسد ولا المستكبرون الناس على الانحراف، ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ... بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

٢ ـ يدرك المستكبرون يوم القيامة أن طريق الأنبياء هو الحق، ﴿صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾.

٣ ـ يصل صوت الحقّ إلى الناس جميعاً، ومن واجب من يصله ذلك الصوت الإيمان به وتصديقه، ﴿جَآءَكُم﴾.

٤ ـ لا يمكن في يوم القيامة للإنسان أن يُلقي ذنبه على عاتق غيره، ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

٥ ـ أعظم مهانة أن يخاطب المجرمون الكبارُ الناسَ من أتباعهم بصفة المجرم، ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

- تدل هذه الآية على أن المجرمين يخفون ندمهم، مع أنه ورد في آيات أخرى أنهم يظهرون ندمهم. وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف مواقف يوم القيامة.
- على الرغم من قول الراغب إن المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ هو بمعنى إظهار الندامة وبمعنى إخفائها أيضاً، ولكن بملاحظة الرواية المروية عن الإمام الصادق فإن المراد هو إخفاء الندامة. سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾، فقيل له: وما ينفعهم إسرار الندامة وهم في العذاب؟ قال: **«كرهوا شماتة الأعداء»**[(١)].

التعاليم

١ ـ يسعى المستكبرون في الليل والنهار، ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

٢ ـ أئمة الكفر يصدورن أوامرهم على أساس المكر والتدبير، ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ... إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٨٨.

٣ ـ الانحراف الفكري والثقافيّ للمجتمع هو بسبب الجهد المستمر الذي يبذله المستكبرون، ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾.

٤ ـ يتعامل المستكبرون مع أتباعهم بلغة الأمر والنهي، لا الدعوة والإرشاد، ﴿تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ﴾.

٥ ـ لا ينفع الندم في يوم القيامة، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ... وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ للكفّار يتناسب مع عملهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ رفض الكافرين دعوة النبي الأكرم ﷺ ليس أمراً جديداً، فقد رفضوا دعوة من سبقه من الأنبياء، (في هذا ترويح عن نفس النبي)، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾.

٢ ـ المترفون يقفون في الصف الأول في جبهة المواجهة مع الأنبياء، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾.

٣ ـ الترف يجعل الإنسان شخصاً غير مبالٍ وقاسي القلب، ويجره إلى الاستكبار، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ... كَٰفِرُونَ﴾.

٤ ـ رفض دعوة الأنبياء برفض رسالتهم لا أشخاصهم، ﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٥ ـ حركة الأنبياء تشكل خطراً على مصالح أصحاب الأموال، ﴿مُتْرَفُوهَآ... كَٰفِرُونَ﴾.

٦ ـ يظنّ الكفار أن الغنى وامتلاك الأموال في الدنيا سبب للغنى في الآخرة، ﴿أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا... وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

٧ ـ يفتخر المترفون بأموالهم وأولادهم، ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾.

٨ ـ يرى المترفون أنّهم نوعيّة خاصة ومميّزة من الناس، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ على النبي أن يصحح العقائد المنحرفة التي يؤمن بها الناس حتى لا يظن هؤلاء أن النعم الإلٰهيّة تدل دائماً على اللطف والمحبة، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي...﴾.

٢ ـ بسط الرزق أو إمساكه لا يدل على الرحمة الإلٰهيّة أو العذاب، (قد يقتّر الرزق على المؤمن ويبسط في المقابل على الكافر)، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾.

٣ ـ بسط الرزق وإمساكه من شؤون الربوبيّة، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ﴾.

٤ ـ يرى الناس أن سبب الرزق هو الوسائط والأسباب الماديّة، كحسن التدبير والجهد الشخصيّ، وينسون الله ﷻ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٥ ـ في المجتمع الدينيّ لا بدّ من أن يُنظر إلى الاقتصاد من زاوية معنوية وإلٰهيّة أيضاً، ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا... قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ﴾

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- جعل الله ﷻ الإيمان، والعمل الصالح، والإنفاق، والإخلاص وسائل للقرب إليه، ولكن جماعة يرون في المال والولد وسائل للقرب ونيل السعادة.
- ورد في الآية ١٥ من سورة التغابن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، نعم ذكر المال والولد من باب المثال، فلا شيء من غير الإيمان والعمل الصالح بموجبٍ للقرب إلى الله ﷻ.
- على من يفتخر كثيراً بالمال والولد أن يعلم أن كثرة المال والولد لا تدل دائماً على سعة الرزق، بل لعل الله ﷻ يريد أن يعذبهم بها، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾[١].

(١) سورة التوبة: الآية ٥٥.

التعاليم

١ ـ يجب الرد على شبهات الأعداء وأفكارهم الخاطئة، (قال تعالى على لسان الكفار (في الآية ٣٥): ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، وهذه الآية ترد مقولتهم وتثبت لهم أنّ المال والولد لا يوجبان الأمن من العذاب)، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم...﴾.

٢ ـ القرب من الله ﷻ هدف دائم للإنسان ولكن الإنسان قد يختار بعض الطرق والوسائل غير الصحيحة للوصول إلى هذا الهدف وإلى هذه الغاية، كما في عبادة الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1]، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾.

٣ ـ امتلاك المال والولد وسائر الإمكانات لا يدل على الكمال، بل الكمال في حسن الاستفادة من هذه الأمور، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، (نعم إذا سُخّر المال والولد في سبيل الإيمان والعمل الصالح كانا وسيلة للقرب)، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ... إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ﴾.

٤ ـ قد يتضاعف الجزاء، ولكن في جميع الأحوال يبقى المعيار هو العمل، ﴿جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾.

٥ ـ في اختيار مكان الإقامة لا بدّ، مضافاً إلى صفة الأمن، من توفّر خصائص أخرى: كوجود غرفات، طبقات عليا، إشراف أفضل، نور أقوى، هواء ألطف، ﴿فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾.

٦ ـ لا وجود للمرض، أو الخوف، أو الحزن، أو الاضطراب والقلق في الجنّة، ﴿آمِنُونَ﴾.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ أصحاب الثروات والأموال، الذين يصرفونها في سبيل إسقاط الحق ومنعه من الانتشار في الأرض، سوف يجازون على فعلهم ذاك، (بالنظر إلى هذه الآية والآية السابقة)، ﴿يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾.

٢ ـ أعداء الدين في سعيٍ دائبٍ لأجل إسقاط الحق، ﴿يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

- ورد في رواية أنّ أحدهم سأل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وقال له: إني أنفق ولا أرى خلفاً، قال: «**أفترى الله عزّ وجلّ أخلف وعده**»؟ قال: لا، قال: «**فمم ذلك**»؟ قال السائل: لا أدري، قال: «**لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حله لم ينفق درهماً إلا أُخلف عليه**»[1]. على أنّ الخلف قد يكون في الآخرة أو بدفع بلاء ومنعه من النزول بالمنفِق أو بذرّيّته الآتية.
- كلمة «يقدر» من «القدر» بمعنى «المقدار» وكذلك بمعنى الشدة والضيق، والمراد هنا المعنى الثاني بقرينة مجيء كلمة «يبسط» في الآية.
- تعرضت الآية ٣٦ أيضاً لمسألة التضييق والتوسعة في الرزق، ولكن المخاطب في تلك الآية كان الكفار، وأما المخاطب هنا فهم المؤمنون.
- إذا رأى التاجر أن بضاعته في معرض التلف، فإنّه يرضى ببيعها بثمن أقل أو يبيعها نسيئة وديناً، ولو جاءه من يشتري ولم يبعه فهذا دليل خفّة عقل. وعمر

---

(١) تفسير نور الثقلين، والكافي، ج ٢، ص ٤٨٦.

الإنسان كذلك هو بضاعة في معرض التلف، والله ﷻ هو المشتري وبثمن عظيم، فعدم بيعه دليل قلة عقل.

- ورد عن رسول الله ﷺ: «ينادي مناد كل ليلة: لِدُوا للموت، وينادي مناد: ابنوا للخراب، وينادي مناد: اللهم هب للمنفق خلفاً، وينادي مناد: اللهم هب للممسك تلفاً»[1].

- الله ﷻ خير الرازقين لأنه:

أ ـ بيده كل شيء ويمكنه العطاء.

ب ـ لا يبخل.

ج ـ يعطي الجميع.

د ـ عطاؤه بلا منة ولا طلب جزاء.

هـ ـ دائم.

و ـ أعلم بالحوائج.

ز ـ يعطي ما لا يقدر غيره على إعطائه.

التعاليم

١ ـ التفاوت بين الناس في الرزق بيد الله سبحانه، وهو وسيلة من وسائل تربية الإنسان وتهذيبه، (مقتضى الربوبيّة الإلٰهيّة قبض الرزق وبسطه)، ﴿رَبِّي يَبْسُطُ... وَيَقْدِرُ﴾.

٢ ـ المهم هو الإنفاق لا مقداره، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾.

٣ ـ الإنفاق ليس بالمال وحده بل يكون بكل نعمة وهبها الله ﷻ لهذا الإنسان، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾.

٤ ـ اليقين بوجود العوض سبب للسخاء، ﴿مَآ أَنفَقْتُم... فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

٥ ـ من الأسباب الموجبة لاختلاف الرزق امتحان الناس، ﴿يَبْسُطُ، وَيَقْدِرُ، مَآ أَنفَقْتُم﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

٦ ـ الإنفاق يعوَّض، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، والله ﷻ هو الضامن لذلك، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

٧ ـ التعويض عن الإنفاق سوف يكون بأفضل صورة، ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾

التعاليم

١ ـ في يوم القيامة يحضر العابد مع معبوداته الموهومة في مكان واحد، ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

٢ ـ في بعض مراحل التاريخ البشريّ كانت الناس تعبد الملائكة، بل إن بعض الأصنام كانت تماثيل للملائكة، ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ... إِيَّاكُمْ... يَعْبُدُونَ﴾.

٣ ـ مع الزجر الذي يناله المشركين، يُوجّه السؤال إلى المعبودين: هل أنتم دعوتموهم إلى الشرك؟ وذلك لإثبات أن هذه المعبودات تنكر ذلك وتدينه ولا ترضى به، ﴿يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾، كما يقال لعيسى بن مريم ﵇: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾[1].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾

إشارات

- يتوجه بعض المشركين بالعبادة إلى الملائكة على أمل نيل الخير منهم، ولكن أكثرهم يعبد الجن خوفا من ضرره أو من أن يناله شره[2].
- لعل المراد من الجن في هذه الآية الشيطان، أي إنهم بدل عبادة الملائكة يتبعون الشيطان.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

التعاليم

١ ـ لنتعلمْ أدب الحديث مع الله ﷻ من الملائكة، ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾.
٢ ـ تولي الله ﷻ والتبري من غيره لا بدّ من اقترانهما معاً، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ الحكم والملك في يوم القيامة لله ﷻ وحده، (فليس لأحد من المعبودات ـ من جن أو ملائكة أو غيره ـ أي سلطة، فلا المعبود يمكنه أن يفعل للعابد شيئاً ولا العابد للمعبود)، ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾.
٢ ـ تولي غير الله ﷻ ظلم للنفس، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.
٣ ـ ما يترتب عليه عذاب الله ﷻ هو التكذيب المستمر وعن سوء نية، ﴿كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

□ «بينات» جمع «بينة» وهي الدليل الذي يبين الحق. وكلمة «إفك» تطلق على الشيء الذي يكون محرفاً وقد صرف عن وجهه.

التعاليم

١ ـ الآيات الإلٰهيّة بيّنة، وسبب إنكار الكافرين عنادهم لا غموضها وعدم وضوحها، ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾.

٢ ـ إنكار الكافرين قد يكون:
أ ـ بالاستهزاء بالنبي، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾.
ب ـ بتوجيه التهم، ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾.
ج ـ باستحضار تقاليد الآباء، ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

٣ ـ يسعى الكفار، ومن خلال التذكير بآبائهم الضالين، للتأثير على الناس بالنحو الذي يقفون فيه في مواجهة الأنبياء، ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

٤ ـ التقليد الأعمى يمنع من تطوّر الإنسان، ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾.

٥ ـ الكفار يواجهون بالرفض الرسول والرسالة، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ... مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾.

٦ ـ يسعى الكفار، لضمان نجاح سعيهم، إلى الاستفادة من كل إعلام أو شائعة، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ... مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ... إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾.

٧ ـ الكفر أحد موانع المعرفة، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ... إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

- المفهوم من هذه الآية أنّنا لم نرسل إلى مشركي مكة رسولاً قبلك ولا كتاب حتى يتمكن هؤلاء المشركون من الاستناد إليه لمعرفة أنّك على حق أو على باطل! بل إن تكذيب هؤلاء وإنكارهم يقوم على أساس جهلهم، وعنادهم، واتّباعهم للهوى ولتقاليد الآباء.

التعاليم

١ ـ إثبات أي أمر أو نفيه لا بدّ من أن يكون مستنداً إلى العلم أوالوحي، وأي موقف لا يستند إلى ذلك يكون اتّباعا للهوى، ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم...﴾.
٢ ـ الكتب السماوية للدرس والتعليم، ﴿كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾

إشارات

□ نظير هذه الآية ما ورد في الآية ٢١ من سورة غافر وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا﴾. وفي الآية ٩ من سور الروم يقول تعالى: ﴿...كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

نعم التمدن، والثروات، والقوة متغيّرات وليست أموراً خالدةً فقد تكون إمكانات الماضين وقدراتهم أكثر.

التعاليم

١ ـ الاطلاع على التاريخ يجعلك ترى المشاكل الكبيرة صغيرة، ويسهل عليك تحملها، ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ... فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ﴾.

٢ ـ لا بد من الاستخفاف بالعدوّ أحياناً، ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ...﴾.

٣ ـ يعتمد الكفار على ما يملكونه من ثروة وقوة لإنكار الحق، والله ﷻ يخاطبهم بأن ثروتكم لا تصل عشر ثروة غيركم، ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ...﴾.

٤ ـ المجتمعات والحضارات الكبرى أصيبت بالفناء بسبب تكذيبها الأنبياء، (مشركو مكة ليسوا شيئاً، فلا تقلق)، ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

٥ ـ السنة الإلٰهيّة واحدة في الناس كافة، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

٦ ـ قد يلزم أحياناً في العمل التربوي والإرشادي استخدام لغة التهديد (التهديد الغامض والمبهم)، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ موعظة الناس إحدى وظائف الأنبياء، ﴿أَعِظُكُم﴾.

٢ ـ لا ينبغي الاقتصار على الكلام، بل لا بد من القيام والحركة، ﴿تَقُومُواْ﴾.

٣ ـ المهم هو القيام لله ﷻ عن إخلاص، وليس للعدد دور أساس في ذلك، ﴿تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾.

٤ ـ يلزم للقيام توافر عناصر ثلاث:

الخلوص: ﴿لِلَّهِ﴾، القائد: ﴿بِصَاحِبِكُم﴾، التفكير والتخطيط: ﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾.

فالتحركات والثورات التي لا تكون لله ﷻ بل تنطلق من العُقَد، والهوى، ولأجل كسب الأموال لا تصل إلى نتيجة. وأي ثورة لا تقوم على أساس التخطيط والتفكير أو لا يقودها قائد رباني لا تصل إلى نتيجة، ولا بقاء لها ولا بركة فيها.

٥ ـ ليس في النبي الكريم أدنى نقطة ضعف معنوي وروحي. فقد بقي لسنوات معكم والكل يعرف مدى رجاحة عقله وعلمه. ونسبة الجنون إليه دليل على الجهل وعدم التفكير، ﴿تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

٦ ـ القائد الرباني يعيش مع الناس، ويصاحبهم، ويتحدث معهم، ﴿بِصَاحِبِكُم﴾.

٧ ـ الله ﷻ هو الذي يحمي أنبياءه ويدفع عنهم التهم، ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

٨ ـ على الرغم من كون الأنبياء مبشِّرين ومنذرين، ولكن القرآن الكريم يهتم بالإنذار أكثر؛ لأن حاجة الغافلين للإنذار أشد، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

٩ ـ إنذار الأنبياء فيه مصلحة الناس، ﴿نَذِيرٌ لَّكُم﴾.

١٠ ـ العذاب أمامكم، فإن لم تقوموا لله ﷻ، فإن العذاب سوف يصيبكم في الدنيا وهو ليس ببعيد عنكم في الآخرة، ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ ورد في القرآن الكريم، وفي موارد عدّة، على لسان النبيّين أنهم لا يطلبون من الناس أجراً على الرسالة، وفي ذلك لاحظ سورة الشعراء من الآية المائة حتى الآية مائة وثمانين، ولكن في ما يتعلق بنبي الإسلام ﷺ ذكر القرآن الكريم على لسانه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1]، ومرة أخرى في الآية ٥٧ من سورة الفرقان: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

والآية المذكورة هنا هي الآية التي تجمع بين الآيات الثلاثة، فالنبي ﷺ يريد القول إنني لو طلبت منكم أجراً فهو مودة أهل بيتي؛ لأن فائدة هذا الأجر تعود إليكم، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ لأن من يود أهل البيت عليهم السلام ويتبعهم وهم المعصومون فقد اتبع سبيل الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ ففائدة هذا الأجر هو لكم، كالمعلم الذي يقول لتلميذه أنا لا أريد منك أجراً سوى أن تهتم بدروسك، فإن فائدة هذا الأجر تعود إلى التلميذ نفسه.

التعاليم

١ ـ يجب على أهل الدعوة إلى الله عز وجل أن يبيّنوا للناس ما يتوقعونه منهم، (ففي الآيات الثلاثة المتعرضة لموضوع الأجر على الرسالة وردت كلمة «قل»، وهي بهذا تأمر النبي بالإظهار، ﴿قُلْ... إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

٢ ـ القبيح هو طلب الأجر وسؤال الأجر، ولكن لو أنّ الناس، ومن دون سؤال ولمودتهم ومن دون إكراه، قدموا للمبلّغ هدية فإن حساب ذلك يختلف عن الأجر. ولذا ورد التعبير القرآني: ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾؛ ولم يقل: «لا آخذ».

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

٣ ـ شرط تأثير الكلام في نفوس الناس، أن يكون المتحدث به مخلصاً ومحباً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، فلو أن إمام الناس كان يتوقع منهم الجزاء المادّي فإن المجتمع لن يتحمل ذلك وسيرفضه: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾[1].

٤ ـ اختيار سبيل الله ﷻ ومودة أهل البيت ﷺ، الذي هو أجرة الرسالة، يعود نفعه إلى الناس أنفسهم، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾.

٥ ـ من يرى الله ﷻ شهيداً على أعماله فلن يأمل غيره أبداً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٦ ـ لأجل رفع سوء الظن اجعل الله ﷻ شهيداً على صدقك، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل من شؤون الربوبيّة، ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾.

٢ ـ على الحق أن يهاجم الباطل ويفنيه، («يقذف» بمعنى يرمي ويهجم).

٣ ـ انتصار الحق على الباطل سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل يتوقف على سعة الاطلاع، ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

□ ورد عن ابن مسعود ـ أحد أصحاب رسول الله ﷺ ـ أنّه كان في مكة ٣٦٠

(١) سورة القلم: الآية ٤٦.

صنماً، وأن النبي ﷺ كان يحطمها يوم فتح مكة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾(١).

☐ **سؤال:** بعد مجيء القرآن والرسول الحق لماذا يبقى الباطل؟

الجواب: الحكم المنطقي والعلمي يختلف عن الحكم العملي والتنفيذي، وما يرتبط بالله ﷻ هو أن يرسل الحق، وما يرتبط بالعباد أن يعملوا بالحق، نعم فصحة المريض تتحقق بأن يأخذ وصفة الطبيب بالدواء الذي يرفع المرض وأن يتناول الدواء وهي وظيفة كل من الطبيب والمريض معاً.

التعاليم

١ ـ الحق سوف ينتصر على الباطل، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

٢ ـ ينبئ القرآن الكريم عن الغيب، ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

٣ ـ مع انعدم الوحي فإنّ النبي أيضاً معرض للانحراف، ﴿﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ﴾.

٤ ـ الآثار السيّئة للانحراف ترجع إلى الإنسان نفسه، ﴿أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾.

٥ ـ الله ﷻ أرسل الوحي وأشرف على إبلاغ الوحي، ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾
وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

☐ تتعرض هذه الآيات إلى آخر السورة للصور المفزعة للمشركين عند موتهم.

☐ كلمة «تناوش» من «النوش» بمعنى أخذ الشيء بسهولة.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

❑ ورد في تفاسير الشيعة والسنة روايات مفادها أن رسول الله ﷺ فسّر هذه الآيات بخروج السفياني عند ظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وأن الله ﷻ سوف يفنيه في أقرب مكان.

❑ المراد من ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الدنيا، ومن ﴿مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ الآخرة.

التعاليم

١ ـ جزعُ، وفزعُ، واستمدادُ المشركين العون لن ينفعهم شيئاً في حل ما يعانونه، ﴿فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ فلا نصير لهم.

٢ ـ كل كافر يلجأ إلى الإيمان لحظة الإحساس بالخطر، ولكن لا نفع له بذلك، (الإيمان الاختياري هو المطلوب لا الاضطراري)، ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ... قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾.

٣ ـ الموت متى جاء أخذ الإنسان فوراً، ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

٤ ـ تبدأ معاقبة المشركين في هذه الدنيا، ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

٥ ـ الرجوع إلى الدنيا لجبران ما فات أمر بعيد وغير ممكن، ﴿مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ الذين كفروا بالأمس بالنبي ﷺ وبالقرآن واتهموهم، هم اليوم في ضيق ويعلنون إيمانهم ولكنه لا ينفعهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟... وَيَقْذِفُونَ﴾.

٢ ـ لا يمتلك الكفار معرفة واضحة بالنبي ﷺ وبالقرآن؛ ولذا كانوا يرمون التهم بحقهما عشوائياً ومن مكان بعيد، ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ فَاطِرٍ

السورة: ٣٥ الجزء: ٢٢

عدد الآيات: ٤٥

ملامح سورة فاطر

سورة فاطر مكية وعدد آياتها خمس وأربعون. «الفاطر» صفة من صفات الله ﷻ وتعني الخالق. واسم هذه السورة مأخوذ من الآية الأولى منها حيث ورد فيها ذكر صفات الله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

كسائر السور المكية تتعرض هذه السورة للحديث عن المبدأ والمعاد، ومواجهة الشرك، وهي المحاور الأساس في هذه السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾

إشارات

- «الفاطر» هو الخالق لا عن سبق، و«الأجنحة» من «جناح» وهو كناية عن القدرة.

التعاليم

١ ـ الحمد لا بدّ من أن يكون على أساس ما ينبغي ويليق، (فالقرآن متى قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فذلك لأن الله ﷻ خالق قدير).

٢ ـ على الرغم من سعة القدرة الإلٰهيّة، إلّا أن الله ﷻ جعل عالم الكائنات خاضعاً لنظام الأسباب والمسبّبات، ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾.

٣ ـ دور الملائكة وقدراتهم مختلفة، ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾.

٤ ـ يد الله ﷻ مطلقة في خلقه، والعالم في حالة ازدياد وسعة، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

٥ ـ خلق الكون أمر بديع ولا سابق له، ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

خصائص الملائكة في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن الملائكة بأمور منها:

١ ـ الملائكة عباد الله المكرمون، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[١].

٢ ـ عباد مطيعون، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٢]، ﴿لَا يَعْصُونَ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٧.

﴿ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[١].

٣ ـ تدبير الأمور وتقسيمها بأيديهم، ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[٢]، ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾[٣].

٤ ـ مراقبة الإنسان في أقواله، ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[٤].

٥ ـ يكتبون أعمال العباد، ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾[٥].

٦ ـ بشارة الجنود بالمدد الغيبي في الحرب، ﴿بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾.

٧ ـ يبشرون الناس بالولد، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾[٦].

٨ ـ تطمين المؤمنين ورفع الخوف والحزن عنهم، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾[٧].

٩ ـ ينزلون العذاب على المجرمين، ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾[٨].

١٠ ـ يحفظون الإنسان، ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[٩].

١١ ـ يدعون للمؤمنين، ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١٠]، ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[١١].

١٢ ـ يشفعون، ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[١٢].

١٣ ـ لعن الكفار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[١٣].

١٤ ـ إمداد المقاتلة أثناء الحرب، ﴿يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[١٤]، ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ... يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ﴾[١٥].

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.
(٢) سورة النازعات: الآية ٥.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٤.
(٤) سورة ق: الآية ١٨.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٨٠.
(٦) سورة مريم: الآية ٧.
(٧) سورة فصلت: الآية ٣٠.
(٨) سورة هود: الآية ٧٧.
(٩) سورة الأنعام: الآية ٦١.
(١٠) سورة غافر: الآية ٧.
(١١) سورة الشورى: الآية ٥.
(١٢) سورة النجم: الآية ٢٦.
(١٣) سورة البقرة: الآية ١٦١.
(١٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.
(١٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

١٥ ـ معاقبة المجرمين لحظة الموت، ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾[1].

١٦ ـ الترحيب بأهل الجنّة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[2].

١٧ ـ مسؤولية العذاب في جهنم، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[3].

١٨ ـ مسؤولية قبض الارواح، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[4].

١٩ ـ لهم درجات، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[5].

٢٠ ـ مسؤولون عن نزول الوحي، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾[6].

٢١ ـ يتمثلون بصورة بشر، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[7].

٢٢ ـ لا يسأمون من العبادة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[8].

٢٣ ـ يحدثون غير الأنبياء، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾[9].

٢٤ ـ بعض الملائكة من المصطفين، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[10].

٢٥ ـ يجب الإيمان بهم، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[11]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[12].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ
فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ الناس جميعاً في هذه الدنيا في ظل الرحمة الإلٰهيّة، ﴿يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾.

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٧.
(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.
(٣) سورة المدثر: الآية ٣١.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٦١.
(٥) سورة الصافات: الآية ١٦٤.
(٦) سورة النحل: الآية ٢.
(٧) سورة مريم: الآية ١٧.
(٨) سورة فصلت: الآية ٣٨.
(٩) سورة مريم: الآية ١٩.
(١٠) سورة الحج: الآية ٧٥.
(١١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(١٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.

٢ ـ الرحمة الإلٰهيّة تسبق الغضب، (كلمة يفتح جاءت قبل يمسك).

٣ ـ عطاء الله ﷻ وإمساكه عن حكمة على الدوام، ﴿يَفْتَحِ... يُمْسِكْ... الْحَكِيمُ﴾.

٤ ـ للنعم الإلٰهيّة خزائن بعضها مفتوح لهذا الإنسان، ﴿يَفْتَحِ... مُرْسِلَ﴾.

٥ ـ أي تعلق بغير الله ﷻ هباء، فلا أحد يقدر على شيء إذا لم يرد الله ﷻ ذلك، ﴿فَلَا مُمْسِكَ... فَلَا مُرْسِلَ﴾.

٦ ـ لا خلل في الإرادة الإلٰهيّة، ﴿مَا يَفْتَحِ... فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ الناس جميعاً مدعوّون إلى التفكير في النعم الإلٰهيّة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

٢ ـ أفضل طريق لمعرفة الله ﷻ تذكر النعم الإلٰهيّة، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾.

٣ ـ السؤال مفتاح اليقظة والحذر، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ...﴾.

٤ ـ بداية عالم الوجود، وتحققه، وبقائه، ودوامه بيد الله ﷻ، ﴿خَالِقٍ... يَرْزُقُكُمْ﴾.

٥ ـ هو الرازق ولكن رزقه يأتي عبر أسباب طبيعية، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٦ ـ لا معنى للتوبيخ قبل التحذير، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ... فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

٧ ـ كل طريق غير طريق التوحيد هو ضلال، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

٨ ـ كيف نأكل رزق الله ﷻ ونعبد غيره، ﴿يَرْزُقُكُمْ... فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

٩ ـ فطرة الإنسان تنزع نحو الله ﷻ، ولكن العوامل الخارجيّة هي أسباب الانحراف، ﴿تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ واجه كافة الأنبياء من يكذبهم، فتكذيب الحق صفة دائمة للكفار، ﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

٢ ـ التاريخ يتكرر، ﴿يُكَذِّبُوكَ... كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٣ ـ لا يتوقف الكفار عند الأشخاص، بل ينكرون طريق الحق؛ لذا يكذبون كل من ينادي بالحق، ﴿يُكَذِّبُوكَ... مِن قَبْلِكَ﴾.

٤ ـ التاريخ أفضل وسيلة للطمأنينة في مواجهة المخاطر، ﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٥ ـ تكذيب الناس لا يضر بحقانية الوحي شيئاً، فقد كذّبت الرسل من قَبْلُ، ﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾.

٦ ـ الإيمان بالمعاد يعطي الإنسان القدرة على مواجهة الحوادث المريرة والصعوبات، ﴿يُكَذِّبُوكَ... وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

٧ ـ على منكري الحق أن يعلموا بأنهم سوف يحاسبون على عنادهم ، ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

إشارات

- «الغرور» تطلق على من يغر الآخرين بكثرة، والمراد منه هنا الشيطان بملاحظة الآية التالية.
- لعل المراد من الاغترار بالله ﷻ في قوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ أن الشيطان يغرّ الإنسان بالعفو الإلٰهيّ، أو عن طريق التحريف والبدع والحديث عن سهولة الأحكام والتكاليف الإلٰهيّة، مما يدفعهم إلى تكرار الذنب.
- بداية هذه السورة تعرضت لموضوع التوحيد، والآية السابقة كانت في موضوع النبوة وهذه الآية ترتبط بالمعاد.
- ورد ما يشبه هذه الآية في سورة لقمان وهي الآية ٣٣.

التعاليم

١ ـ بعض الناس تغره الحياة المادّية والدنيوية، وبعض الناس لا تجعله محاسنُ

الدنيا طامعاً؛ لذا يأتيه الشيطان ليغره فيحرفه، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

٢ ـ لا بد من تكرار التحذير في العمل التربوي، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ... وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾.

٣ ـ الإيمان بالمعاد من أهم المعتقدات التي تحول دون الانخداع بالدنيا.

٤ ـ الوعد الإلٰهيّ حق، وأما وعود الشيطان فهي كذب وهباء، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

إشارات

❑ كلمة «سعير» بمعنى «النار المستعرة»، وهو اسم من أسماء جهنم.

❑ عداوة الشيطان للإنسان قديمة جداً:

فهو الذي أخرج أبويه من الجنّة، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾[1].

وهو العدو الذي لا نراه، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[2].

وهو العدو الذي يحلف على العداوة، ﴿فَبِعِزَّتِكَ...﴾[3].

وهو الذي يوسوس للإنسان من كل جانب، ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ...﴾[4].

وهو الذي يستخدم كل وسيلة ممكنة لإبعاد الناس عن اتّباع الحق، فيعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[5].

ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمي عظني موعظة، فقال عليه السلام: «**إن كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا**»[6].

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٣) سورة ص: الآية ٨٢.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.
(٦) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ إذا لم نحمل عداوة الشيطان على محمل الجد، فسوف نقع في شراكه، ﴿عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾.

٢ ـ علينا أن نحيط بخطط العدو وعدده، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ... يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾.

٣ ـ يطلب الشيطان العون والمساعدة لكي يحرف الناس عن الحق، فنحن ماذا نفعل من أجل الهداية إلى الحق؟ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ... يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧﴾

التعاليم

١ ـ في طاعة أوامر الله ﷻ أو معصيتها حساب وكتاب، ﴿كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ... ءَامَنُواْ... لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾.

٢ ـ لأجل حفظ حالتي الخوف والرجاء، لا بد من ضم الوعد إلى الوعيد، ﴿عَذَابٞ شَدِيدٞۖ... أَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾.

٣ ـ التفكير في العاقبة وملاحظة ما يؤول إليه العمل له تأثيره على التربية، ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ... لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾.

٤ ـ الكفر كاف لاستحقاق العذاب، ﴿كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ﴾؛ ولكن استحقاق الثواب يتوقف على الإيمان والعمل الصالح معه، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾.

٥ ـ لا يمكن دخول الجنّة، قبل تحقّق العفو والمغفرة، ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾.

٦ ـ إتمام الحجة أولاً، ثم التهديد بالعقاب، (جاءت آيات إتمام الحجة أولاً ثم آيات التهديد بالعقاب).

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

إشارات

- الشيطان يزين للإنسان سوء عمله، وبدل أن ينتقده على هذا العمل يتملّق إليه به، وقد ورد في آية أخرى: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[1].
- عدم الإجابة عن الأسئلة الصادرة بلسان التوبيخ يدل على تهديد المسيئين. والله ﷻ يوجه الأسئلة بلسان التوبيخ لهم ولا يجيب عنها. فيقول: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ...﴾ ولكنه لا يجيب عن السؤال.
- ورد عن أبي الحسن عليه السلام عندما سُئل عن العجب الذي يفسد العمل، أنه قال: **«العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً»**[2].

التعاليم

١ ـ عشق الجمال فطرة إنسانية؛ لذا فإن الشيطان يزين للإنسان سوء عمله حسناً لكي يدفعه إلى القيام به، ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾.

٢ ـ استحسان الأعمال القبيحة بابٌ للضلال، ﴿زُيِّنَ لَهُۥ... يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾.

٣ ـ يبرر الإنسان المعصية أولاً، ثم يأتي بها، (تزيين السيئات هو نفسه تبرير المعاصي)، ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾.

٤ ـ المؤمن يدرك الواقع ويعرف نفسه، ويمتلك البصيرة، وأما الكافر هو شخص ظنّين، يقع في المكر والحيلة ومغتر بذاته، (تحدثت الآية السابقة عن الكفار والمؤمنين وهذه الآية عن العلم بالواقع والظن به)، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣١٣.

٥ ـ معيار كون العمل حسناً أو سيئاً من عند الله ﷻ، لا بالظن ونحوه، ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾.

٦ ـ سوء الفهم وظن السيء من العمل حسناً يمنع الإنسان من العبودية والتوبة والكمال، ﴿زُيِّنَ لَهُۥ... يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾.

٧ ـ الهدى والضلال وإن كان من عند الله ﷻ؛ ولكنه يقوم على أساس فعل الإنسان. فالكفار يختارون الكفر عناداً منهم، والله ﷻ يزيد في ضلالهم، ﴿يَهْدِى... يُضِلُّ... بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

٨ ـ النبي حريص على هداية الناس ويتحرّق لأجلهم، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾.

٩ ـ للأسف والحسرة حد ينتهيان عنده، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾.

١٠ ـ استذكار أن عمل العصاة تحت مرأى الله ﷻ، يحد من الحسرة عليهم، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ كما إن حركة السحاب والرياح، ونزول المطر، وإحياء الأرض الموات، وخروج النبات خاضع للإرادة الإلٰهيّة، فكذلك بإرادة منه تعالى تقع زلزلة عظيمة وينشر الأموات من قبورهم وتعود إليهم الحياة.

التعاليم

١ ـ حركة الرياح، وانتقال السحاب، ونزول المطر أمور لا تحدث في الكون صدفة؛ بل في ظل الإرادة الإلٰهيّة، ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ... فَسُقْنَٰهُ﴾.

٢ ـ ثمة نظام وتدبير حاكم في عالم الوجود، ﴿أَرْسَلَ... فَتُثِيرُ... فَسُقْنَٰهُ... فَأَحْيَيْنَا﴾.

٣ ـ علينا الاستفادة من عالم الشهود لفهم عالم الغيب، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- الكلم الطيب هو الشهادة بالتوحيد والرسالة والولاية، كما ورد في الروايات ذكر مصاديق له من الأذكار، نحو: «لا إله إلا الله وسبحان الله و...».
- «يبور» من «البوار»، و«البائر» وهو الكساد الزائد والتلف والهلاك.
- ذكروا لهذه الآية معان عدة منها:

١ ـ إن الكلم الطيب يصعد إلى الله ﷻ، وأما العمل الصالح ففيه الرفعة والدرجة.

٢ ـ الكلم الطيب يرتفع إلى الله ﷻ والعمل الصالح يرفع هذا الكلم.

- يرى الكفار أن العزة إما بالتعلق بالأشياء المادّية: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾[1]، وإمّا يطلبون العزة من هذا وذاك، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾[2]، وواقع الحال أنّ العزّة كلّها عند الله وبيده وحده، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

التعاليم

١ ـ العزة الحقيقيّة عند الله ﷻ وليست عند الناس، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

٢ ـ العزة الحقيقيّة تتحقق في ظل الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا... ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾.

٣ ـ بين العقيدة والعلم رابطة وثيقة، ويؤثر أحدهما في الآخر، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

٤ ـ يسعى المؤمنون للعزة عن طريق الإيمان والعمل الصالح، وهو طريق التكامل

---

(١) سورة مريم: الآية ٨١. (٢) سورة النساء: الآية ١٣٩.

والرقي، ﴿يَصْعَدُ... يَرْفَعُهُۥ﴾، وطريق الآخرين إلى العزة يفضي إلى الضلال والانحراف ونتيجته الهلاك والبوار، ﴿يَبُورُ﴾.

٥ ـ لا يصل أحد إلى العزة عن طريق الانحراف والضلال، ﴿يَبُورُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- تطلق كلمة «معمر» على صاحب العمر الطويل. و«العمر» من «العمران»، وذلك لأن الإنسان في أيام حياته يتمكن من القيام بالعمران، فيطلق على مدة حياته تسمية العمر.
- ورد في الروايات أنّ الصدقة، وصلة الرحم، والإحسان إلى الوالدين سببٌ لطول العمر، كما إن قطع الرحم، وإيذاء الوالدين سبب لقصر العمر[(١)].

التعاليم

١ ـ تذكّر الإنسان لنشأته وأنها من تراب تجعله يدرك سعة القدرة الإلٰهيّة؛ وذلك يمنعه من الوقوع في الغفلة، والغرور، والتكبر، ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

٢ ـ آدم عليه السلام خلق من تراب وكذلك الإنسان المخلوق من نطفة فإن أصله من التراب، ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٣ ـ العنصرين الأساسين في وجود الإنسان هما الماء والتراب، ﴿تُرَابٍ... نُّطْفَةٍ﴾.

٤ ـ خَلْقُ الإنسان أزواجاً من الألطاف الإلٰهيّة، ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾.

٥ ـ علم الله عزّ وجلّ محيط بكافة حالات هذا الموجود، قبل وجوده وبعده، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾.

---

(١) ميزان الحكمة، مادة: «عمر».

٦ ـ للإنسان عمر محدد وقد ينقص من عمره لبعض الأسباب، ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾.

٧ ـ في كلّ لحظات عمر الإنسان حساب وكتاب، ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾.

٨ ـ خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة، والعلم بكل لحظة من عمره أمر يسير على الله ﷻ، ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

❑ «العذب» بمعنى «الحلو». و«الفرات» بمعنى «اللطيف»، «السائغ» بمعنى «سهل الهضم»، و«المواخر جمع ماخرة» بمعنى التي تمخر أي تشق.

❑ حياة الناس:

- تارة حلوة وأخرى مرّة.
- تارة مع الشهرة وأخرى مع الجهالة.
- تارة مع الغنى، وتارة مع الفقر.
- تارة مع الصحة وأخرى مع المرض.

ولكن الإنسان إذا كان صيّاداً ماهراً وغواصاً قديراً، يمكنه أن يكون في جميع الأحوال ناجحاً موفقاً، ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ... وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾.

❑ صيد السمك، واستخراج مواد الزينة والملاحة بركات تحصل بجهد من الإنسان، وفي البحر بركات أخرى كثيرة منها الغيوم التي تتشكّل نتيجة تبخر مياهه، وتخفيف جفاف الهواء ببخاره، واحتضانه لأنواع الكائنات الحيّة.

التعاليم

١ ـ العذب يذكر أولاً في الكلام، (مع أن أكثر البحار فيها ملوحة ولكن القرآن ذكر الماء العذب أولاً)، ﴿هَٰذَا عَذْبٌ... وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾.

٢ ـ لا يقرّ الإسلام تشريع تحريم اللحوم، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا﴾.

٣ ـ في البحار طعام الإنسان، ولباسه، ومركبه، ﴿تَأْكُلُونَ... تَلْبَسُونَهَا... وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾.

٤ ـ اللحم الطازج أفضل من غيره، ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾.

٥ ـ الإنسان يعشق الجمال بفطرته، ولا تُحرم الاستفادة من الزينة، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

٦ ـ النعم الإلٰهيّة فضل من الله ﷻ وليس لنا عليه من حق، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٧ ـ يصل الإنسان إلى الرزق والفضل الإلٰهيّ من خلال السعي إليه، ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٨ ـ تذكر النعم سببٌ لقيام روح الشكر في الإنسان، ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

□ الليل والنهار يترك كل منهما مكانه للآخر بشكل تدريجي، لمنع الضرر الذي قد يحصل من الانتقال من الظلمة إلى النور وكذلك العكس.

التعاليم

١ ـ طول الليل والنهار وقصرهما والانتقال التدريجي بينهما لا يتحقق عن طريق الصدفة، ﴿يُولِجُ﴾.

٢ ـ الطبيعة مسخرة لأمر الله ﷻ، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ﴾.

٣ ـ لحركة القمر والشمس حد ونهاية، ﴿يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾.

٤ ـ على الإنسان أن يزيد من يقينه بتوحيد الله ﷻ من خلال التأمّل في الخلق وكيف نظم لهدف وضمن جدول زمني، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

٥ ـ لا بد في أسلوب التبليغ من بيان وجه الحق ثمّ التعرض بعد ذلك لوجوه الباطل والمقارنة بينهما، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ... وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾.

٦ ـ الدعاء والطلب لا بدّ من أن يكونا من ذوي المقام ومن الأفضل، والأصنام ليست أفضل من الإنسان ولا تملك ضراً ولا نفعاً، ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُۚ﴾.

٧ ـ إلى أين يذهب الإنسان؟ إذ يدع القدرة الإلْهيّة المطلقة، ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، ويلجأ إلى بعض الموجودات التي لا تقدر على شيء، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

٨ ـ على المبلّغ أن يستخدم في أسلوبه التبليغي الأمثلة التي يفهمها الناس في أي زمان ومكان، ﴿قِطْمِيرٍ﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

□ تتمسك فرقة من المسلمين (الوهابية) بهذه الآية لإثبات ما تراه من عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالأئمة ﷺ؛ ولكنها تغفل عن أنّ هذه الآية وردت في شأن التوسل بالأصنام لا بأولياء الله ﷻ الذين تحدث الله ﷻ معهم حتى بعد وفاتهم. ففي آيات عدّة من القرآن الكريم يسلم الله ﷻ عليهم من ذلك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[2]. ولو أن هؤلاء لا يسمعون

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٩

(٢) سورة الصافات: الآية ١٢٠

سلام الله عليهم فأي معنى لهذا السلام؟! وكأن الحياة البرزخيّة للشهداء لا يؤمن بها هؤلاء.

وقد ورد في العديد من الروايات أن النبي الأكرم ﷺ تحدث مع الأموات، من ذلك لما وقف على البئر الذي وضع فيه قتلى الكفار في بدر وخاطبهم بالكلام، ولما سئل أنه كيف يتحدث معهم، أجابهم بأنهم أسمع منكم[١].

التعاليم

١ ـ ليس للشرك من دليل، لأن المشركين:

- ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.
- ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾.
- ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.
- ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، نعم في يوم القيامة يتبرأ المعبودون من عابديهم.

٢ ـ يصل الإنسان إلى الحد الذي يترك دعاء الله ﷻ الذي يستجيب الدعاء، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ويلجأ إلى الجمادات الصمّ العمي التي لا تقدر على شيء، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا... مَا اسْتَجَابُوا﴾.

٣ ـ المعبودات الموهومة تبرأ من المشركين في يوم القيامة، ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، ويقولون لهم: إنكم كنتم تعبدون هواكم وليس إيانا كنتم تعبدون، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[٢].

٤ ـ لا نفع من الشرك لا في الدنيا (ما استجابوا) ولا في الآخرة، ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

٥ ـ خذ الأخبار المهمة من أهل الخبرة، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

٦ ـ لا يمكن للإنسان أن يصل إلى أخبار القيامة إلا عن طريق الوحي، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

---

(١) للمزيد، انظر: للمؤلّف، المعاد.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٨.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

- دعوة الله ﷻ الناس لا تدل على حاجته إليهم. كما لو قلت للناس اجعلوا بيوتكم مقابل الشمس، فإن هذا لا يعني حاجة الشمس إليهم، بل حاجتهم إلى نور الشمس، ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾.
- من طرق محاربة الغرور والتكبر دعوة الإنسان إلى محضر الساحة الإلٰهيّة لكي يعترف بضعفه، وجهله، وفقره، وحاجته إليه، ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾.

التعاليم

١ ـ تحتاج المخلوقات قاطبة إلى الله الغنيّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾.

٢ ـ الموجودات كلها فقيرة، ولكن لأن الإنسان مدَّعٍ ومغرور فلا بدّ من أن يوجَّه الخطاب إليه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

٣ ـ وجود الأسباب، والوسائل، والعلل صحيح، ولكن تأثير الأسباب والعلل كافة بحاجة إليه تعالى، ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾.

٤ ـ الغني حقيقة، وعلى الإطلاق، وبنحو تام هو الله ﷻ فقط، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾.

٥ ـ الأغنياء عادة غير محبوبين ويعيشون خوف الاعتداء عليهم، والحسد، والتنافس، والسرقة، ولكن الله ﷻ غني حميد، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

٦ ـ جعل الله ﷻ غناه في سبيل رفع حاجة المخلوقات وبما فيه نفعهم؛ لذا كان هو الحميد، ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

- مضمون الآية ١٣٣ من سورة الأنعام مشابه لمضمون هذه الآية، وفي تلك الآية

يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ إذا علم الإنسان أن موطئ قدمه متزلزل وغير ثابت، فإنه يسير فيه على مهل، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾.

٢ ـ من علامات فقر الإنسان إمكان فنائه وانعدامه، ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ... يُذْهِبْكُمْ﴾.

٣ ـ بيان القدرة الإلٰهيّة طريق لدعوة الناس وتهديد لأهل الضلال، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾.

٤ ـ القدرة الإلٰهيّة واحدة في الذهاب بالناس أو الإتيان بهم، ﴿يُذْهِبْكُمْ... يَأْتِ﴾.

٥ ـ يد الله ﷻ مطلقة في خلقه ولا حد لقدرته، ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

٦ ـ على المدير أن يحد من غرور من يعمل تحت يده، ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

٧ ـ علينا أن نأخذ القدرة الإلٰهيّة على محمل الجد، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

❑ «الوزر» هو «الثقل والحمل». «المثقلة» تعني كون الحمل ثقيلاً. و«الحِمل» هو الشيء المحمول على الظهر، وأما «الحَمل» فهو ما يحمل في الرحم[١].

---

(١) تفسير نمونه، نقلاً عن مفردات الراغب.

□ ورد في آيات القرآن الكريم الحديث عن جماعة يحتالون على الناس بقولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾(١). وهذه الآية رد عليهم.

□ **سؤال**: هل يمكن من خلال هذه الآية أن نتبنى القول بأن أحداً لا يحمل وزر أحد في يوم القيامة، فإذاً، لا ربط لنا بما يفعله العصاة والمذنبون؛ لأن ذنوبهم تقع على عاتقهم، ولا ربط لنا بها؟

الجواب: هذه الآية لا تبرر السكوت في مقابل المنكر؛ لأن السكوت نفسه ذنب على الساكت. فواجبنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن إذا لم يستمع أهل المنكر إلينا فذنبهم على عاتقهم.

□ الإنسان وإن كان مسؤولاً عن عمله فقط، ولكن لو سن سنة سيئة في المجتمع فلا بدّ من أن يحاسب على ذلك مضافاً إلى الحساب الذي يناله فاعل ذلك؛ وذلك لأنه شريك في انحراف ذاك ووقوعه في المعصية.

التعاليم

١ ـ تقتضي العدالة أن يتحمّل كل امرئٍ مسؤوليّة أعماله ولا يحمّلها غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ...﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن نلقي مسؤولية المعصية التي نرتكبها على الآباء أو الأصدقاء أو المحيط الذي نعيش فيه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾.

٣ ـ حساب كل إنسان وكتابه في القيامة على حدة، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾.

٤ ـ الذنب ثقل، ﴿وِزْرَ... مُثْقَلَةٌ﴾.

٥ ـ ليس للعلاقات الرحمية أي تأثير في يوم القيامة على مصير الإنسان، ولا يتحمل الرحم والأقارب شيئاً من وزر الإنسان، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾.

٦ ـ الخشية والصلاة باب لقبول الإنسان الهدى، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ...﴾.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٢.

٧ ـ التزكية تتحقق عن طريق التقوى والصلاة، ﴿يَخْشَوْنَ... وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ... تَزَكَّىٰ﴾.

٨ ـ فائدة التزكية ونفعها لنفسه، ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾.

٩ ـ قد لا يتلقّى الإنسان نفعاً من التزكية في هذه الدنيا، ولكنه سيتلقى ذلك في الآخرة حتماً، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

١٠ ـ الوجود هادفٌ ويسيرُ في حركة تكاملية، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ من أفضل طرق التعليم والتربية أسلوب المقارنة بين السيء والقبيح، الكمال والنقص، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ...﴾.

٢ ـ طريق الحق واحد، ﴿ٱلنُّورُ﴾ ورد بصيغة المفرد، ولكن طرق الباطل كثيرة، ﴿ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- «الحرور» هو الريح الحارة والمحرقة.
- ورد في هذه الآيات تشبيه المؤمن والكافر والمقارنة بينهما بأربعة أشياء؛ ونتيجة ذلك أن المؤمن يختلف عن الكافر في الشخصيّة وفي المصير.

فالمؤمن يبصر والكافر أعمى.

والمؤمن نور والكافر ظلمة.

والمؤمن ظل والكافر حرور.

والمؤمن حي والكافر ميت.

□ المؤمن في حالة سير وحركة؛ لأنه يبصر بعينه الحقيقة، وله نور، وله نفس مطهرة، وقلب حي. وأما الكافر فلا يريد أن يرى الحقيقة وبسبب قسوة قلبه لا يؤمن بها، وبسبب ظلمات جهله وتعصبه لا يسير في طريق الحق.

التعاليم

١ ـ المؤمنون أحياء القلوب ولهم الحياة الحقيقيّة. فالإيمان سبب لحياة الفرد والمجتمع، والكفر سبب لموت الفرد والمجتمع، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾.

٢ ـ رسالة النبي ﷺ رسالة تحذير لا إجبار، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

٣ ـ شرط تأثير الدعوة أن يكون الناس مهيئين لذلك، وإلا فدعوة النبي لن تؤثر في غير المستعدّ، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ الله ﷻ حق، وشريعته التي أنزلها على أنبيائه تقوم على أساس الحق، ﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٢ ـ الخوف والرجاء معاً يثمران، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

٣ ـ على الرغم من أن وظيفة الأنبياء التبشير والإنذار، ولكن لغفلة الناس كان الإنذار أسبق، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

٤ ـ لا تخلو الأرض من حجة لله ﷻ، ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ «الزبر» جمع «زبور» وهي الكتب التي لها أهميتها.

التعاليم

١ ـ الاطلاع على ما عانى منه الآخرون يحفّز على التحمل والصبر، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾.

٢ ـ كان الأنبياء ﷺ مزوّدين بوسائل الهداية، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾.

٣ ـ تكذيب الأنبياء كان عن عمد، وعناداً، ومع العلم بمضمون الدعوة، ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ... جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

٤ ـ عذاب الله بعد إتمام الحجة، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم... ثُمَّ أَخَذْتُ﴾.

٥ ـ بيان عذاب الله ﷻ للكفار، عقاباً لهم، فيه تسلية لأتباع الحق، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ، قد ينزل بالإنسان في الدنيا، فلا يظنّن الكفار أنّهم في مأمن من العذاب، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٧ ـ الكفر سبب للهلاك، ﴿أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٨ ـ إظهار القدرة لازم. عذاب الكفار، كان مخوفاً وعجيباً، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

٩ ـ خذوا العبرة من مصير مجتمعات الكفر، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- «الجدد» جمع «جدّة»، و«جادة» بمعنى «الطريق»، «بيض» جمع «أبيض»، «حمر» جمع «أحمر»، و«سود» جمع «أسود».
- «الغرابيب» بمعنى الأسود المعتم، ولعل إطلاق العرب تسمية الغراب على الطائر المعروف لأن لونه أسود.
- وإن تعرضت الآية لألوان ثلاثة فقط هي: الأبيض، الأحمر والأسود؛ إلا أنها شملت الألوان كافة بجملة: ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

التعاليم

١ ـ أيقظوا وجدان الناس بتوجيه السؤال إليهم، ﴿أَلَمْ تَـرَ﴾.

٢ ـ الخطاب للنبي ﷺ خطاب للناس كافة، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾.

٣ ـ جعل الله ﷻ نظام الوجود على أساس العلة والمعلول. فسبب نبات الأرض هو الماء، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾.

٤ ـ يخرج الله ﷻ من الماء، الذي لا لون له، والأرض، ذات اللون الواحد، ثمراً مختلفاً ألوانه، ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾.

٥ ـ الخطوط مختلفة الألوان في الجبال ليست صدفة، ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ... وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

- «الأنعام» جمع «نَعَم» وهي الإبل؛ ولكنها تطلق أيضاً على البقر والغنم. وكلمة «دوابّ» تشمل هذه الحيوانات وغيرها ممّا يدبّ على الأرض، إلا أنّها ذُكِرت بشكل مستقلٍّ بالنظر إلى أهميّتها للإنسان.

- الخشية هي الخوف عن تعظيم وعلم ومعرفة.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: يعني بالعلماء من صدّق فعلُه قولَه، ومن لم يصدّق فعلُه قولَه فليس بعالم(١).

- مفاد هذه الآية إن العلم هو سبب الخشية من الله ﷻ، وفي الآية ٢٨ من هذه السورة ورد أن الخشية من الله ﷻ هي سبب الإيمان بالأنبياء. إذاً العلم سبب

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٦.

للإيمان بالأنبياء. وعليه فلو وجدنا عالماً لا يؤمن ووجدنا عواماً يؤمنون، فهذا دليل على أن العلم الذي يتحدث عنه القرآن الكريم يختلف عن العلم الاصطلاحيّ، أي مجرّد معرفة بعض المعلومات، بل المراد من العلم معرفة الحقيقة وامتلاك النور والبصيرة والحكمة، والعلماء الذين لا يمتلكون التقوى هم جهلة بنظر القرآن الكريم؛ لأنهم يجهلون عظمة الخالق، يجهلون الرسالة والتكليف في الدنيا، ويجهلون الهدف من خلقهم ويجهلون مصيرهم ويوم القيامة.

□ كنتُ مع العلّامة الطباطبائي في حرم الإمام الرضا عليه السلام وقلت له: عندما كنت في بدايات تحصيلي العلمي كنت متى دخلت إلى الصلاة اعتراني البكاء والخشوع؛ ولكني الآن وبعد أن تعلمت أصلّي في غفلة، فما مفاد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾؟ فقال: العلم الذي لديك بعض المعلومات والمحفوظات، ولو كان لديك العلم الحقيقي لزاد ذلك من عبوديتك.

التعاليم

١ ـ اختلاف الألوان في البشر وفي الحيوانات دليل سعة القدرة الإلٰهيّة وعظمتها، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ... مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾.

٢ ـ الإنسان، من الناحية الجسديّة والماديّة، في رتبة سائر الكائنات الحيّة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

٣ ـ العلم بأسرار الوجود سبب للوصول إلى خشية الله عزّ وجلّ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ... ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

٤ ـ العلماء غير المتقين لم يصلوا إلى العلم الحقيقي، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

٥ ـ أهل العبادة كثر، وأما الذين يصلون إلى مقام الخشية فهم العلماء فقط، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾

إشارات

- ورد في الآية السابقة أن العباد الذين يخشون الله هم العلماء، وكأن هذه الآية في مقام بيان سيماء العلماء الحقيقيين وهي: الأنس بالقرآن، إقامة الصلاة، الإنفاق عن إخلاص؛ لأنهم ينفقون سراً وعلانية ولو كانوا يُراؤون لأنفقوا علانية فقط.
- «تبور» من «البوار»، أي الكساد الشديد في التجارة. ولأن ذلك موجب لتلف البضاعة وفسادها أطلق عليها البوار.
- في الآية السابقة ورد ﴿يَخۡشَى ٱللَّهَ﴾ وفي هذه الآية ورد ﴿يَرۡجُونَ﴾، نعم أولياء الله ﷻ يعيشون بين الخوف والرجاء[1].
- وردت الصلاة إلى جانب الزكاة في العديد من المواطن:
  - ﴿يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2].
  - ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3].
  - ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[4].

خصائص التجارة مع الله ﷻ

١ ـ إن ما لدينا من رأسمال (الصحة، والعلم، والعمر، والمقام، والمال، وغير ذلك) هو من الله ونحن نبيعه له. نعم، لو أن ولداً أخذ من أبيه أرضاً ومواد بناء وبنى بيتاً، وبعد ذلك أراد بيعه، فجاءه المشترون وكان الأب واحداً منهم، فإن العقل والوجدان يحكمان بأن يباع البيت للوالد لأن بيعه لغيره ليس لائقاً.

---

(١) تفسير أطيب البيان.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٩.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٠
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

٢ ـ الله ﷻ يعطي الجنّة الأبدية ثمناً، ولكن الآخرين مهما بذلوا من ثمن فهو ضرر وخسارة لأنه ثمن بخس وزائل.

٣ ـ إن الله ﷻ يقبل القليل، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾؛ ولكن الآخرين لا يرضون بالقليل.

٤ ـ الله ﷻ يستر العيوب لأنه غفور، ويشتري الشيء ناقصاً. ولذا نقرأ في الدعاء: **«إِلَهِي إِنْ كَانَ فِيهَا خَلَلٌ أَوْ نَقْصٌ مِنْ رُكُوعِهَا أَوْ سُجُودِهَا فَلَا تُؤَاخِذْنِي وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِالْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»**[١].

وفي دعاء رجب: **«خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلا لك»**[٢].

التعاليم

١ ـ تلاوة القرآن الكريم وإن كانت مستحبة إلا أنها وردت قبل الواجبات، ﴿يَتْلُونَ... أَقَامُوا... وَأَنفَقُوا﴾.

٢ ـ العلم والثقافة مقدمة للعمل، ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ... أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

٣ ـ من يؤمن عن يقين وعشق، فصلاته وإنفاقه حتمي، (فقد استخدم الفعل «يتلون» بصيغة المضارع وهذا يدلّ على الاستمرار، واستخدَم فعلا الإنفاق والصلاة، بصيغة الماضي وهذا يدل على التحقّق وعدم الشك فيه).

٤ ـ لا بدّ من أن تقترن الصلاة بالإنفاق على أهل الحاجة، ﴿أَقَامُوا... وَأَنفَقُوا﴾.

٥ ـ رزق الإنسان عطاء من عند الله ﷻ، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

٦ ـ إذا علمنا أن كل ما يملكه الإنسان هو من عند الله ﷻ فلن نبخل بالإنفاق، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

٧ ـ الإنفاق هو إنفاق جزء من المال، وأما الباقي فلأنفسكم، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (حرف الجرّ «من» للتبعيض).

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص ٣٩.
(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٦.

٨ ـ الإنفاق لا يكون بالمال فقط، بل بمعونة الناس بالعلم والجاه والقدرة، ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾.

٩ ـ الإنفاق يكون سراً وعلانية، (في الإنفاق سراً يخلص الإنسان، في الإنفاق علناً ترغيب للناس)، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، نعم الإنفاق سراً أفضل، ولذا ذُكِر قبل الإنفاق علانية، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

١٠ ـ رجاء النجاة يتوقف على الفكر، والعمل، والإنفاق، وإلا فالرجاء دون عمل وهم لا أكثر، ﴿يَتْلُونَ، أَقَامُوا، وَأَنفَقُوا، يَرْجُونَ﴾.

١١ ـ العلم، والخشية من الله (تعرضت لهما الآية السابقة)، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق، كلها تبعث على الرجاء ولا تعني الاستحقاق، ﴿يَرْجُونَ﴾.

١٢ ـ ما من خسارة محتملة على الإطلاق في التجارة مع الله ﷻ، ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾.

١٣ ـ لا تظنن أن مالك سوف ينفذ بالإنفاق، ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾.

١٤ ـ الدنيا سوق في الرؤية الإسلاميّة، الإنسان هو البائع، والنعم الإلٰهيّة هي البضاعة، واختيار المشتري بيد الإنسان، فقد يتاجر مع الله ﷻ، وقد يختار غير الله للتجارة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

❑ يظهر التفضّل الإلٰهيّ على الإنسان في جميع كلمات هذه الآية:

الثواب التام، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾.

على الرغم من أن البضاعة منه، والتوفيق للعمل منه، فالأجر أيضاً من عنده، ﴿أُجُورَهُمْ﴾.

زيادة الفضل والثواب من عنده، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

التعاليم

١ ـ العمل لأجل نيل الثواب الإلٰهيّ لا يتنافى مع الإخلاص، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾.

٢ ـ يعطي الله ﷻ الأجر وزيادة، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم﴾.

٣ ـ كمال الأجر وزيادته مرتبط بصفة من صفاته سبحانه وهي الشكور، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ... شَكُورٌ﴾.

٤ ـ يقدّر الله ﷻ سعي الإنسان ويستر عيوبه؛ لذا علينا نحن أيضاً أن نقدر للناس خدماتهم ونعفو عن هفواتهم، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس في القرآن الكريم كلام باطل، أو خرافة، أو جزاف، أو بلا دليل، ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ معيارُ حقانية أيِّ كلام وكتاب هو القرآن الكريم، ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

٣ ـ الكتب السماوية بعضها يصدّق بعضها الآخر، ﴿مُصَدِّقًا﴾.

٤ ـ الله ﷻ خبير بحاجة البشر إلى الوحي وخبير بكون النبي ﷺ جديراً بتلقي الوحي، (خبير أي بالباطن، بصير أي بالظاهر)، ﴿بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

❑ ما نختاره في المراد من هذه الآية الشريفة من بين الأقوال المتعدّدة، وهو

القول الذي يتوافق مع الروايات، هو التالي: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: إن هذا القرآن أورثناه من بعد النبي ﷺ للمصطفين من عبادنا وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام من ذرّية السيدة الزهراء عليها السلام، فلدى هؤلاء علم القرآن، فبعض العباد ظالم، وبعضهم مقتصد، وبعضهم، وهم أهل بيت النبي عليهم السلام، هم السابقون إلى الخيرات، والمصطفون هم هذه الطائفة الثالثة فحسب، لا الطوائف كافة.

❑ ورد في روايات عدّة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام: **«نحن الذين اصطفانا الله عَزَّ وَجَلَّ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء»**[1].

التعاليم

١ ـ القرآن وحده لا يكفي بل لا بد له من حافظ ومنفذ لتعاليمه، ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾.

٢ ـ من له حق تحميل المسؤولية الدينيّة للعباد هو الخبير بحال عباده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ... ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾.

٣ ـ نحن سبب الحرمان من الاستفادة من نور القرآن الكريم، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ... وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾.

٤ ـ شرط تلقي الميراث القرآني، السبق إلى فعل الخيرات جمعياً لا إلى الإتيان ببعضها فقط، ﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

٥ ـ الاختيار الإلٰهيّ يصدر عن حكمة. وإنما يرث القرآن الكريم وعلومه من كان سابقاً بالخيرات، ﴿سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

٦ ـ الظلم من الإنسان نفسه، ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، ولكن التوفيق والسبق للخيرات بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ. ﴿سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ ميراث القرآن الكريم فضل كبير من الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾

إشارات

□ كلمة «أساور» جمع «سوار» وهو معرب (دستواره) وهي من الكلمات الفارسيّة الدخيلة على اللغة العربية[1].

التعاليم

١ ـ لتعدد النعم وتنوّعها أهميته، ﴿جَنَّٰتُ﴾.

٢ ـ لا ينبغي لنا أن نغفل عن عنصر الترغيب، ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ... يُحَلَّوۡنَ﴾.

٣ ـ ثواب الحرمان المؤقت، النعيم الدائم، (إذا كان الذهب والحرير محرمان على الرجال في أيام هذه الدنيا المعدودة، فإن لهم التنعم بهما في الجنّة)، ﴿يُحَلَّوۡنَ... مِن ذَهَبٖ﴾.

٤ ـ المعاد جسماني، (الذهب واللؤلؤ من زينة البدن الماديّ)، ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾

التعاليم

١ ـ شعار أهل الجنّة الحمد لله، ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ ليس في الجنّة هم ولا حزن، ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾.

٣ ـ في الجنّة، مضافاً إلى النعيم الماديّ الذي ذكرته الآية السابقة، نعيم معنوي، وهو سرور النفس، ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾.

٤ ـ الجنّة يرثها العباد بعفو الله ﷻ ومغفرته، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

٥ ـ العفو عن الهفوات والذنوب وتقدير عباد الله شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.
٦ ـ لأهل الجنّة مكانة يقدرها الله ﷻ لهم ويشكرهم عليها، ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

- «النصب» بمعنى «التعب»، و«لُغوب» بمعنى «العجز» و«الضعف» وقد يطلق أحياناً بمعنى الضجر.
- في الدول المتقدمة وفي العوائل المترفة قد تجد الرفاهية؛ ولكنك لا تجد الهدوء، ولكن أهل الجنّة في نعيم دائم وفي سرور وهم عن الحزن والضجر بعيدون.

التعاليم

١ ـ الجنّة أبدية، ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾.
٢ ـ يرى أهل الجنّة أن النعم هي من فضل الله ﷻ لا استحقاق بسبب العمل، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.
٣ ـ الحزن والغم لا ينال أهل الجنّة حتى مماسّة، ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾.
٤ ـ طول العمر في ما يزيد عن الحد في هذه الدنيا موجب للتعب والنصب، أما في الجنّة فلا وجود للتعب ولا للحزن، ﴿لَا يَمَسُّنَا... نَصَبٌ... لُغُوبٌ﴾.
٥ ـ السرور في الجنّة وسكينة النفس أمر حتمي، (يستفاد هذا المعنى من تكرار ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- إلى جانب وعد أهل الجنّة ثمة وعيد لأهل النار لكي يعيش الإنسان التعادل بين الخوف والرجاء.

□ لأهل جهنم طلبان، فتارة يقولون: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1]، ويأتي الجواب بقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، ومرة أخرى يقولون: ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾[2]، ويأتي الجواب في هذه الآية: ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾.

التعاليم

١ ـ من وصل من درجة الكفر إلى درجة الكفور، وسد أبواب السعادة بتمامها أمامه، فإن أبواب النجاة كلها سوف تسد في وجهه؛ وحينئذٍ سوف يتمنى الموت لا تخفيف العذاب، ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ﴾.

٢ ـ الكفر نوع من كفران النعمة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا... كُلَّ كَفُورٍ﴾.

٣ ـ ليس الشخص هو المهم بل الصفة، ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

□ «الصراخ» هو رفع الصوت والعويل، أو لطلب العون والمساعدة.

□ ورد في الآيتين السابقتين الحديث عن أن أهل الجنّة يعيشون الهدوء والسكينة؛ وفي هذه الآية يجري الحديث عن حالة أهل النار من الصراخ والعويل وطلب العون.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي الاهتمام بكل صراخ وعويل، فطلب المجرم غير مقبول، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

٢ ـ العمل غير الصالح هو الذي يجعل الإنسان من أهل جهنم، ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٧. (٢) سورة غافر: الآية ٤٩.

٣ ـ سوف يعترف المجرمون في يوم ما بعجزهم وينيبون، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا...﴾.

٤ ـ الآخرة ليست موضع تدارك ما ضاع، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم...﴾.

٥ ـ يظن كثير من الناس في هذه الدنيا أنهم يعملون صالحاً، ولكنهم في يوم القيامة يدركون أنه لم يكن صالحاً، ولذا يقول هؤلاء: أخرجنا نعمل صالحاً غير ما كنا نعمل، ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

٦ ـ يعطي الله ﷻ الإنسان من العمر بالمقدار الذي يُتِمُّ فيه الحجة عليه، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ﴾.

٧ ـ تضييع الفرص سبب لإلحاق الظلم بالنفس، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم... فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

٨ ـ الهدف من العمر التذكر، والإنسان الغافل كأنه لم يعمّر، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم... فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

٩ ـ التذكر الموسميّ لا ينفع، لأن كل مجرم ومذنب يتذكر لحظة ولكن النافع هو التذكر المستمر، ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾.

١٠ ـ لا عذاب إلا بعد النذير، ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟﴾.

١١ ـ من لا يبالي بتحذير الأنبياء وإنذارهم ظالم، ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ... فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٢ ـ لا ينفع الكفار شفاعة، ودعاء، وصراخ، ولا غير ذلك، ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات

- في الآيات السابقة ورد: الحديث عن وراثة الكتاب، كما تعرضت الآيات لمن يدخل الجنّة ولمن يدخل النار، وفي هذه الآية حديث عن سعة العلم الإلهيّ وأنه يشمل الغيب وما في الصدور.

التعاليم

١ ـ من أضاع الفرص في هذه الدنيا، ولم يأت بعمل صالح، وفي الآخرة لجأ إلى الصراخ والعويل لكي يخرج من جهنم ليعمل صالحاً، ليس صادقاً في قوله، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٢ ـ الإيمان بأنّ الله ﷻ بكل شيء عليم أهم سبب رادع للإنسان عن المعصية، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

- المراد من كون الإنسان خليفة في هذه الآية أحد أمور ثلاثة: خلافة الأمم والأقوام السابقة، خلافة أبناء آدم للإنسان الذي كان قبل خلقة آدم، خلافة الإنسان لله ﷻ.

- «المقت» بمعنى الغضب الشديد وقد استعمل في القرآن الكريم في موارد أربعة:

١ ـ الكفر، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ... إِلَّا مَقْتًا﴾.

٢ ـ الزنا، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾[١].

٣ ـ القول بلا عمل، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

٤ ـ الكلام الذي لا دليل عليه، ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٢.

(٢) سورة الصف: الآية ٣.

(٣) سورة غافر: الآية ٣٥.

التعاليم

١ ـ خلافة الإنسان في الأرض لا بدّ من أن تكون سبباً للشكر لا للكفر، ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ... فَمَن كَفَرَ﴾، (أي إنكم أيضاً إلى زوال وسوف يستخلف الله ﷻ قوماً آخرين مكانكم فلا تكفروا في هذه الأيام المعدودة من هذه الدنيا).

٢ ـ كفر الإنسان يعود بالضرر عليه ولا يضر الله شيئاً، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

٣ ـ لا ينبغي أن يحمّل الكفار كفرَهم لغيرهم من آباء أو مجتمع، ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

٤ ـ خطر الكفر وآثاره السلبية ليست محدودة، بل هي في ازدياد في كل لحظة، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا... إِلَّا خَسَارًا﴾.

٥ ـ الكفر بنفسه سبب للخسران، وإن لم يصدر من الكافر أيَّ عمل سيِّئ، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

٦ ـ بيان آثار الذنوب سبب للردع عن الذنوب، ﴿مَقْتًا... خَسَارًا﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ
ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ النبي الأكرم ﷺ مأمور بمحاورة الكفار، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ ايقظوا وجدان الناس بتوجيه السؤال إليهم، ﴿أَرَءَيْتُمْ... أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟﴾.

٣ ـ الإسلام دين الدليل والمنطق، ﴿أَرَءَيْتُمْ... أَرُونِى... فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾.

٤ ـ التحدي والمواجهة ليست في كتاب التشريع فقط إذ يقول: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾، بل في كتاب التكوين والخلق كافة، ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟﴾.

٥ ـ ليس للمشركين من منطق ولا دليل، لا عقلي ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ ولا نقلي ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾

٦ ـ كل ما لا منطق فيه ولا دليل هو غرور، ﴿إِن يَعِدُ... إِلَّا غُرُورًا﴾.

٧ ـ المشركون ظالمون، ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وعْد الظالمين غرور وشعارهم غرور، ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾.

٨ ـ يعتمد الشرك على الدعاية والوعد الغرور، ﴿إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

٩ ـ الغرور قد يصدر من أي أحد، ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ فقد يقوم الأفراد العاديون والضعفاء، ومن خلال اعتماد أسلوب التملّق والتزلف، بجرّ من هو أعلى منهم شأناً إلى الانحراف، وقد يقوم بعض الأفراد من ذوي القوة باستخدام لغة التهديد، والوعد، والوعيد، والشعارات الكاذبة لأجل إجبار الناس على الالتزام بالطاعة العمياء لهم، ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

إشارات

- بين الحلم الإلٰهيّ وإمساك عالم الوجود وحفظه علاقة، كما إن بين معتقدات العباد وأعمالهم وزوال نظام الوجود علاقة. وتشير هذه الآية إلى القضيّة الأولى ولذا تنتهي هذه الآية بقوله: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾، لكن في سورة مريم الآيات ٨٨ إلى ٩٠ نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾.
- يمسك الله ﷻ السموات والأرض بعظمته: ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وكذلك الطير الصغير في الهواء، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[1].
- ورد في الروايات وبألسنة عدة أن الله ﷻ يمسك السموات والأرض بأوليائه والأئمة، وأنه لولا الإمام لساخت الأرض بأهلها[2].

---

(١) سورة الملك: الآية ١٩.
(٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ مكان السموات والأرض وحركتهما في مدارهما خاضع للإرادة الإلٰهيّة وهو الذي يمسكهما في كل آن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾.

٢ ـ الظواهر الكونية في حدوثها وفي بقائها واستمرارها تتوقف على القدرة واللطف الإلٰهيّين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٣ ـ النظام الحاكم في عالم الوجود هو من عند الله ﷻ ولم يتحقق صدفة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٤ ـ الأبدية تختص به وعالم الوجود قابل للزوال، ﴿زَالَتَآ﴾.

٥ ـ لولا الحلم الإلٰهيّ لَهَوَتِ الكواكب في السماء على المذنبين، ﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، (عند قيام الساعة فإن نظام الشمس والقمر والأرض سوف يختل، وعليه فما يمنع من اختلاله في هذه الدنيا هو الحلم الإلٰهيّ).

٦ ـ الله ﷻ الذي يحفظ عالم الوجود؛ إنما يمهل الكفار من باب الحلم لا العجز، ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

- ورد في التفاسير أن المشركين عندما سمعوا أن اليهود كلما جاءهم نبي جادلوه ولم يؤمنوا به، أقسموا بأنهم ليسوا كذلك وأنهم إذا جاءهم رسول فإنّهم يسلمون له ويؤمنون به دون جدال، وأنهم سوف يكونون أهدى من سائر الأمم ولكن لما جاءهم الرسول لم يجد منهم إيماناً ولا تسليماً، بل جدالاً وعناداً.
- نسأل الله أن لا يكون بعض منتظري الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) اليوم، من مصاديق الآية، فهم يدّعون الانتظار ثمّ عندما سيأتي سيتجاهلون مجيئه.

التعاليم

١ ـ يؤمن المشركون بالله ﷻ ويقدسونه ويقسمون به، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾.

٢ ـ لا يمكن الاعتماد على كل حلف، ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ... فَلَمَّا جَاءَهُمْ...﴾.

٣ ـ عليك بالعمل لا بالقول، والدعاوى كثيرة والعمل قليل، ﴿أَقْسَمُوا... إِلَّا نُفُورًا﴾.

٤ ـ لهداية الناس لا بد من استخدام أسلوب الترغيب والترهيب، ولكن الإنذار أنفع للمجتمعات الضالة، (كلمة نذير تكررت مرتين).

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾

إشارات

□ «التبديل» يعني وضع شيء مكان آخر، كالتيمم بدل الغسل، ولكن «التحويل» يعني التصرف في الزمان، أو المكان، أو الشكل، الذي كان عليه الشيء دون المجيء ببديل له.

□ لو أن الطبيب وصف للمريض دواءً ولكنه بدل أن يشربه رمى به جانباً، وأخبر الطبيب بأنه قد شربه فقد يظن أنه بذلك خَدَعَ الطبيب، مع أنه لم يخدع إلا نفسه، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

التعاليم

١ ـ ما يدفع الناس إلى رفض دعوة الأنبياء إما الاستكبار وإمّا المكر، (لعل الاستكبار من قبل الكفار والمكر من قبل المنافقين، ولعل الاستكبار يكون مكراً من المستكبر)، ﴿اسْتِكْبَارًا... وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾.

٢ ـ نتيجة المكر ترجع إلى الإنسان نفسه، (عقوبة التكبر والمكر لا تصل إلى غيره)، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

٣ ـ جعل الله ﷻ سنناً وقوانين ثابتة في المجتمع وهي تجري في كافة الأمم

والمجتمعات، كسنة الاختبار، سنة إمداد المؤمنين، وسنة رد مكر الماكرين. نعم حسن العاقبة، وسوء العاقبة، والعزة، والسقوط في المجتمع إنما يتحقق في ظلّ اتّباع السنن الإلٰهيّة أو تركها، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ... تَحۡوِيلًا﴾.

٤ ـ للتاريخ قانون ونظام ثابت، (فالنظر إلى مرحلة من التاريخ يمكنه أن يضيء لنا ما يجري في المراحل الأخرى)، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

□ تتمة للآية السابقة تتحدث هذه الآية عن ان على الناس أن يسيروا في الأرض لينظروا ويتعرفوا بذلك على السنن الإلٰهيّة في التاريخ، وعاقبة المستكبرين.

التعاليم

١ ـ يدعو الإسلام إلى السياحة في الأرض لأجل اكتساب التجارب، ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾.

٢ ـ السياحة في الأرض لا بدّ من أن تكون لغاية ولهدف، ﴿يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾.

٣ ـ تاريخ الماضين من مصادر معرفة السنن الحاكمة على المجتمعات، (الماضي ينير لنا المستقبل)، ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾.

٤ ـ يوصي الإسلام بزيارة الأماكن الأثرية، ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ...﴾.

٥ ـ لا تلحظوا المظاهر التي كان المستكبرون يعيشونها، بل لاحظوا العاقبة التي وصلوا إليها، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾.

٦ ـ لا ينبغي للإنسان أن يغتر بقوته، فإن من كان أشد قوة منه كانت عاقبته الزوال، ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾.

٧ ـ لا شيء يغلب إرادة الله ﷻ وقدرته، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾.

٨ ـ الله ﷻ عليم بالمستكبرين وقادر عليهم، ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

□ ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في المناجاة: «**كان جزائي في أول ما عصيتك النار**»[١].

التعاليم

١ ـ إذا صدر الحكم فإن أحداً لن يبقى، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ... مَا تَرَكَ... مِن دَآبَّةٍ﴾.

٢ ـ الذنب الذي يترتب عليه العقوبة هو ما كان عن علم وعمد، ﴿يُؤَاخِذُ... بِمَا كَسَبُوا۟﴾.

٣ ـ فلسفة تأخير عقاب الناس من الدنيا إلى الآخرة، بقاء النسل البشريّ واستمرار الحياة على الأرض، ولو أن الله ﷻ كان يعذب الناس على ذنوبهم لأهلكهم ولما بقي بشر على هذه الأرض، ولانقرض النسل البشري، ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾.

٤ ـ الله ﷻ صبور، أهل العفو والمغفرة والإمهال، ولا يجازي الناس على جرمهم فوراً بل يؤخرهم، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٥ ـ الموت والفرص والإمهال كلها تجري بإرادة الله ﷻ وفقاً لحساب وكتاب، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٦ ـ مدة عمر الإنسان محددة مسبقاً، ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء السادس عشر.

٧ ـ ليس إمهال الله ﷻ لعباده إهمالاً؛ بل تأخير مجازاتهم إلى القيام سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٨ ـ إمهال الله ﷻ عباده فعل يصدر عن علم وبصيرة، ﴿بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ (فعشرات الملايين من الناس وفقوا للتوبة بعد سنوات من ارتكاب الذنوب، وأصلحوا ما فعلوه، فلو أن الله ﷻ أهلكهم فور ارتكابهم للذنوب لكانوا جميعاً من أهل جهنم).

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ يسٓ

السورة: ٣٦ الجزء: ٢٢ ـ ٢٣

عدد الآيات: ٨٣

ملامح سورة يس

سورة يس مكية، وعدد آياتها ثلاث وثمانون آية، وسميّت باسم أول آية منها، والتي تتكون من الحروف المقطعة.

تتضمن محاور هذه السور المعتقدات، وقد ورد توصية بتعليمها الأبناء وإهداء ثواب تلاوتها للأموات.

تبدأ هذه السورة بالشهادة بالرسالة للنبي محمد ﷺ وتتعرض لرسالة ثلاثة من أنبياء الله ﷺ.

في قسم من هذه السورة إشارة إلى آيات عظمة الله ﷻ في عالم الوجود والتي هي دلائل على التوحيد، وفي قسم آخر منها تتعرض لمسألة المعاد وما يتعلق بها، والحساب في يوم القيامة، وخصائص الجنّة وجهنم.

ورد في الروايات أن سورة (يس) هي قلب القرآن[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾

إشارات

- ورد في بعض الروايات أن «يس» هو اسم من أسماء النبي ﷺ.
- كلمة «حكيم» قد تكون بمعنى ذي «الحكمة»، وقد تكون بمعنى «المحكم»، كالآية الأولى من سورة هود، التي تقول: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، أي إن آيات القرآن محكمة.
- الطريق المستقيم ليس هو الطريق الذي يصل الإنسان إلى المقصود منه بعد طيه، بل هو الطريق الذي يصل في كل جزء منه إلى مقصد؛ كتحصيل العلم فكلما تقدم الإنسان فيه وصل إلى مقدار ونصيب منه.
- مقابل أنواع التهم التي كان يطلقها الكفار على النبي ﷺ نحو: شاعر، وكاهن، وساحر، ومجنون، فإنّ الله ﷻ يؤكد نبوته من خلال القَسَم بالقرآن الكريم.

التعاليم

١ ـ لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم، وهو محكم وثابت، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٢ ـ قَسَمُ الله ﷻ بالقرآن يكشف عن عظمة القرآن وقدسيته، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٣ ـ لا بد في مواجهة التهم بالباطل من الدفاع التام، ومن كافة الجوانب، وبالشكل السليم، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٤ ـ رجال الله ﷻ على مر التاريخ لم يكونوا وحدهم، بل كان ملائكة الله ﷻ إلى جانبهم، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٥ ـ سبيل الأنبياء هو سبيل الله ﷻ، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، ﴿إِنَّكَ... عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، (الطريق المستقيم هو طريق الله ورسوله).

---

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

٦ ـ للوصول إلى النجاح وللتوفيق لا بد من توافر أمور ثلاثة:

أ ـ البرنامج المدوّن، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾،

ب ـ القائد، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾،

ج ـ الصراط المستقيم، ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٧ ـ يجب أن يكون أساس العقيدة متيناً ومحكماً. (الله حكيم، والقرآن حكيم، والنبيّ معلّم الحكمة)، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

التعاليم

١ ـ الله ﷻ عزيز بالنسبة إلى الكافرين به، ورحيم بالنسبة إلى أوليائه، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٢ ـ مصدر نزول القرآن قدرة الله ﷻ ورحمته، ومن يتمسّك به يصل إلى عزة الله ﷻ ورحمته، ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣ ـ الإنذار هو الهدف من بعثة الأنبياء، ﴿لِتُنذِرَ﴾.

٤ ـ الإنذار سنة إلٰهيّة، ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ (وهذه السنّة باقية حتى لو لم يتأثّر بها بعض الناس وبقوا في حالة الغفلة).

٥ ـ أساس التبليغ والإنذار وعماده هو تعاليم القرآن الكريم، ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ لِتُنذِرَ﴾.

٦ ـ إنذار القرآن الكريم أيضاً يقوم على أساس رحمة الله ﷻ، ﴿ٱلرَّحِيمِ لِتُنذِرَ﴾.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧
إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

إشارات

□ «الأذقان» جمع «ذقن»، ومقمحون من «قمح البعير»، بمعنى رفع البعير رأسه،

أي كما أن البعير متى عرض الماء عليه رفع رأسه عنه، كذلك حال أهل الباطل فإنهم متى عرض عليهم الحق رفعوا رؤوسهم ولم يخضعوا للحق.

□ المراد من الأغلال في أعناقهم إما عقابهم في الآخرة كقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾[1]، وإما تلك العقائد الخرافية التي هي كالأغلال الثقيلة الموضوعة على أعناقهم، كالآية ١٥٧ من سورة الأعراف وقد ورد فيها: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ نعم فوظيفة الأنبياء رفع الأغلال التي تكبل الناس وتقيدهم.

□ المراد من «القول» هو أمر الله بتعذيب أتباع الشيطان وإدخالهم إلى جهنّم، وذلك بقرينة، قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2].

التعاليم

١ ـ أكثر الناس في غفلة، فهم لا يميلون إلى الحق، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾.

٢ ـ مخالفة الأكثريّة لا ينبغي أن تثني المبلّغ والداعية إلى دين الله عن أداء مهمته، ﴿أَكْثَرِهِمْ... لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣ ـ الغفلة سبب للكفر، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ ـ إن الله ﷻ وإن جعل في أعناق الكفار أغلالاً، ولكنهم هم سبب ذلك، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

إشارات

□ على الرغم من أن القرآن الكريم ثابت ويعلم الناس الحكمة، وأن رسالة

(١) سورة غافر: الآية ٧١.
(٢) سورة السجدة: الآية ١٣.

النبي ﷺ يقينية، وأنّ طريق الدين مستقيم، وأنّ الله ﷻ قوي رحيم، إلّا أنّه لما كان أكثر الناس في غفلة، ولا يؤمنون، ومكبلون بالخرافات؛ لذا فإنّهم من أي مكان ذهبوا سوف يصلون إلى سد محكم وطريق مسدود.

- بينت الآية الكريمة خصائص المعاندين وعلاماتهم المميّزة لهم، بشكل دقيق وملفت:

أولاً: الغفلة، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾، ولأجل غفلتهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ثانياً: الخرافات أغلال في أعناقهم، ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾، وكالبعير الجموح يتمنّعون من قبول الحق ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾، وهم في حصار من كل جانب ﴿سَدًّا﴾ وتحول الحجب المسدلة بينهم وبين الحقيقة من صحّة الرؤية عندهم.

- لعل المراد من: ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ طول الأمل عند الناس فيما يتعلّق بالمستقبل، والمراد من ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، الغفلة عن الذنوب التي صدرت منهم في الماضي، فالآمال والغفلة هما سببا منع الإنسان من رؤية الحق.

- تعرضت هذه الآيات لعقاب جماعتين من أهل الانحراف، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا... وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

التعاليم

١ ـ مع وجود مئات الأنوار التي تضيء له الطريق إلا أنه يضل الطريق، دعه كي يقع ويرى سوء عمله، ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

٢ ـ أهل الغفلة الذين لا إيمان لهم لا يعتبرون بما جرى على الكفار من قبلهم، ﴿خَلْفِهِمْ﴾ ولا بالمعجزة والدليل والبرهان الذي بين أيديهم، ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣ ـ الكافر في طريق مسدود، ﴿سَدًّا﴾.

٤ ـ من أساليب التبليغ تشبيه المعقولات بالمحسوسات، ﴿سَدًّا﴾.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾

إشارات

- المراد من الذكر بملاحظة الآيات الأخرى هو القرآن الكريم، وكما ورد في الآية التاسعة من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.
- بعض الكفار والمشركين لا قابلية لهم للهدى إطلاقاً، ولا أثر لإنذار النبي في نفوسهم، أما الكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1]، وأما المشركين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾[2].
- المراد من قوله تعالى: ﴿خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، إما الخوف من الله في داخله، وإمّا الخوف من الله ﷻ في الأماكن الخفية بعيداً عن أعين الناس، وإما الخوف من الله ﷻ فيما يرجع إلى يوم القيامة والذي هو من الغيب.
- كلما وقف الإنسان أمام شخص عظيم فإن هيبة ذلك الشخص تجعل الإنسان يضطرب ويخشاه، وهذه الحالة تختلف تماماً عن حالة الخوف الناشئ من العقاب والعذاب.

التعاليم

١ ـ ذو القلب الأسود لا تنفعه المواعظ، كالمسمار الحديدي في الصخر، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾.

٢ ـ حساب إتمام الحجة منفصل عن حساب تأثير الكلام في الناس، (على الرغم من أن احتمال التأثير منتف في حق بعض الناس ولكن على النبي إنذارهم لإتمام الحجة عليهم)، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾.

٣ ـ القرآن أساس الذكر، واتّباعه وسيلة لكي يتذكر الإنسان ما نسيه ولإيقاظ فطرته من غفلتها، ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٣.

٤ ـ سعة الرحمة الإلهيّة، لا تعني عدم الخشية، ﴿خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾.

٥ ـ الإيمان بالغيب علامة الإيمان والخشية الحقيقيّة، ﴿بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾.

٦ ـ الخوف والرجاء لا بدّ من أن يكونا معاً. ففي عبارة: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ رجاء وخوف.

٧ ـ الخوف من الله مهم في الخلوات، لا في الظاهر وأمام الملأ، فحسب ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

٨ ـ وظيفة الأنبياء الإنذار: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ...﴾؛ والتبشير: ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾.

٩ ـ إنما يتلقى البشرى بالجنّة مَن استجاب لإنذار الأنبياء فتذكّر، ﴿تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ... فَبَشِّرۡهُ...﴾.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾

إشارات

- كل ما يصدر من الإنسان يثبت في صحيفة عمله، ويحضر له في يوم القيامة بصورة كتاب. وهذه الكتب على ثلاثة أنواع:

  أ ـ الكتاب الشخصي: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾[1].

  ب ـ كتاب الأمم: ﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[2].

  ج ـ الكتاب الجامع: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾[3].

- كلمة «إمام» تطلق على الكتاب أيضاً: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا﴾[4]، وعلى بعض الأشخاص: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾[5]، وقد ورد في الروايات أن

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٤

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٣) سورة البروج: الآية ٢٢.

(٤) سورة هود: الآية ١٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو مصداق الإمام المبين؛ لأن كل العلوم جمعت لديه[١].

❑ ذكر أكثر المفسّرين أن المراد من الإمام المبين هو اللوح المحفوظ وهو الذي أطلق عليه القرآن الكريم تسمية (أم الكتاب)، ولما كان هذا الكتاب يحوي العلومَ كافة، وكلٌّ شيء وكل أحد تابع لما قُدّر فيه فقد أطلق عليه تسمية ﴿إِمَامٍ﴾[٢].

التعاليم

١ ـ يجب مواجهة العقائد المنحرفة للكفار بالحسم وبلغة واضحة وصريحة. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ﴾.

٢ ـ الموتى كلهم يعودون إلى الحياة في يوم القيامة، ﴿نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٣ ـ كتاب أعمال الإنسان يبقى مفتوحاً بعد موت الإنسان إلى يوم القيامة، ﴿وَنَكْتُبُ... وَءَاثَٰرَهُمْ﴾.

٤ ـ ما يكتب ليس هو الأعمال فقط بل آثار العمل أيضاً، وفي يوم القيامة يحاسب على كل شيء، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾، (سواء أكانت آثار خير كالوقف، والصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به الناس، أو آثار شر كتأسيس مراكز الفحشاء).

٥ ـ حسابنا في يوم القيامة على الله عز وجل، ﴿إِنَّا، نَحْنُ، نُحْيِ، وَنَكْتُبُ، أَحْصَيْنَٰهُ﴾.

٦ ـ الإنسان لا يتحمل مسؤولية عمله فحسب بل هو مسؤول عن آثار عمله أيضاً، ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾.

٧ ـ حساب الله عز وجل في غاية الدقة، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾.

٨ ـ المَحْكَمة الإلٰهيّة بيّنة أمام الناس كافة، ﴿أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير راهنما.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣﴾

إشارات

- تتعرض هذه الآية وما بعدها إلى الآية السابعة عشر لقصص عدد من الأنبياء المرسلين من الله ﷻ لهداية الناس.
- ذكر المفسرون أن المراد من القرية في هذه الآية هو مدينة أنطاكية، وهي من مدن الروم القديمة وهي الآن تقع في الأراضي التركية ومن المدن التجارية المعروفة. ومن مجموع هذه الآيات الثمانية عشرة يظهر أن الذين كانوا يقيمون في هذه القرية كانوا يعبدون الأصنام، وأن رسل الله جاؤوا لدعوتهم إلى توحيد الله ومواجهة الشرك.

التعاليم

١ ـ تاريخ الماضين أفضل درس عبرة للآتين، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم﴾.

٢ ـ لا بد للمربّي والمبلغ من أن يكون مطلعاً على التاريخ، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم﴾.

٣ ـ ثمة أصول وقوانين ثابتة حاكمة على المجتمع ومصير الناس، ويمكن استشراف مصير المجتمعات على أساسها. نعم السنن الإلٰهيّة ثابتة ولا تختلف باختلاف الناس، الأمم، الزمان والمكان، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾.

٤ ـ أفضل الأمثلة التي تضرب هي الأمثلة الواقعية والخارجيّة لا الافتراضية التخيلية، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾.

٥ ـ المهم في سرد القصص العبرة، وأما اسم القرية، القوم، اللغة، العرق وعدد سكانها فهو ليس بمهم، ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾.

٦ ـ كان الأنبياء يتجهون إلى الناس ولا ينتظرون مجيء الناس إليهم، ﴿جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

- بعض الناس يؤمنون بوجود الله ﷻ ولكنهم ينكرون النبوة، ويدّعون أن الله ﷻ أعطانا العقل ولا حاجة بنا إلى الوحي. وهذا الاعتقاد الخاطئ يرجع إلى عدم امتلاك معرفة صحيحة بالله ﷻ، كما ورد في آية أخرى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[١]

التعاليم

١ ـ قد يلزم أن يتولّى الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف أكثر من شخص واحد، ﴿أَرْسَلْنَآ... ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾

٢ ـ العناد داء لا دواء له، (أدى إلى تكذيب الأنبياء)، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾.

٣ ـ بمجرد تكذيب الأعداء لا ينبغي أن ترفع يدك عن السعي للوصول إلى هدفك، بل عليك أن تعزز قدراتك، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

٤ ـ قد يرسل الله ﷻ أكثر من نبي لقوم في زمان واحد، ﴿ٱثْنَيْنِ... بِثَالِثٍ﴾.

٥ ـ عدد المبلغين مرتبط بمدى حاجة المجتمع، ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

٦ ـ في علم الإدارة: إذا أوكلت إلى شخص مهمة ما فلا تتركه، بل عليك أن تقدم له العون والمدد، ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

٧ ـ كثرة الأفراد من ذوي الأهلية سبب للعزة، ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

٨ ـ العزة والذلة بيد الله ﷻ، وإن كان ثمة واسطة من أفراد أو أسباب، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

٩ ـ لا بد في الإدارة من تعزيز القوى بنحو مستمر، ﴿بِثَالِثٍ﴾.

١٠ ـ لم ير الكفار الكمالات كلها، وإنما كانوا ينظرون إلى الأشياء بحسب الظاهر فقط، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

١١ ـ يرى بعضهم أن التكليف والأمر والنهي مخالف للرحمة الإلٰهيّة، ويظن هؤلاء أن معنى الرحمة الحرّية دون قيد أو شرط وترك الإنسان وشأنه، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾.

١٢ ـ مقابل الإنكار المتكرر من الأعداء لا بدّ من أن نجعل القلوب تسكن وتطمئن بذكر الله ﷻ، ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ...﴾.

١٣ ـ وظيفة الأنبياء الدعوة والبلاغ والبيان، ولا يضمن الأنبياء النتائج، ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾

إشارات

- التطيُّر هو من الخرافات القديمة، ولا تزال هذه الخرافة موجودة إلى اليوم في الشرق والغرب، ولكل قوم وفي كل منطقة أشياء يتطيرون بها. والإسلام يرى ذلك من الشرك وقد حسم ذلك بعبارة: «الطيرة شرك»[1]، وكفَّارة ذلك التوكل على الله ﷻ، **«كفارة الطيرة التوكل»**[2].
- للتطير آثار سيّئة منها: سوء الظن بالناس، ترك العمل، تلقين الهزيمة والإحساس بالمهانة. وأسوأ أنواع الطيرة التطير بالمقدّسات وبأولياء الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ لا بد من الرد وبوضوح على كل كلام باطل، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٣٢٢. (٢) الكافي، ج ٨، ص ١٩٨.

٢ ـ سلاح الكفار: التكذيب، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾؛ التحقير، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ والتهديد، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.

٣ ـ الطيرة من تقاليد الجاهلية وأعرافها، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.

٤ ـ من لا دليل لديه يتمسك بالخرافات، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.

٥ ـ الانحراف الفكري مقدمة للانحراف العملي، ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ... لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.

٦ ـ الكفر سبب لقسوة القلب والجرأة على الأنبياء، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.

٧ ـ ليس للكفار من منطق أو دليل في مواجهة دليل الأنبياء ومنطقهم؛ لذا يلجأون إلى التكذيب والتهديد، ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ و...﴾.

٨ ـ وظيفة الأنبياء التنبيه من الغفلة وإيقاظ الفطرة في نفوس الناس، ﴿ذُكِّرْتُم﴾.

٩ ـ من مظاهر الإسراف الظلم والطغيان، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

١٠ ـ أساس السوء في الطغيان والإسراف، لا في الإيمان بالله ﷻ وبالأنبياء، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

التعاليم

١ ـ البعد عن السكن في المدينة لا يعني البعد عن الثقافة والعلم، ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾.

٢ ـ ليس لحماية الحق من حد أو مكان، ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾.

٣ ـ لعل من الواجب أحياناً على الإنسان أن يتحرك وحده ويصدح بالحق، ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله»**[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة، ٢٠١.

٤ ـ لا ينبغي لبعد المسافة أن يكون مانعاً من نصرة الحق، ﴿أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾.

٥ ـ الدفاع عن الحق لا بد له من دافع وفعل لا عنوان واسم، ﴿رَجُلٌ﴾.

٦ ـ حماية الحق لا بدّ من أن يكون بعزم، وسرعة، ومنطق، وعاطفة، ﴿يَسْعَىٰ... يَٰقَوْمِ... وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

٧ ـ كسر جدار الصمت والصدع بالحق في البيئة المنحرفة لأجل حماية إمام الحق مما يثني الله ﷻ عليه، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾.

٨ ـ الإخلاص في الدعوة شرط لجذب الناس، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾، فلا ينبغي لمن يدعو إلى الحق أن يطلب الأجر من الناس.

٩ ـ لا بد لمن يهدي الناس من أن يكون من المهتدين، ﴿ٱتَّبِعُواْ... مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

- ورد في تفسير **مجمع البيان** أن هذه الآية تتحدث عن واقعة جرت في زمان النبي عيسى عليه السلام، إذ ذهب اثنان من حوارييه إلى أنطاكية لدعوة الناس إلى الحق، وفي الطريق صادفوا حبيب النجار فآمن بهما بعد أن رأى معجزتهما.

وقد دخل حواريو عيسى عليه السلام إلى المدينة ولكن الناس لم يؤمنوا بدعوتهما وكذبوهما، فأرسل النبي عيسى عليه السلام أحد كبار حوارييه (شمعون) ليعينهما في دعوتهما الناس وقد تمكن من خلال اكتساب قلب ملك تلك المدينة من أن يجعله من المؤمنين وتبعه أكثر الناس فآمنوا بالله ﷻ.

وهذه الرواية وردت في كتب التفسير الأخرى أيضاً؛ ولكنها لا تنسجم مع النص القرآني من جهتين: أولا، لأن ظاهر آيات القرآن الكريم أن الله ﷻ أرسل

نبياً إلى هؤلاء القوم، ولم يرسل حواريّي نبي. وثانيا، إذا كان أكثر الناس قد آمنوا فلماذا يعذبهم الله ﷻ[1].

❑ ورد في الروايات أن من جاء من أقصى المدينة ناصراً لرسل الله ﷻ في مدينة أنطاكية هو حبيب النجار، ويقال له: «صاحب يس» أيضاً، وهو كمؤمن آل فرعون الذي جاء لنصرة موسى عليه السلام[2].

❑ مدينة أنطاكية اليوم تقع في تركيا في لواء يعرف بلواء إسكندرون، وهي قريبة من مدينة حلب السورية. وهي المدينة الثانية المقدّسة عند المسيحيين بعد بيت المقدس.

التعاليم

١ ـ من لا يعبد الله الذي خلقه يُدان في محكمة الوجدان، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ﴾.

٢ ـ من أساليب دعوة الآخرين بيان المعتقدات بأسلوب منطقي مستدل، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى...﴾.

٣ ـ أساس العبودية يكمن في الإيمان وتذكر المبدأ والمعاد، ﴿فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٤ ـ أسلوب المقارنة من أفضل الأساليب والطرق التعليمية. والله ﷻ هو الذي خلقنا، وأما الأصنام فلا تنفعنا بشيء، ﴿فَطَرَنِى... لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ﴾.

٥ ـ الضرر الذي يلقاه الإنسان هو في ظل إرادة الله ﷻ وفي مدار رحمته، ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ﴾.

٦ ـ تذكر الله ﷻ يكفي فيه أن يتصور الإنسان أن يبتلى ببعض المصاعب الشديدة غير العادية، ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ﴾.

٧ ـ لكي لا تجرح عواطف الناس اضرب نفسك مثلاً، ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ﴾.

٨ ـ أفضل طريق للدعوة الدعوة العملية، ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) تفسيري مجمع البيان ونور الثقلين.

٩ ـ الاستشهاد في سبيل الدفاع عن رسل الله وفي سبيل الأمر بالمعروف موغل في القدم، ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾.

١٠ ـ لا يفصل بين الشهادة ودخول الجنّة شيء، ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾.

١١ ـ رجال الله حتى بعد موتهم أو شهادتهم يفكرون في أمر الأحياء، ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

١٢ ـ الحياة والجنّة البرزخيان قبل الجنّة الموعودة، ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾.

١٣ ـ الشهادة سبب للمغفرة، ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾.

الجزء ٢٣

﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾

إشارات

□ تحدّثت الآيات السابقة عن رجل سعى بمفرده لنصرة أنبياء الله ﷻ ونادى بذلك إلى أن استشهد. وهذه الآية في مقام بيان هلاك المعاندين من الكفار الذين كذبوا الأنبياء وقتلوا هذا الرجل.

□ الخامد من الخمود أي انطفاء شعلة النار، والمراد هنا الموت والهلاك.

التعاليم

١ ـ الملائكة تؤمر بالعذاب الإلٰهيّ أو بالرحمة الإلٰهيّة، ونزولهم وعروجهم بأمر الله ﷻ، ﴿مَآ أَنزَلۡنَا... جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٢ ـ العذاب الإلٰهيّ يأتي فجأة، فلا تغفل، ﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

٣ ـ قد يصاب بالفناء بلد وسكانه بسبب قتلهم مؤمناً بريئاً ومجاهداً ومبلّغاً لدين الله ﷻ، ﴿هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾.

٤ ـ القوى الكبرى التي كانت تنادي بالأمس: ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، أصابها الفناء بصيحة واحدة، ﴿هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٣٠﴾

التعاليم

١ ـ الإنسان الذي يتمكن من اتخاذ موقف حق من أن يكون منادياً بالحق أو ينال السعادة باتّباع الأنبياء، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ لماذا يجعل نفسه محلاً للعذاب بعناده وكفره، ﴿يَٰحَسْرَةً...﴾

٢ ـ العناد سبب العمى عن الحق، وطريق الكمال، ومقدمة للحسرة، ﴿يَٰحَسْرَةً﴾.

٣ ـ الاطلاع على الحوادث المريرة في التاريخ ضمانة لهذا الإنسان، ﴿يَٰحَسْرَةً... مَا يَأْتِيهِم﴾.

٤ ـ الاستهزاء بالأنبياء عادة جرى عليها الكفار على مرّ التاريخ، ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٥ ـ تعرّض الأنبياء كافة للاستهزاء، ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾، (فعلى المبلغ لدين الله أن يتوقع جراحات الألسن).

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٣٢﴾

إشارات

- كلمة «قرن» وطبقاً لتفسير نمونه (الأمثل) تطلق على المدة من الزمن، كما تطلق على القوم الذين يعيشون في زمان معيّن.

التعاليم

١ ـ من لا يقرأ التاريخ قراءة تفكر، ولا يعتبر بمصير الماضين ملام، ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾.

٢ ـ السنن الإلهيّة التاريخية ثابتة، والمصائر متشابهة، وتكفي مشاهدة واحدة من تلك الحوادث لمعرفة ما سيجري، ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ...﴾.

٣ ـ نقل التاريخ فيه تهديد للمجرمين وبثّ للطمأنينة في نفوس سالكي طريق الحق، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٤ ـ الهلاك هو مصير من يستهزئ بالأنبياء، ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ... أَهْلَكْنَا﴾.

٥ ـ بعد نزول عذاب الله لا طريق للرجوع وجبر ما فات، فالفرص قد ضاعت من اليد، ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

٦ ـ هلاك الكفار ليس هو نهايتهم، بل بداية عذابهم، ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

٧ ـ تُجمع الناس كافة في مكان واحد في يوم القيامة، ﴿كُلٌّ... جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

□ تحدثت الآية السابقة عن أنّ الناس جميعاً سوف يحيون يوم القيامة، ليحضروا أمام رب العزة، وهذه الآية تبين الدليل على المعاد والحياة بعد الموت.

التعاليم

١ ـ كل بذرة تزرع في الأرض وتنبت هي كالميت الذي يُبْعَثُ من قبره يوم القيامة، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾.

٢ ـ لإثبات كون ما نقوله حقاً، علينا الاستدلال بنماذج على ذلك، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾.

٣ ـ أفضل دليل يساق لعامة الناس ما يكون دائماً، عاماً، لا يمكن إنكاره، بسيطاً، وفي كل مكان، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾.

٤ ـ أفضل طريق للإيمان بالمعاد التفكر في ظواهر الخلق، ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾.

٥ ـ القسم الرئيس من طعام الإنسان يتكون من الحبوب والتأمّل فيها باب لمعرفة الله ﷻ، ﴿وَءَايَةٌ... حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

- □ أكثر الفاكهة ذكراً في القرآن الكريم اثنان: العنب والتمر، وهذا نظراً لما فيهما من مواد غذائية، أو لتوافرها لدى الإنسان، أو لاختلاف أنواعها، أو للاستفادة منها رطبة وجافة أو لجهات أخرى.
- □ وردت مفردتا (نخيل) و(أعناب) بصيغة الجمع، لأن فيهما أنواعاً كثيرة.

التعاليم

١ ـ الدور الأول في الغذاء هو للحبوب وبعده تأتي الفاكهة، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا... وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾.

٢ ـ المعرفة والشكر هي وظيفة الإنسان أمام النعم، (الله ﷻ أحيا الأرض الميتة وأخرج منها حباً وثمراً وجعلها تحت يد الإنسان ليأكلها ويشكر ربه)، ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ... أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

٣ ـ صناعة مختلف المشتقات من الثمر مما يرضى به القرآن، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾.

٤ ـ بيان النعم سبب لإيجاد روح الشكر في الإنسان، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- □ من المعجزات العلمية في القرآن الكريم بيان قانون الزوجية في كل شيء، النبات، الإنسان. والناس في ذلك الزمان وإن لم يحيطوا بذلك ولكنهم اليوم يعرفونه. ففي عصر نزول القرآن الكريم كان الناس يدركون قانون الزوجية في النخل، ولكن اليوم ثبت أن قانون الزوجية يعم النبات كافة.

التعاليم

١ ـ الشكر علامة الوعي، فالله ﷻ غني عن شكرنا، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ... سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

٢ ـ لا تجعل قانون الزوجية في المخلوقات يجري على الذات الإلٰهيّة، فهو واحد لا مثيل له، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

٣ ـ الخلق والمخلوقات آية القدرة الإلٰهيّة، الإرادة والحكمة، ولا يدل على الحاجة والنقص، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾.

٤ ـ ظهور الحب والثمر يتم عن طريق الزوجية، ﴿مِن ثَمَرِهِ... خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

٥ ـ الإنسان في المسائل الجسمانية والجنسيّة كسائر المخلوقات، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

٦ ـ في عالم الوجود بعض الموجودات التي لا ندرك نحن البشر كيفية زوجيتها، ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا... وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾

إشارات

❑ «العرجون» هو قسم من سعف النخل المتصل بشجرها، ويتخذ شكل قوس بعد مدة من الزمن.

❑ برهان النظم يستفاد من هذه الآية، وهو أحد أدلة إثبات وجود الله ﷻ.

❑ إلفات نظر الناس إلى حركة الشمس والقمر، حدوث الليل والنهار، والتغييرات التي ترى في القمر، سباحة الكواكب والنجوم في السماء، مدارات الكواكب، عدم اصطدام الكواكب وسيرها بنظام دقيق، متصف بالعلم والحكمة، يدل على

اهتمام الإسلام بعلم الهيئة، وقد أدى إلى إيجاد فضاء مناسب لدراسات العلماء على مر التاريخ.

التعاليم

١ ـ الليل من آيات قدرة الله ﷻ وحكمته، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾.

٢ ـ ثبوت برنامج واحد على مر التاريخ دون أي خلل يدل على وجود منظم حكيم وعليم، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

٣ ـ حدوث الليل والنهار ليس صدفة بل بتدبير الله ﷻ، ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾.

٤ ـ مدار حركة الشمس والقمر نُظِّمَ بنحو لا يصطدمان ببعضهما، ولا يؤدي إلى الإخلال بحركة الليل والنهار، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾.

٥ ـ خلافا للنظرية التي كانت ترى الشمس ثابتة، يتحدث القرآن الكريم عن حركة الشمس بنحو محدد، ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾.

٦ ـ لا يمكن لأحد أن يُحدِث خللاً في النظام الحاكم على الكون، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ...﴾.

٧ ـ تشبيهات القرآن الكريم لا تتقادم، فحركة القمر شبّهت بحركة سعف النخل، ﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾.

٨ ـ تتحرك الكواكب كافة في مداراتها، ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

٩ ـ حركة الكواكب تجري في مداراتها بسرعة، ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ السباحة كناية عن الحركة السريعة.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

❑ تعرض القرآن الكريم مراتٍ عدة لحركة الفلك في البحر والحيوانات التي خلقها

الله ﷻ بعنوان كونها نعماً إلٰهيّة؛ ولكنه في هذه الآية ذكرها بوصفها وسيلة لحمل ذرّية الإنسان، لكي يدرك بعقله وعاطفته النعم الإلٰهيّة، ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

❑ في عالمنا اليوم لو أن السفن المحملة بالنفط، والقمح، والمواد الغذائية، والموجودات في البحار، والمحيطات لم تتمكن من الحركة فإن حياة الإنسان تتعطل. مضافاً إلى أن نقل المتاع عن طريق البحر هو الأقل كلفة للبضائع الكبيرة والثقيلة.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ هو الذي خلق الماء بطريقة تسمح للإنسان بتسيير السفن فيه، وهذا من آيات قدرة الله ﷻ، ﴿وَءَايَةٌ... أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

٢ ـ المركّب ووسائل النقل التي هي من ضروريات الحياة البشرية، هي نعمة خاصة تدل على اللطف والتدبير الإلٰهيّين، ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

٣ ـ يد الله ﷻ مطلقة في العذاب. فلا ينبغي أن نغترّ بإهماله، ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾.

٤ ـ إذا نزل عذاب الله ﷻ فما لهم من نصير؛ لذا لا ينبغي بالإنسان أن يشعر بالأمن التام، ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾.

٥ ـ لا نظن في أي آن أن نجاتنا تكون بمعونة الأسباب المادّية، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

٦ ـ لكل نفس أجلها، وحياتنا لها حد محدود، ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

❑ أشارت الآيات السابقة إلى النعم الإلٰهيّة ولو دققنا النظر فيها لوجدنا أنها تدل على قدرة الله ﷻ وحكمته ولطفه. وتتحدث هذه الآيات عن أن العناد من الإنسان يصل حداً لا يعتبر من الآيات ولا يستمع إلى الموعظة، ولهؤلاء

يقال: كفوا عن فعل ما يكون سبباً لاستحقاقكم العقاب في الدنيا والعذاب في الآخرة، لكي يعفو الله ﷻ عنكم ويشملكم لطفه.

التعاليم

١ ـ أتموا الحجة على الناس بالأمر بالمعروف، ﴿قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟﴾.

٢ ـ التقوى هي سرّ تلقي الرحمة الإلٰهيّة، ﴿ٱتَّقُوا۟... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

٣ ـ لإتمام الحجة عليكم تقديم أنواع من الاستدلال، ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾.

٤ ـ آيات الله ﷻ كثيرة جداً، ولكن الناس قليلاً ما يؤمنون، ﴿ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ... عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ من لا يمتلك رؤية صحيحة أو لا يريد أن يتحمل المسؤولية، فإنه سوف يلقي كل انحراف عاشه أو عمل سيء قام به على غيره:

١ ـ تارة يتهم الله ﷻ بالتقصير، فلولا إرادته لم يكن من المشركين، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[١]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾[٢].

٢ ـ وتارة يتهم المجتمع بالتقصير، فلولا هؤلاء الكبراء ما أشركنا، ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

٣ ـ وتارة يتهم الآباء بالتقصير، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾[٤].

وفي هذه الآية أيضاً يقول: إن الله ﷻ لو أراد لأطعم الفقراء، وهو يغفل عن أن الله ﷻ جعل إطعام الفقراء من مسؤولية الأغنياء.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨

(٢) سورة الزخرف: الآية ٢٠.

(٣) سورة سبأ: الآية ٣١.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٢٢.

❑ **سؤال:** لماذا لا يرزق الله ﷻ الفقراء ويأمر الناس بالإنفاق؟

الجواب: كمال الإنسان في العفو، والإيثار، والسخاء، والمحبة، وعدم الإسراف، والألفة، والتعاون، والسؤال عن الناس. ولو أن الناس كافة كانوا على مستوى واحد في الإمكانات، فلا طريق لبروز هذه الكمالات ولا طريق للقناعة والصبر والزهد لدى المحرومين.

التعاليم

١ ـ تذكُّرُ أن ما لدينا هو من رزق الله، وليس ملكاً لنا، يُسهِّل على الإنسان عمليّةَ الإنفاق، ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ الكفر سببٌ للامتناع عن الإنفاق، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... أَنُطۡعِمُ﴾.

٣ ـ الكافر يجعل من رزق الله وسيلة للاستهزاء، ﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾.

٤ ـ الإنفاق علامة الإيمان، (لأن ترك الإنفاق عد من صفات الكفار)، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... أَنُطۡعِمُ﴾.

٥ ـ يصل الإنسان حداً يرى فيه أن الكفر والبخل هو الحق وأن الإيمان والإنفاق هو الباطل، ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس للكفار من دليل على إنكار المعاد، ويكتفون بتوجيه السؤال عن زمان وقوع الساعة، وبِلُغَةِ الاستهزاء، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

٢ ـ عدم تعيين زمان وقوع أمر لا يدل على عدم وقوعه، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾.

٣ ـ القيامة وعد إلهي، ﴿هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾.

٤ ـ يظن الكفار أن الأنبياء والمؤمنين كاذبون، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

٥ ـ القيامة تقع فجأة، فلماذا الغفلة والاستهزاء؟! ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾.

٦ ـ متى قامت القيامة تخرس الألسن، وتنسدّ أبواب الفرار، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٧ ـ قيام القيامة بعد صيحة واحدة، ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾.

٨ ـ تقوم القيامة وتنتهي هذه الدنيا والناس في حالة جدال وخصام، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

٩ ـ العلاقات الدنيوية وتعلق القلب بها لا ينفع. فإن هذا كله يصبح هباء لحظة قيام القيامة، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- تعرض القرآن الكريم لوجود نفختين في الصور؛ إحداهما صيحة الموت والفناء، والأخرى صيحة البعث والقيامة.

والمراد من النفخ في الصور في هذه الآية هو النفخة الثانية التي هي نفخة البعث وإحياء الأموات.

- «الأجداث» جمع «جدث» وهو القبر. «ينسلون» من «النسلان»، وهو الخروج بسرعة، و«المرقد» اسم مكان من «الرقاد» بمعنى محل الاستراحة، والمراد منه هنا القبر.

- ورد عن الإمام الباقر أن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هو خطاب الملائكة لأهل القيامة[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ تبدأ القيامة بالصوت المسموع الذي يحصل من النفخ في الصور، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾.

٢ ـ المعاد جسماني والأجساد تخرج من هذه القبور، ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ... يَنسِلُونَ... بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾.

٣ ـ إحياء الناس في يوم القيامة يتم بسرعة فائقة وبيسر وسهولة، ﴿وَنُفِخَ... فَإِذَا هُم﴾.

٤ ـ الحركة السريعة علامة على اضطراب الناس وهيجانهم في يوم القيامة، ﴿يَنسِلُونَ﴾.

٥ ـ يوم القيامة يوم حسرة الكفّار، ﴿يَا وَيْلَنَا﴾.

٦ ـ القيامة ساحة يستيقظ فيها الناس فيقرون ويعترفون، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

٧ ـ قيام القيامة والحساب من لوازم صفة الرحمان في الله ﷻ، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

٨ ـ يجمع الناس كافة في مكان واحد في يوم القيامة، ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

٩ ـ الحضور في يوم القيامة ليس اختيارياً، ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

□ هذه الآية تبين تجسم الأعمال في يوم القيامة؛ لأن الآية تتحدث عن أن الجزاء هو العمل نفسه الذي ارتكبه الإنسان، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ ولكنه لو قال: بما كنتم تعملون، لكان معناه أن العقاب أو الثواب بسبب ما كنتم تعملون.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ عادل، والقيامة يوم ظهور العدل الإلٰهيّ وهي تجل من تجليات

العدل، ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾؛ (أصعب أنواع العذاب يكون عدلاً أيضاً).

٢ ـ الثواب والعقاب في يوم القيامة على أساس عمل الإنسان في الدنيا، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- «شُغُل»، بمعنى الأمر الذي يشغل الإنسان بنفسه. «فاكهون» من «الفكاهة» بمعنى الكلام الموجب للسرور.
- «أرائك» جمع «أريكة» وهي التخت المزين في غرفة العروس.
- السلام في الجنّة يكون من كل جانب؛

فالله ﷻ يسلم: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

والملائكة تسلّم: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[١].

وأهل الجنّة يسلّمون: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[٢].

التعاليم

١ ـ لا بطالة في الجنّة، ﴿فِى شُغُلٍ﴾ («شغل» وردت بالتنوين ونكرة بمعنى المشغلة التي لا يمكن إدراك كنهها ولا يمكن وصفها).

٢ ـ لا حزن ولا غم في الجنّة، ﴿فَٰكِهُونَ﴾.

٣ ـ في الجنّة: حياة بلا موت، صحة بلا مرض، شباب دون هرم، عزة بلا ذلة، نعمة بلا بلاء، بقاء بلا فناء، سرور بلا غضب، وأنس بلا وحشة، ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٤.
(٢) سورة يونس: الآية ١٠.

٤ ـ لا وحدة في الجنّة، ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾.

٥ ـ الجنّة مسكن يتوفر على الهدوء، ﴿فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾.

٦ ـ الجلوس على الكرسي والتخت أفضل من الجلوس على الأرض، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

٧ ـ في الجنّة أفضل غذاء، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾؛ («فاكهة» وردت نكرة للدلالة على كثرة ما ينالون من الفاكهة).

٨ ـ لا شيء محدود في الجنّة، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾؛ (يدعون بمعنى أن كل ما يطلبونه ويتمنونه).

٩ ـ المعاد جسماني، (فالكلمات: فاكهة، أزواج، آرائك تدل على أن القيامة تكون بالجسم المادّي).

١٠ ـ يتلقى أهل الجنّة السلام والرضا من الله ﷻ، ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا...﴾.

١١ ـ تلقي السلام من الله ﷻ أمنية أهل الجنّة، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ، سَلَٰمٌ﴾.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات

□ الفصل بين المجرمين والمحسنين من مقتضيات قانون العدل الإلٰهيّ، إذ قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[(١)]، ولعل المراد من الفصل بينهم الفصل بين المجرمين أنفسهم، ووحدتهم ووحشتهم لفراق بعضهم لبعضهم الآخر بما يزيد في عذابهم، كالحبس الانفرادي للإنسان في هذه الدنيا.

(١) سورة السجدة: الآية ١٨.

❑ قوله تعالى: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾، تطلق على العدد الكبير من الناس فشبه لعظمه بالجبل[١].

❑ عبادة الشيطان هي طاعته، وكما ورد في الحديث: **«من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده»**[٢].

التعاليم

١ ـ يوم القيامة يوم الفصل والانفصال، ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ﴾.

٢ ـ أخذ الله ﷻ العهد من بني آدم عن طريق الأنبياء، والعقل، والفطرة، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾.

٣ ـ الشيطان أضل آباءكم وأنتم أبناء من أضله الشيطان، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ... أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾.

٤ ـ الإنسان لا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون عبداً لله ﷻ أو أن يكون عبداً للشيطان، ﴿لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ... ٱعْبُدُونِى﴾.

٥ ـ عداوة الشيطان ظاهرة، (فهو الذي جعلهم يؤمنون بأن الحجر والخشب هي الإله، ولا شك ولا إبهام في كون ذلك انحرافاً وضلالاً)، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٦ ـ الصراط المستقيم الذي ندعو الله ﷻ في الليل والنهار في صلاتنا بأن يوفقنا للهداية إليه هو طريق عبادته، ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٧ ـ خذوا العبرة من مصير الضالين، ﴿أَضَلَّ... جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾.

٨ ـ التفكير في مصير من أضله الشيطان يفتح أمام الإنسان طريق النجاة من وساوس الشيطان وأشراكه، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «جبل».

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٧٩.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٦٤﴾

إشارات

□ ﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ من «الصلي» بمعنى الاحتراق بنار جهنم، والإلقاء والبقاء فيها.

التعاليم

١ ـ أوعد الله ﷻ بجهنم مراراً؛ ولكن الكفار لم يصدقوا ذلك، ﴿تُوعَدُونَ... تَكۡفُرُونَ﴾.

٢ ـ أتمّ الله ﷻ الحجة على أهل جهنم وأعلمهم على الدوام بخطر جهنم، ﴿كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

٣ ـ يدخل الكفار جهنم وهم في حالة ذلة ومهانة، (الأمر اصلوها للإهانة والإذلال).

٤ ـ لن يخرج الكفار وأهل جهنم منها أبداً، ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٦٥﴾

إشارات

□ ذكر الأيدي والأرجل من باب المثال؛ لأننا نقرأ في آيات أخرى عن السؤال الذي يوجه لسائر الأعضاء كالأذن، والعين، والقلب[١]. بل حتى الجلود[٢]. فكل عضو يشهد بما فعل.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ هو الذي يختم ويفتح. فالفم الذي هو وسيلة للكلام يختم عليه، ويجعل من الأيدي والأرجل تتكلم. ﴿نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
(٢) سورة السجدة: الآية ٢٠.

٢ ـ المعاد جسماني، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣ ـ أعضاء الجسم غير تابعة لإرادة الإنسان في يوم القيامة، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾.

٤ ـ أقوى شهود في المحكمة اعتراف المرتكب للجرم، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾.

٥ ـ لأعضاء البدن نوع من الإدراك والشعور بنحو تتمكن من الشهادة في يوم القيامة، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَٰعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

□ إذا كانت الآيتان في سياق الآيات السابقة في شأن عذاب الكفار في يوم القيامة، فإن المراد منها بيان عجز الكفار في سعيهم للوصول إلى الجنّة، وحيرتهم وضياعهم في ساحة المحشر. ولكن أكثر المفسرين ذكروا أن الآيتين تتحدثان عن العقاب الدنيوي الذي يناله الكفار، وأن هذا نوع من التهديد للإنسان بأنه قد يفقد قوة النظر وبهذا لا يتمكن من معرفة الطريق إلى بيته ولا من العمل لتحصيل زرقه[1].

التعاليم

١ ـ لا تظنّن أن ما لديك يجب أن يكون أو أنه سيبقى خالداً لك، فلا تغفل عن عذاب الله ﷻ، وعن الغضب الإلٰهيّ، وتبدل النعم، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا﴾.

٢ ـ لا بد من معالجة أي حدث قبل وقوعه. فقبل نزول العذاب لا بد من أن يترك الإنسان حالة العناد، ﴿لَوْ نَشَآءُ... لَوْ نَشَآءُ...﴾.

٣ ـ كل مكان قد يكون محلاً لعذاب الله ﷻ، ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾.

(١) تفسير نمونه.

٤ ـ إذا جاء العذاب الإلهي فلن يتمكن أحد من تحمّله، ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟...﴾.

٥ ـ قضت السنة الإلهيّة بترك الحرّية للإنسان لكي يؤمن عن طريق النظر في الحقائق والاستماع إليها، لا أن يكون إيمانه عن طريق القهر والإجبار والإكراه، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ (حرف «لو» يدل على أن سنّة الله ﷻ ليست مسخ الناس وإجبارهم).

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية السابقة الحديث عن أن الله ﷻ يقدر على أن يطمس أعينهم، وهذه الآية تذكر نموذجاً من هذا التغيير الذي يصاب به الإنسان عندما يطعن في السن.
- «ننكسه» من «التنكيس» وهو «الإسقاط»، والمراد من ذلك عودة الإنسان إلى حالة الطفولة. فيتبدل علمه جهلاً ونسياناً، قدرته ضعفاً، وسعة صدره ضيقا، ويزداد حساسية وتسخو دمعته.

التعاليم

١ ـ العمر بيد الله ﷻ، ﴿نُّعَمِّرْهُ﴾.

٢ ـ جرت السنة الإلٰهيّة على أن يكون كبر السن مع الانكسار، ﴿نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾، إن آثار طول العمر بيد الله ﷻ، فمتى أراد جعل لبعض الأفراد العمر الطويل، كنوح عليه السلام والمهدي (عجل الله فرجه) دون أن يصاب بالتنكيس.

٣ ـ على الإنسان أن يفكر بزوال النعم وضياعها، ﴿لَطَمَسْنَا، لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ وكذلك عليه أن يفكر بحالات الضعف التي قد يصاب بها، ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

إشارات

□ اتهم النبي الأكرم ﷺ بأنه شاعر، مضافاً إلى اتهامه بأنه ساحر، ومجنون، وكاهن. مع أنّ الشعر يقوم على الخيال خلافاً للوحي.

والشعر يقوم على العواطف والأحاسيس خلافا للوحي. والشعر فيه مبالغة خلافاً للوحي.

فالقرآن الكريم وإن كان يحتوي على جمل موزونة ومقطّعة كالشعر، ولكن العنصر الرئيس في الشعر هو الخيال ولا طريق له إلى القرآن الكريم.

□ القرآن ذكر ليس إلا، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ ذكرٌ لقدرة الله وعذابه، ذكرٌ لألطاف الله ونعمه، ذكرٌ لعفوه ومغفرته، ذكرٌ لسننه وقوانينه، ذكرٌ لأنبيائه وأوصيائه وأوليائه، ذكرٌ للتاريخ للاعتبار، ذكرٌ لأسباب نهضة الأمم وسقوطها، ذكرٌ للآباء والمهديين، ذكرٌ للمجرمين، والكفار، والفساق، والظلمة، وعاقبتهم، ذكرٌ للإخلاص، والإيثار، والشجاعة، والإنفاق، والصبر، وعاقبة المحسنين، ذكرٌ للقتل، والتعذيب، والأذى، والاتهام، والإهانة، وسلب الحقوق، والاستضعاف، والعاقبة السيئة للمستكبرين، ذكرٌ للأوامر، والنواهي، والمواعظ، والحكم، ذكرٌ لخلق السموات والأرض والبحار، ذكرٌ للمستقبل والتاريخ، وانتصار دولة الحق، وقيام دولة العدل، ونصرة المظلوم، وهزيمة الظلم والباطل، ذكرٌ للبرزخ والمعاد، وحوادث ما قبل القيامة، وما يجري من أحداث في يوم القيامة، وعذاب جهنم، ونعم الجنّة. نعم، القرآن في هذا كله ذكر، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

التعاليم

١ ـ ليس في القرآن حديث عن نفي أهميّة الشعر، بل نفي الشعر عن النبي ﷺ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾.

٢ ـ يدفع الله ﷻ عن أنبيائه ما اتّهموا به، ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾.

٣ ـ عدم العلم بالشعر لا يضر بالمبلغ لدين الله، ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾.

٤ ـ بعض الأشياء قد تكون كمالاً في حدّ ذاتها؛ ولكن قد تعرض لها بعض المقارنات تجعلها مضرّة بالدور، ففي مثل هذه الحالات على الإنسان أن لا يغترّ بكون الشيء كمالاً في نفسه، (كانت للشعر في زمان النبي ﷺ مكانة مرموقة جداً، وهذه الآية تكسر هذه الأبهة بالشعر)، ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾.

٥ ـ الموهبة الشعريّة من الله ﷻ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾.

٦ ـ معلّم النبي ﷺ هو الله، ﴿عَلَّمْنَـٰهُ﴾.

٧ ـ بعض العلوم قد لا تليق ببعض الأشخاص، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.

٨ ـ ما لم نتخلّ عن الخيالات والموهومات الشعرية، فإن روحنا لن تكون أهلاً لتلقي المعارف الإلٰهيّة، ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ... إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾.

٩ ـ القرآن ذكر، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

١٠ ـ القرآن كلام مبين قابل للفهم والاستدلال، ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

إشارات

□ الحياة على أنواع:

١ ـ الحياة النباتيّة: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[1].

٢ ـ الحياة الحيوانيّة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾[2].

٣ ـ الحياة الفكرية: ﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3].

٤ ـ الحياة الاجتماعية: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[4].

(١) سورة الروم: الآية ١٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

٥ ـ الحياة القلبية والمعنوية: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾.

نعم المؤمن إنسان قلبه حيّ، ويعيش حياة حقيقيّة ومعقولة؛ وأما الكافر فهو كالميت محروم من الحياة الحقيقيّة.

- ورد في الروايات أن المراد من الحيّ في الآية: الإنسان العاقل[1].
- ورد التعرض لمسألة العذاب الحتمي للكافرين في هذه الآية بقوله: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ كما ورد في سورة الزمر الآية ٧١: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.
- الإنذار في القرآن الكريم يعتمد على علم الله ﷻ. وإنذارات القرآن متنوّعة، معروفة وعن حكمة. والإنذار مع التبشير أسلوب جديد مبتكر. وإنذارات القرآن تقترن بالنماذج الواقعية في الأرض.
- المنذِر في هذه الآية قد يكون القرآن الكريم، وقد يكون النبي الأكرم ﷺ؛ لأن سياق الآية السابقة كان يتعرض للحديث عنه.

التعاليم

١ ـ إنذارات القرآن سبب لليقظة والتذكر، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ... لِّيُنذِرَ﴾.

٢ ـ علامة حياة القلب القبول بإنذارات القرآن، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾.

٣ ـ هدى القرآن لا يختص بقوم ولا بجماعة دون غيرهم، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾.

٤ ـ الهدف من الوحي وبعثة الأنبياء إيقاظ القلوب، والحياة، وإتمام الحجة على أموات القلوب، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٥ ـ لا أثر حتى لكلام الله في أصحاب القلوب القاسية، ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾.

٦ ـ الكفار ومن لا يستمع إلى الحقّ هم أموات لا غير، (مقابل من كان حياً وردت كلمة كافرين).

٧ ـ الوعيد بالعذاب الإلٰهيّ للكافرين قول حتمي من الله ﷻ، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾

التعاليم

١ ـ يتمكن الإنسان من أن يصل إلى معرفة الله ﷻ، من خلال النظر في مخلوقاته التي يراها أمامه، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾.

٢ ـ خلق الدواب (كالبقر، والغنم، والإبل، وإلى غير ذلك) هو لأجل هذا الإنسان، ﴿خَلَقْنَا لَهُم﴾.

٣ ـ للإنسان دوره في إنتاج الحبوب والثمر، ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[1]؛ ولكنه لا يملك أي دور في خلق الدواب، ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾.

٤ ـ خَلْقُ الله ﷻ إبداع لا تقليد، ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾.

٥ ـ يستفيد حتى غير الإنسان من الشمس والنبات والبحر، ولكن لا يستفيد من الدواب إلا الإنسان، ﴿خَلَقْنَا لَهُم... فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾.

٦ ـ من آيات اللطف الإلٰهيّ تمليك الإنسان دواب الأرض مع أنه لا دور له في وجودها، ﴿أَيْدِينَا... فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾.

٧ ـ مبدأ الملكية أصل يقرّه الإسلام، ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ لو أنّ البقر والغنم كانت من فصيلة الحيوانات الوحشية لانسدّ باب الاستفادة من مشتقات الألبان أمام هذا الإنسان على الرغم من فوائدها العظيمة، ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ... وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

---

(١) سورة يس: الآية ٣٥.

٢ ـ لو أن كافة الحيوانات كانت من الحيوانات الوحشية، لما تمكن الإنسان من استخدامها في السفر، ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.

٣ ـ الأرض ذلول، ﴿ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[١]، والحيوانات كذلك، ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا﴾، وأما الإنسان فمع حاجتها لهما معاً؛ ولكنه طاغ، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[٢].

٤ ـ كل شيء خُلق لغاية ولهدف، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

٥ ـ لا ينثي الإسلام على أكل النيء، ولكنه يوصي بأكل اللحم، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

٦ ـ الألبان نعمة إلٰهيّة خاصة، ولا بد من شكر الله عليها، (على الرغم من أن الألبان هي من منافع الحيوانات إلا أنّ القرآن تعرض لها بالخصوص، مشارب؛ لكي يبين خصوصيتها)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾.

٧ ـ الشكر لا بدّ من أن يكون على أساس الفهم والمعرفة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا... أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات

- يصنع لباس الإنسان من الحيوانات، ومن الصوف يصنع السجاد والأغطية وتعمل مصانع النسيج. حذاء الإنسان من جلد الحيوان. وتقام مصانع لأجل الاستفادة من جلد الحيوان في صناعة الجلود والأحذية والمحافظ و... وغذاء الإنسان من لبن الحيوان ولحمه، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾.
- للحيوانات دور أساس في الزراعة، كالحرث، وجر الماء، والسماد الطبيعي، وصرف مواد العلف، وحمل المتاع وغير ذلك، ﴿فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾.

(١) سورة الملك: الآية ١٥.
(٢) سورة العلق: الآية ٦.

التعاليم

١ ـ الشرك وعبادة الأصنام كفر بنعمة الله ﷻ، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ، مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾.

٢ ـ سبب عبادة الأصنام خيالات وموهومات، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٣ ـ بينوا للمشركين خطأ معتقداتهم خلال محاورتهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾.

٤ ـ عقاب من لا يفكر في نعمة الله ﷻ عليه، ليتوجه بالشكر إليه ويستبدل ذلك بعبادة الأصنام، أن يَحضُر لعذاب جهنم، ﴿مُّحْضَرُونَ﴾.

٥ ـ الأنبياء بحاجة إلى دعم معنوي وروحي أيضاً، والله ﷻ يمدهم بذلك، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾.

٦ ـ كل من يحمل هدفاً أعلى لا بدّ من أن يكون في معرض السهام، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

٧ ـ أفضل وسيلة لبث الهدوء في نفوس المؤمنين ولتهديد الضالين هو استذكار سعة العلم الإلهيّ، ﴿نَعْلَمُ﴾.

٨ ـ يتآمر المشركون في السر والعلن، ﴿يُسِرُّونَ... يُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

إشارات

□ جاء أحد المشركين فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه، ثم قال: يا محمد أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً فأنزل الله هذه الآية[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

□ المقصود من الشجر في هذه الآية نوعان من الخشب الذي يمتاز بقابليته للاشتعال، والمراد منه شجر «المرخ والعفار» الذي كان العرب قديماً يأخذون منهما على خضرتهما، فيجعل العفار زنداً أسفل ويجعل المرخ زنداً أعلى، فيسحق الأعلى على الأسفل فتنقدح النار بإذن الله. وفي الواقع هو يشبه الكبريت في عصرنا الحالي[١].

□ إشعال النار من الشجر الأخضر مثال يفهمه العوام، والعلماء يدركونه بطريق علمي بما في الشجر من طاقة، ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

التعاليم

١ ـ إذا تذكر الإنسان ضعفه ومهانته لن يعرِض أبداً، ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

٢ ـ ما يقوي إيمان الإنسان بالمعاد أن يتذكر خلقه من نطفة، ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾.

٣ ـ الأسوأ من الخصومة نفسها هو شدَّتها وظهورها، ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

٤ ـ مخاصمة الإنسان لربه ﷻ أمر عجيب وغير متوقع، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾، (تستخدم كلمة «إذا» للأمور المفاجئة).

٥ ـ لا مانع من نقل الأفكار المنحرفة وبيانها، إذا كان ذلك للرد عليها، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾.

٦ ـ الأساس في الكثير من الإشكالات، في ما يتعلق بالقدرة الإلٰهيّة، ناشئ من عدم ملاحظة الموارد المشابهة ونسيان السوابق، ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾.

٧ ـ ليس لمنكري المعاد من برهان، عدا مجرد الاستبعاد، ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾.

٨ ـ الحرّية في الإسلام تصل حداً يقف فيه من يكفر بالله ﷻ وبالمعاد، وبكل قوة، أمام نبي المسلمين ليتحدث بما يريد بصراحة، ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾.

٩ ـ لا مانع من السؤال، والقبيح هو السؤال عن عناد وبدافع الغرور، ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

١٠ ـ منشأ بعض الشبهات العقدية مقارنة الإنسان بين قدرة الله وقدرته، ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾.

١١ ـ لا بد من الرد على الشبهات العقدية، وإن كان الملقي لها شخص واحد، ﴿قَالَ... قُلْ﴾.

١٢ ـ المعاد جسماني، ﴿يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾.

١٣ ـ لا بد في تحقق المعاد من أمرين: القدرة الإلٰهيّة على خلق الإنسان ثانية وعلمه بعمل الإنسان في الحياة الدنيا. وهذه الآية تشير إلى كلا الأمرين؛ ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ علامة القدرة، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ دليل سعة علمه.

١٤ ـ الله ﷻ يجمع بين الأضداد، فالنار والماء ضدان لا يجتمعان، ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ
عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

إشارات

□ الإنسان مركّب من جسم وروح، وجسم الإنسان يفنى بالموت ويتلاشى، وهو في حالة تغير دائم في حال حياته، ولكن الروح أمر ثابت في الإنسان. وفي القيامة روح الإنسان هي نفسها التي كانت في هذه الدنيا؛ ولكن جسمه يكون في قالب مشابه للجسم الدنيوي، ﴿يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾.

التعاليم

١ ـ قد يكون الجواب عن السؤال بسؤال أحياناً، ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ... أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى...﴾.

٢ ـ السؤال من وسائل إيقاظ الضمير، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى﴾.

٣ ـ عند محاورة المنكرين لا بد من أن نبدأ بالمسائل الصغيرة أولاً، ثم نصل بعد

ذلك إلى القضايا الكبيرة، (المثال الأول، كان النطفة، والمثال الثاني الشجر الأخضر، والمثال الثالث خلق السموات والأرض)، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٤ ـ من يملك المئة يملك التسعين أيضاً. فمن خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق الإنسان، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... بِقَٰدِرٍ﴾.

٥ ـ الخلق فعله سواء في الدنيا أو في الآخرة، ﴿هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾.

٦ ـ الدليل على المعاد، مضافاً إلى حكمة الله ﷻ وعدله، امتلاكه القدرة والعلم بأعمال العباد، ﴿هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

إشارات

- لما كان الإيمان بالمعاد مهماً للغاية، فلا بد من إزاحة كل شبهة تعترض الإيمان به، لكي لا يبقى شك في الأذهان. والله ﷻ يجيب من سأل: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾، فيقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ...﴾.
- لا حاجة إلى الزمان في تحقق الأمر والإرادة الإلهيّين. بل هو كلمح البصر، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[1].
- لا يحتاج الله ﷻ في فعله حتى إلى كلمة «كن»؛ لأنه منزه وغني عن كل حاجة، بل المراد من كلمة «كن» حكمته وإرادته. وعلى حدّ ما يروى عن الإمام علي عليه السلام: «**لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع**»[2].

التعاليم

١ ـ خلق كل شيء عند الله ﷻ سواء، ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾.

(١) سورة القمر: الآية ٥٠. (٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

٢ ـ الله ﷻ لا يحتاج في خلقه عالم الوجود، لا إلى الوسيلة، ولا إلى العون، ولا إلى ما يرفع الموانع، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

٣ ـ لا فاصلة بين إرادة الله ﷻ ووقوع الفعل، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

٤ ـ كيف يعجز الله عن البعث؟ وهو منزه عن كل عجز، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾.

٥ ـ الله ﷻ هو مصدر الوجود، وعالم الوجود كله بيده، وهذا العالم كلّه يرجع إليه تعالى، ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

الفهرس

سورة القصص .... ٥ ـ ٩٠

سورة العنكبوت .... ٩١ ـ ١٤٩

سورة الروم .... ١٥١ ـ ١٩١

سورة لقمان .... ١٩٣ ـ ٢٥٩

سورة السجدة .... ٢٦١ ـ ٢٨٤

سورة الأحزاب .... ٢٨٥ ـ ٣٦٣

سورة سبأ .... ٣٦٥ ـ ٤٠٩

سورة فاطر .... ٤١١ ـ ٤٥٣

سورة يس .... ٤٥٥ ـ ٤٩٧